إبداع وفنون
فى غرف النوم

إعـداد

محمد حسان أحمد

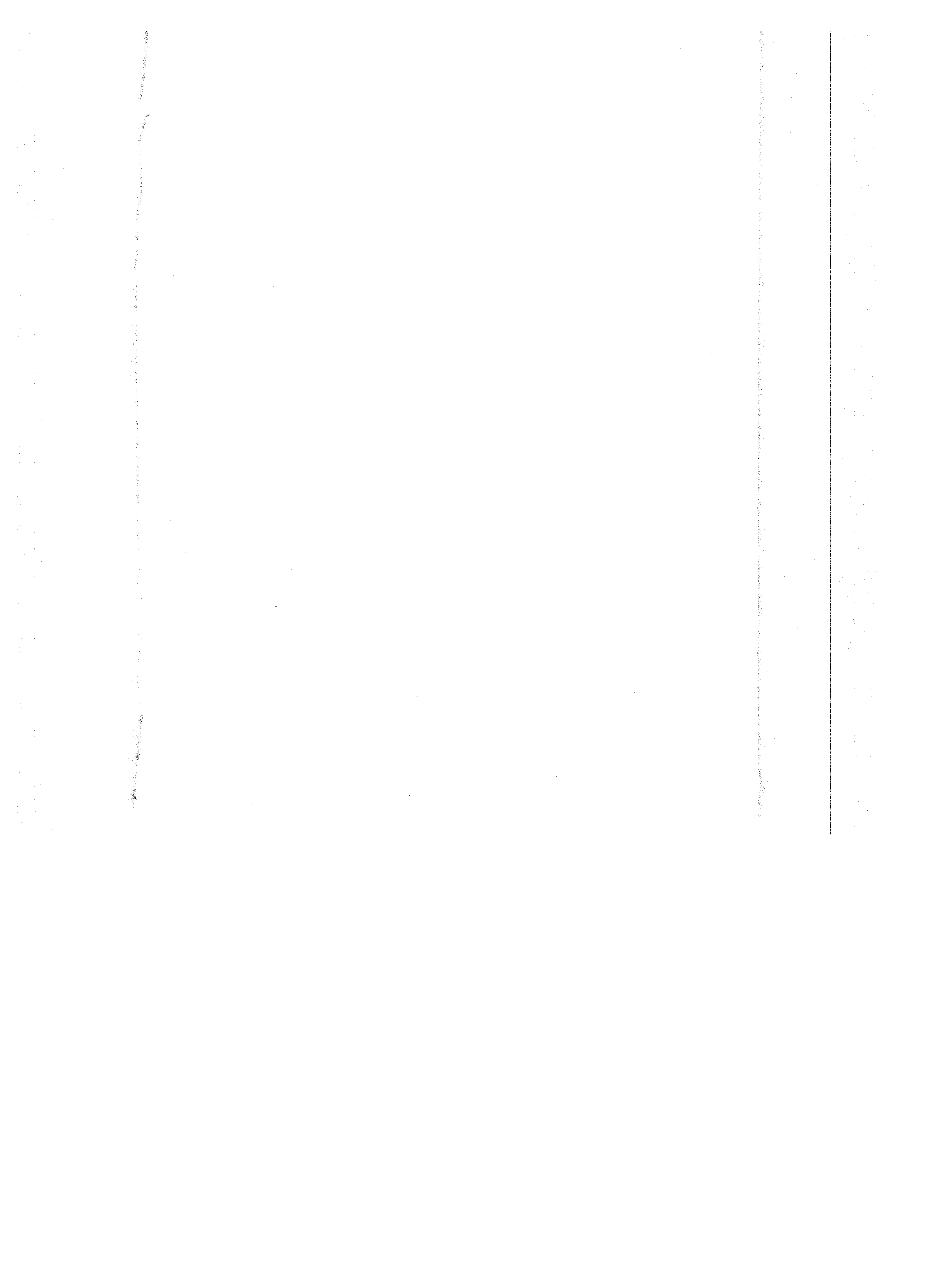
الحريـــة
للنشر والتوزيع
3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
0123877921 - 25745679

اسم الكتـــاب	إبداع وفنون فى غرف النوم
تــألـــيــف	محمد حسان أحمد
النــاشـــــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ ـ ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيـداع	٢٠٠٨/٥٣٤٥
الترقيم الدولى	11- 363 - 373 - 977

الحريـــة
3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
للنشر والتوزيع
0123877921 - 25745679

إبداع وفنون في غرف النوم





المقدمة

ثلاثة رغبوا عن سنتى:

قال الأول: أنا أصلى الليل أبداً.

وقال الثانى: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال الثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

عزيزى القارئ:

إن من الأهداف الأخروية للزواج هو التأسى بالنبى ﷺ واتباع سنته الشريفة، وبين يديكم قصة غريبة لثلاثة من النفر فتعالوا معنا لنعرف طريقة تصور هؤلاء للحياة والزواج، وكيف رد رسول الله ﷺ عليهم ليصحح هذه التصورات العجيبة.

● قصة الثلاثة:

روى البخارى ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال:

- جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها - أى عدوها قليلة -، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال:

- **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»** (رواه البخارى).

ولنا مع هذه القصة وقفات:

١ ـ قد يخيل للإنسان فى لحظة من لحظات يقظته الروحية أن يتبتل وينقطع عن كل شأن من شئون الدنيا، فيقوم الليل، ويصوم النهار، ويعتزل النساء، ويسير فى طريق الرهبانية المنافية لطبيعة الإنسان، فيعلمه الإسلام أن ذلك مناف لفطرته، ومغاير لدينه، وأن سيد الأنبياء ـ وهو أخشى الناس لله وأتقاهم له ـ كان يصوم ويفطر ويقوم وينام، ويتزوج النساء، وأن من حاول الخروج عن هديه فليس له شرف الانتساب إليه.

٢ ـ تفيد إجابة الرسول ﷺ أن الإنسان مكون من جانبين جسد وروح، فالروح لها غذاؤها من العبادة والصلاة والصوم، والجسد له غذاؤه من الطعام والشراب والزواج وغير ذلك من متطلبات حياة الجسد واستمرار بقاءه.

وفى الحديث إفادة أن الزواج عبادة روحية جسدية؛ لأن الثلاثة جاءوا يسألون عن عبادة النبى ﷺ ونرى أن رسول الله ﷺ جعل الزواج كالصلاة والصوم فى المرتبة، فمن لم يتزوج النساء وبه لهن حاجة، فإنما هو خارج عن سنة الحبيب ﷺ.

٣ ـ الزواج سنة مؤكدة لقوله ﷺ: **«فمن رغب عن سنتى فليس منى»**.

وهو من سنن الأنبياء وهدى المرسلين وهم القادة الذين يجب علينا أن نقتدى بهداهم، انظر إلى قوله تعالى فى سورة الرعد: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾** (**الرعد: ٣٨**).

وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع من سنن المرسلين الحياء والختان والتعطر والسواك والنكاح»** حديث حسن رواه الترمذى.

إن الزواج من أحب الأشياء إلى رسول الله ﷺ فى الدنيا، فقال ﷺ: **«حبّب لى من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجُعلت قرة عينى فى الصلاة»** رواه أحمد والنسائى.

وقال ﷺ: **«النكاح سنتى، فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى»** أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ومن حديثه أيضاً ﷺ أنه قال: **«تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم**

القيامة» أخرجه البخارى.

وفى رواية: **«فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة»** أخرجه أبو داود.

فمن يحب الرسول ﷺ سار على نهجه وسنته، وزيادة أبناء المسلمين الموحدين بالزواج.

وكل دعوة ضد الزواج أو التقليل من شأنه فهى دعوة جاهلية وهروب من المسئولية، وخروج عن الفطرة والمألوف ومكارم الأخلاق، ويحرم أن يتركه الإنسان تعبداً لأنه رغب عن سنة رسول الله ﷺ، ويجب النكاح على من يخاف الزنا بتركه، فمن خاف على نفسه الزنا واحتاج إلى الزواج قدّمه على الحج الواجب الذى هو الركن الخامس من أركان الإسلام.

الزواج والصحة النفسية:

إن من مظاهر الصحة النفسية هى الاستقرار الجنسى حيث يجد الإنسان الإشباع الجنسى مع شخص واحد بالأسلوب المشروع «الزواج».

وتأمل معنا أيها القارئ من الأراء الغريبة التى تنافى الطبيعة البشرية وشرعنا الحنيف، منها رأى «فرويد» عالم النفس الشهير، الذى يرى أن الإنسان يولد مزوداً بطاقة غريزية قوية أطلق عليها اسم «الليبيدون» ومعناها الغريزة الجنسية، وقد اعتبرها المحرك الأساسى لسلوك الإنسان، ونحن نقول: أن هذا غير صحيح لأن الجانب النفسى أو الغريزى فى الإنسان ما هو إلا جزء من حياته وسلوكه وليس كل الحياة أو السلوك البشرى.

ويرى «فرويد» أن القلق والحرمان هما أسباب رئيسية للمرض النفسى والمشكلة أنه يرجع هذا القلق والحرمان إلى سبب رئيسى وهو كبت دوافع الغريزة الجنسية وإحباطها وعدم إشباعها، ومحور الحرمان هو الحرمان من الناحية الغريزية «طاقة الليبيدو».

ونحن نرد أيضاً على هذه النظرية الخاطئة؛ لأن معنى ذلك أن الإنسان يتساوى مع الحيوان فى جعل الغريزة الجنسية فى المرتبة الأولى.

ويقول «فرويد» أيضاً: «إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسى، وكل قيد من دين وأخلاق أو مجتمع أو تقاليد، فهو قيد باطل ومدمر لطاقات الإنسان، وهو كبت

غير مشروع».

إن هذه الأراء الخاطئة تحول وجه الأرض إلى ماخور يفغر فاه لكل فتى وفتاة، وإلا فمن أين تأتى كثرة الانتحار المخيف، والقلق والتمزق الأسرى ومرض الإيدز؟

ذلك الشبح المخيف، الذى جاء نتيجة طبيعية للمارسة الجنسية المنحرفة والشذوذ الساقط.

قال عليه الصلاة والسلام: **«ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة فى قوم إلا سلّط الله عليهم الموت»** رواه البزار.

الإسلام يريد مجتمعاً طاهراً نظيفاً، مجتمعاً تؤدى فيه كل الوظائف الحيوية وتُلبى فيه كل دوافع الفطرة، ولكن بغير فوضى ترفع الحياء الجميل، وبغير التواء يقتل الصراحة النظيفة، مجتمعاً يقوم على أساس الأسرة الشرعية المتينة وعلى البيت المستقيم الواضح المعالم.



الوسائل السبعة لتحقيق العفة

إن الله تعالى أمرنا بالزواج وأحله لعباده، وشرعنا السامى يعترف بالغريزة الجنسية ويوجهها، ولم يكن الله الذى زود الإنسان بأجهزة التناسل، وركبّ فيه غريزة الجنس ليحرم عليه استعمال هذه الأجهزة بتاتاً، ولم يكن الله ليترك للإنسان حرية التصرف كاملة فى هذه الأجهزة بلا ضابط فيكون كالحيوان.

إن الدين الحنيف يوجه الغريزة الجنسية فى الحلال الطيب الذى لا لوم فيه ولا حرمة، وهو الزواج الذى فيه تكريم للمرأة والرجل والأسرة والمجتمع.

وإذا قال قائل إن الزواج ليس أمراً سهلاً فى هذا العصر للشاب أو للفتاة؛ لأنه يحتاج إلى نضج مالى واجتماعى واستعداد علمى وبدنى ومادى ومالى، فماذا يفعل من يريد الزواج ويقف المال عقبة كئود فى تحقيق هذا الحلم؟

ونحن هنا نقدم للقارئ الحل الذى نزل من لدن حكيم خبير فى آية كريمة من سورة النور، وهى:

- ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٣).

فهذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد زيجة بالتعفف عن الحرام حتى يغنيهم الله من فضله هذه دعوة قرآنية إلى العفة والتسامى والصبر وهى منتهى التربية النفسية التى تقوى فى نفوس الشباب الإرادة والعزيمة.

هكذا يواجه الإسلام المشكلة مواجهة عملية، فيهيئ لكل فرد صالح للزواج أن يتزوج ولو كان عاجزاً من ناحية المال، وهو العقبة الكئود غالباً فى طريق الإحصان.

«فليستعفف حتى يغنيه الله من فضله»:

وماذا تعنى العفة؟

العفة هى اجتناب الرذائل والتنزه عن النقائص.

العفة هى كبح جماح النفس عن شهواتها الرديئة وعدم السير وراء أطماعها الدنيئة ومن ثمرات العفة أنها تورث صاحبها الورع والحياء مما يرفع قدره عند الخالق وعند الخلق.

«الحياء من الإيمان» كما ذكر لنا رسولنا ﷺ.

وقد جاء عن الرسول ﷺ فى فضل العفة أنه قال:

- **«عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم».**

والعفة تسبب العزة لقوله ﷺ: **«ما زاد الله تعالى عبداً بعفة إلا عزاً».**

من قصص القرآن:

وقد حكى القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام فى مقاومته للإغراء الشديد والتهديد والوعيد لمن هو فى بيتها: **﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٣٣).**

ومن القصص النبوية:

جاء فى قصة النفر الثلاثة الذين حبستهم الصخرة فى الغار أن أحدهم كان قد ترك ابنة عمه، وقد تمكن منها وهى من أحب النساء إليه ابتغاء وجه ربه، ففرّج الله عنهم ثلث محنة الغار. (الحديث فى البخارى ومسلم».

الوسائل السبع لتحقيق العفة:

وإذا سأل أحد الشباب أو الفتيات كيف استعفف لأنفذ أمر الله تعالى فى الآية:

- **﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٣).**



كيف أختار شريك حياتى؟!

إن اختيار شريك الحياة هو أولى الخطوات الصحيحة لحياة زوجية سعيدة، ولكى يختار المرء شريك حياته فلابد أن يتوفر فيه أولاً شرط الدين، وقد حرص الإسلام على دوام واستمرار الزواج وبالاعتماد على حسن الاختيار، وقوة الأساس الذى يحقق الصفاء والوئام والسعادة والاطمئنان، وذلك بالدين والخلق، فالدين يقوى مع مضى العمر، والخلق يستقيم بمرور الزمن وتجارب الحياة، أما الغايات الأخرى التى يتأثر بها الناس عادة من مال وجمال وحسب وقنية الأثر لا تحقق دوام الارتباط.

لذا قال ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»** (متفق عليه) عن أبى هريرة، والحسب: هو الفعل الجميل للرجل وآبائه (سبل السلام: ٣/١١١).

وحسن اختيار المرأة ذو هدفين: إسعاد الرجل، وتنشئة الأولاد نشأة صالحة تتميز بالاستقامة وحسن الخلق.

وبعد شرط الدين والخلق الحسن لابد أن يسأل الإسان نفسه سؤالاً مهماً جداً، وهو: لماذا أتزوج؟

والإجابة على هذا السؤال ستحدد أولويات الاختيار التى تختلف من شخص إلى آخر، وذلك طبعاً بعد تحقق شرط الدين والخلق الحسن والاستقامة، مع العلم أنه لا يوجد الرجل الكامل ولا المرأة الكاملة، ولكن تحديد الأهداف ووضوح الأولويات يحدد للمرء ما هى الصفات التى لا يمكن أن يتنازل عنها، والأخرى التى لا يقبل أقل من الحد الأدنى فيها، وغيرها مما يمكن التنازل عنه.

ولا ينسى الإنسان أنه لن يعيش حياته بمفرده، فهناك أهل لهم رغبات ولهم طباع وأعراف، فكل ذلك سيكون له أثر فى المستقبل فى شكل العلاقة واستمرارها.

فمثلاً إذا نشأ هو فى أسرة تقدّس العلم والدرجات العلمية، ونشأت هى فى بيئة

تهتم بالمكسب المادى وأنه مقدَّم على غيره، فمما لا شك فيه أن هذا التباين سيؤدى إلى نوع من الخلاف، الذى يجب تفهمه إذا استمرت الحياة، أو تجنبه من البداية لاستمرار دوام الحياة.

وهناك بعض الصفات بعد الدين والاستقامة ترفع من قيمة الرجل أو المرأة، وتبحث عمن يريد الزواج وتساعده على ترتيب أولوياته فى الاختيار. ومنها:

١ ـ الجمال:

وهو الصفة التى يبحث عنها كل من الرجل والمرأة عند الآخر، وهذه الصفة الظاهرية لها أثر عجيب فى دوام العشرة وبقاء الألفة، والناس يتفقون على خطوط رئيسية فى الجمال، إلا أنهم يختلفون أيضاً فى الحكم على تفصيلاته وتعريفاته، ولابد أن تعلم ان الجمال نسبى، وأن كل امرأة فيها جمال إذا أحسنت الكشف عنه، ولكن المشكلة التى ظهرت أخيراً لدى بعض المسلمين نظراً لمشاهدة البث الفضائى والقنوات الغربية، هى اختلاف معايير الجمال، فأصبح كثير من الناس يبحث عن نوع من الجمال غير موجود أو قليل، نظراً لاختلاف البيئة وطبيعة المنشأ، ويضيع عمر الشاب فى البحث عن تلك الجميلة فلا يجدها، وإن وجدها أهمل أو أسقط باقى الصفات، فالتوسط فى هذا الأمر مطلوب.

ولقد شدّد النبى ﷺ على هذه الناحية ـ أعنى اشتراط الجمال أو على الأقل اشتراط القبول لشكل المرأة ووجهها ـ فقد جاء فى الحديث الصحيح أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه خطب امرأة من الأنصار، فقال له النبى ﷺ: **«هل نظرت إليها؟!»** قال: لا. قال: **«اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»**.

ومعلوم أن النظر هنا بحث عن الجمال والشكل.

ومع ذلك يجب علينا أن نضع قضية الجمال فى مكانها من حيث مجموع الصفات المثالية التى يُبحث عن توفرها فى الزوج الصالح والزوجة الصالحة، والجمال مراد ومطلوب ومحبوب ومرغوب فيه ديناً وطبعاً، ولكنه ظاهر وشكل، ويجب ألا يغلب الظاهر والشكل على الجوهر الأساسى من الأصل والدين. بل يجب أن نضع الجمال فى المستوى والحد اللائق به والمتناسب مع الصفات العامة التى يجب علينا مراعاتها فى اختيار شريك الحياة.

٢ ـ الأصل:

وهو أن تكون من بيت معروف بالدين والقناعة؛ لأن مظنة دينها وقناعتها.

وإن كان ليس شرطاً أن كل من خرج من بيت طيب يجب أن يكون كذلك، ولكن هذه صفة غالبة ومظنة خير، والأصل الطيب يمنع من الرذائل والمنكرات العظيمة، ومناخ جيد لنمو الأخلاق الحسنة والصفات الجميلة، وتربة خصبة لنمو ونشأة الأطفال، ووسط مساعد فى ذلك، وكذلك الأصل والمعدن الكريم يكونون مع المرء فى الشدائد والمحن والأزمات.

٣ ـ الحسب:

وكونها حسيبة: وهى النسبية، أى طيبة الأصل، ليكون ولدها نجيباً؛ فإنه ربما أشبه أهلها ونزع إليها.

والإسلام – وإن جاء داعياً بالناس إلى أن أصلهم واحد وأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى – إلا أنه أخبر أيضاً بالأمر بالتنافس فى الفضائل والبعد عن الرذائل، والتقوى ــ التى جاء الإسلام ليحصلها ـ لا تحصل إلا إذا رافق الدين طبعاً نقياً، ونفساً صافية وخلقاً مسانداً، وعلى كل حال ينبغى أن نضع الأحساب فى موضعها الصحيح، فالحسب والشرف بالمعنى الصحيح ينبغى أن يكون هو المعدن الطيب والخلق الكريم، وقبل ذلك كله الدين.

والمرأة الحسيبة إذا لم يكن لها من الدين والخلق ما يعصمها عن التعالى على زوجها، فإن ذلك سيؤدى حتماً إلى النشوز أو انهيار دور الرجل فى بيته، وكلاهما مدمر للحياة الزوجية.

والرجل الحسيب لا شك أنه أحظى لدى المرأة وأحب إليها من رجل عاطل عن ذلك، ولكن هذا الحسب إذا لم يزينه الخلق الكريم والدين الصحيح فإنه ينقلب إلى إذلال للمرأة وتعالٍ عليها، وكل ذلك مرفوض.

٤ ـ المال:

من الصفات التى لا غنى عنها مطلقاً، ولا اختلاف عليها بين الناس هو اشتراط الغنى فى المتقدم للزواج، وأقل الغنى هو الكفاف والقيام بواجباته الزوجية، وقد فسر

العلماء حديث الرسول: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج..»** الحديث، أن المقصود بالباءة نفقات الزواج، وإمكان إعاشة الرجل للمرأة، والإسلام يشترط فى صحة عقد النكاح واستمراره قدرة الرجل على الإنفاق.

وإن كانت قدرة الرجل ووجود المال معه صفه جيدة يبحث عنها، ولكنها تكون وبالاً إذا كانت مقدمة على الدين والخلق، فالمال من دون الدين والخلق يطغى صاحبه ويجعله متعالياً لا يعبأ بقيمة ولا يبعد عن رذيلة، ولكن نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح.

٥ـ الحب:

فلا بأس بتاتاً أن يميل قلب رجل إلى امرأة يسمع عن صفاتها وأخلاقها وشمائلها وكذلك إذا أحبت المرأة رجلاً سمعت وعلمت من صفاته وشمائله ما يدعوها إلى الزواج منه.

ولكن لا يجوز أبداً إذا أردنا زواجاً سليماً صحيحاً، أن تكون هناك ثمة علاقة بين رجل وامرأة يريدان الزواج، أكثر من معرفة الصفات الحقيقية التى سيبنى عليها الزواج، والعلاقة الآثمة التى تسبق الزواج ستكون حتماً هى العامل الأول فى هدم السعادة الزوجية.

والناظر فى الأحاديث النبوية التى تحدد معالم شريك الحياة ويضم بعضها إلى بعض يستطيع أن يفهم أن الرسول ﷺ يريد أن ينبه وينوّه ويؤكد جعل الدين هو الإطار الذى يسير فيه الاختيار، ولكن دون إغفال لمعايير التكافؤ الأخرى، لذا فإن باقى أحاديث ومواقف النبى ﷺ تأتى لتؤكد هذه الصورة المتكاملة والشاملة؛ حيث يدعو الشاب إلى أن ينظر إلى من سيخطبها؛ لأن ذلك سيؤدم بينهما، (أى سيكون سبباً لدوام الزواج بينهما)، ويعطى للفتاة التى رفضت اختيار والدها لاختلاف المستوى الاجتماعى الحق فى رفض الزيجة، وهكذا نفهم أن الدين هو الإطار الذى لا يجعلنا نغفل باقى الأسباب لإنجاح الاختيار والزواج.

وفى الختام نلخص كيفية الاختيار الصحيحة، بوجود إطار من الدين والخلق ومعايير التكافؤ المعتبرة، مع مراعاة الأوضاع الاجتماعية للأسرتين، مع حد من التوافق النفسى والاجتماعى بين الأسرتين.

كيف تبنى علاقة عاطفية ناجحة؟

من أعظم النعم الإلهية بعد نعمة الإيمان والتقوى أن أنعم الله على عباده بنعمة الزوجية، وفيها ما فيها من معانى الألفة والود والتراحم، مما يساعد على سير الحياة سيراً طبيعياً كما أرادها الله تعالى، لتكون معبراً إلى دار القرار، وطريقاً معبداً يسلكه السائر حتى يصل إلى مراده ومقصوده، وليس أبلغ من التعبير القرآنى العظيم فى وصف علاقة الزوجية بكونها «الميثاق الغليظ»، وبما تعنيه الكلمة القرآنية من بلاغة وروعة من العهد والقوة والتأكيد الشديد لأهمية الحفاظ عليه والوفاء به.

- وليس من نافلة القول أن نكثر الحديث عن المشاعر أو نتحدث عن الأشواق التى تختلج فى الصدور، فنجعل منها بركاناً يتقد أو مناجاة يُسمع لها دوى يفطر القلوب الحية، وهل بقى للناس غير المشاعر؟! وقلما تصفو الحياة بغيرها، أنها تُحس ولا تُرى، تلك هى لغة المشاعر وصياغتها، وكيفية التعامل معها والأنس بها بما يملأ الزمان والمكان، وقليل هم أولئك الذين يحسنون التعامل مع هذه القلوب وتلك الأرواح فيبلغون فيها عبقرية جادة، فيهنأون بعيش كريم ويسعدون غيرهم بجمال الكون وما فيه.

- إن الزوجة هى رفيقة الدرب، وشريكة الحياة، والمؤنس فى الوحدة، وقد خلقت ليسكن الرجل إليها، والمرأة بحكم ما أودع الله فيها من أسرار - مخلوق وديع، وجنس لطيف تحبه النفس وتتعلق به، وتأنس إليه، وتهش له لكونه مخلوقاً راقياً يحمل من المشاعر الدافقة، والعواطف الكامنة، والأحاسيس الدافئة، والعطاء المتجدد الذى لا نهاية له، مما يجعل الكون جميلاً ولطيفاً فى أجوائه وآفاقه. إن من صفات الأزواج والزوجات فى الحياة الزوجية أنهما محافظان على حبهما الزوجى ويحرصان على تنميته وتطويره ليكون متوقداً دائماً، إن هناك كثيراً من الزيجات تفاجأ بموت الحب بين الطرفين فتصبح علاقتهما الزوجية علاقة جافة قاتلة، ولولا الأبناء لما استمرا فى زواجهما، ولكن هناك صنف آخر يشع الحب من نفسيهما من خلال العبارات والنظرات والإشارات.

الإسلام والحب:

لا يطارد الإسلام المحبين ولا يطارد بواعث الحب والغرام، ولا يجفف منابع الود والاشتياق، ولكن يهذب الشىء المباح حتى لا يفلت الزمام، ويقع المرء فى الحرام والهلاك، وليس هناك مكان للحب فى الإسلام إلا فى واحة الزوجية، والحب فى الإسلام يختلف عن أى حب، فهو حب يتسم بالإيجابية ويتحلى بالالتزام.

- ليس شرطاً أن تحب المظهر الجميل، ولكن من المحتم أن تحب الروح الأخاذة، والذات الرائعة الخلابة، هناك من الأزواج من لديه زوجة مليحة، جميلة وضيئة، ولكنها خاوية المشاعر، جامدة العواطف، غليظة الكلام، عصبية بغيضة لا تفهم شيئاً من لغة القلوب، ولا تفقه أمراً من عالم الوجدان.

- إن كثيراً من الملتزمين يرون فى الحب منقصة ومذمة، ويرون فيه ضعة ومذلة، وهذا خطأ جسيم، وفهم خاطئ، فتراه لا يتودد إلى زوجته، ولا يعرف للغزل سبيلاً، ولا للمداعبة طريقاً، ولو نظر إلى حياة الرسول ﷺ ورأى حبه الشديد لعائشة، وكيف كان يداعبها ويلاطفها لعلم كيف يكون الحب بين الأزواج من شيم الكمال وليس من صفات النقص. لقد كان - ﷺ - يحث بعض صحابته على الزواج بالأبكار، من أجل المداعبة والملاعبة والملاطفة، وقد كان فى ذلك صريحاً وواضحاً كذلك.

وهنا يبرز سؤال مهم وهو لماذا يكون الشغف والوله عند العصاة، ولا يكون عند الطائعين فى الحلال؟ وقد ذكر القرآن شغف امرأة العزيز: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ **(يوسف: ٣٠)**، ولكن يوسف عليه السلام أبى طريق العصاة، ونحن أولى بهذا الشغف الذى يملأ القلوب مادام أنه فى الحلال، فالحب يعطى الحياة الزوجية طعماً آخر، لا يتذوقه إلا المخلصون الأوفياء، كيف تبنى علاقة عاطفية ناجحة؟ الصلة بين الزوجين صلة مودة ورحمة وليست علاقة عشق وهيام وصبابة وغرام؛ فهى صلة محبة هادئة (مودة) وصلة (رحمة) متبادلة، لا أوهام عشقية لا تثبت على أرض الواقع، ولا خيالات غرامية لم يقم عليها أى زواج ناجح.

وإن من أهم الأشياء لبناء الحياة العاطفية الناجحة، التفاهم بين الزوجين، والتفاهم يكون فى البداية فى كيفية اختيار شريك الحياة على أسس صحيحة من

الدين والكفاءة الشخصية العائلية، وبعد ذلك فى الأمور المهمة والأساسية فى الحياة الزوجية مثل الأولاد وكيفية تربيتهم والقيام على شئونهم، وكذلك الأمور المالية وكيفية الإنفاق، وأخيراً المسائل الجنسية وكيفية إشباع رغبة الزوجية من الآخر.

- وإذا تم التفاهم على قدر كبير من الأمور السابقة، بعدها فلابد أن يتعرف كل من الرجل والمرأة على طبيعة الآخر وكيف تفكر المرأة وكيف يفكر الرجل، وكيف يعبر كل منهما عن مشاعره.

- وبعد ذلك لابد من الاستفادة من العلاقة الجسدية لبناء علاقة عاطفية ناجحة ومثمرة، لأن هذه العلاقة تولد الشوق والمودة والحيوية بالنسبة لكلا الطرفين.

- والأهم من ذلك كله أن يتعلم الزوجان قاعدتين مهمتين لبيوت سعيدة، وهما:

أن البيوت تُبنى على المودة والرحمة، وأن دمار البيوت يبدأ من جفاف المشاعر، فيجب المحافظة على أجواء البيوت هادئة ومستقرة ومعين متجدد للمودة والحب والدفء والحنان، عناصر الحب الحقيقى: إن العلاقة الزوجية ليست فقط مشاعر الحب والعاطفة، ولكنها أيضاً الاستعداد للتضحية، أو التصرف لمصلحة الطرف الآخر على حساب المصلحة الشخصية، ويجب أن نميز بين مشاعر الحب وأعمال الحب، فالمشاعر هامة وأساسية إلا أن أعمال الحب من التضحية والبذل للآخر من شأنها أن تحافظ على العلاقة السعيدة والدافئة.

أعمال المودة والحب؟ ومن وسائل تنمية المودة والمحبة بين الزوجين ما يسمى بأعمال المودة والحب، تلك الأعمال التطوعية التى تتم عن المحبة الكبيرة والتقدير العظيم للطرف الآخر كمفاجأة غير متوقعة أو دعوة عشاء خارج المنزل، أو ورقة فى كتاب فيها كلمة حب.

وكثير من الأسئلة التى تخطر فى ذهن المحبين والعروسين الجديدين، وتشير هذه الأعمال إلى إهمال الواحد بالآخر وأنه يفكر فيه، كيف تنمو المودة ويزداد الحب؟ مودة الزواج وحبه أكثر عمقاً فى واقع الحياة، إن الحب يكبر مع كبر الزوجين، ومع مواجهتهما لمشكلات الحياة وتحدياتها، ومع اشتراكهما معاً فى التغيير والتكيف مع علاقتهما المتغيرة باستمرار.

شجرة الحب: إذاً يمكن القول أن الحب هو كبذرة زرعت فى أرض خصبة، تُسقى بماء المشاعر الفياضة وتحدث بأعمال الحب الكثيرة ولابد لها من زمن حتى تستقر شجرة كبيرة فارهة الطول عظيمة الأغصان، تتجاوز كل المحن والصعوبات.

وهناك عشر وسائل لتنمية الحب والمودة بين الزوجين:

١ ـ تبادل الهدايا حتى وإن كانت رمزية، فوردة توضع على وسادة الفراش قبل النوم، لها سحرها العجيب، وبطاقة صغيرة ملونة كتب عليها كلمة جميلة لها أثرها الفعال، والرجل حين يدفع ثمن الهدية، فإنه يسترد هذا الثمن إشراقاً فى وجه زوجته، وابتسامة حلوة على شفتيها، وكلمة ثناء على حسن اختيارها، ورقة وبهجة تشيع فى أرجاء البيت، وعلى الزوجة أن تحرص على إهداء زوجها أيضاً.

٢ ـ تخصيص وقت للجلوس معاً لإنصات بتلهف واهتمام للمتكلم، وقد تعجب بعض الشراح لحديث أم زرع من إنصات الحبيب المصطفى ﷺ فى حديث عائشة الطويل وهى تروى القصة.

٣ ـ النظرات التى تنم عن الحب والإعجاب، فالمشاعر بين الزوجين لا يتم تبادلهما عن طريق أداء الواجبات الرسمية أو حتى عن طريق تبادل كلمات المودة فقط، بل كثير منها يتم عبر إشارات غير لفظية من خلال تعبيرة الوجه، ونبرة الصوت، ونظرات العيون، فكل هذه من وسائل الإشباع العاطفى والنفسى، فهل يتعلم الزوجان فهم لغة العيون؟ وفهم لغة نبرات الصوت وفهم تعبيرات الوجه، فكم للغة العيون مثلاً من سحر على القلوب؟.

٤ ـ التحية الحارة والوداع عند الدخول والخروج، وعند السفر والقدوم، وعبر الهاتف.

٥ ـ الثناء على الزوجة، وإشعارها بالغيرة المعتدلة عليها، وعدم مقارنتها بغيرها.

٦ ـ الاشتراك معاً فى عمل بعض الأشياء الخفيفة كالتخطيط للمستقبل، أو ترتيب المكتبة، أو المساعدة فى طبخة معينة سريعة، أو الترتيب لشىء يخص الأولاد، أو كتابة طلبات المنزل، أو غيرها من الأعمال الخفيفة، والتى تكون سبباً للملاطفة والمضاحكة وبناء المودة.

٧ - الكلمة الطيبة، والتعبير العاطفى بالكلمات الدافئة والرقيقة كإعلان الحب للزوجة مثلاً، وإشعارها بأنها نعمة من نعم الله عليه.

٨ - الجلسات الهادئة، وجعل وقت للحوار والحديث، يتخلله بعض المراح والضحك بعيداً عن المشاكل، وعن الأولاد وعن صراخهم وشجارهم، وهذا له أثر كبير فى الألفة والمحبة بين الزوجين.

٩ - التوازن فى الإقبال والتمتع، وهذه وسيلة مهمة، فلا يُقبِل على الآخر بدرجة مفرطة، ولا يمتنع وينحرف عن صاحبه كلياً، وقد نُهِى عن الميل الشديد فى المودة، وكثرة الإفراط فى المحبة، ويحتاج المتمتع إلى فطنة وذكاء فلا إفراط ولا تفريط، وفى الإفراط فى الأمرين إعدام للشوق والمحبة، وقد ينشأ عن هذا الكثير من المشاكل فى الحياة الزوجية.

١٠ - التفاعل من الطرفين فى وقت الأزمات بالذات، كأن تمرض الزوجة، أو تحمل فتحتاج إلى عناية حسية ومعنوية، أو يتضايق الزوج لسبب ما، فيحتاج إلى عطف معنوى، وإلى من يقف بجانبه، فالتألم لألم الآخر له أكبر الأثر فى بناء المودة بين الزوجين وجعلهما أكثر قرباً ومحبة أحدهما للآخر.

❀ ❀ ❀

كيف تحدث القرآن عن الأنوثة؟

هل تحدث القرآن عن الأنوثة؟ وكيف تحدث عنها؟

نعم لقد تحدث القرآن عن المرأة وكان التركيز كله فى الآيات الكريمة على إخفاء أنوثة المرأة أمام الرجال الغرباء؛ لأن طبيعة المرأة التى جبلها الله عليها تفيض أنوثة ورقة ونعومة، ويؤكد رأينا هذا قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ **(الزخرف: ١٨)**.

وقد جاء فى تفسير هذه الآية من كتاب «فى ظلال القرآن» لسيد قطب رحمه الله:

«أفما كان من اللياقة والأدب ألا يخصوا الله بمن يُنشّأ فى الحلية والدعة والنعومة».

عزيزى القارئ:

إذا تجولت معنا فى آيات القرآن التى تتحدث عن المرأة لرأينا العجب العُجاب على ما ينبغى أن تكون عليه المرأة مع محارمها وخصوصاً الزوج، فتعالوا معنا لنقف مع بعض الآيات هذه الوقفات.

الوقفة الأولى مع قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ **(الزخرف: ١٨)**.

أى تُنشأ المرأة منذ أن تكون طفلة فى الحلية والدعة والنعومة كما جاء فى تفسير فى ظلال القرآن والحلية هى الزينة.. وهنا يأتى السؤال ما معنى التزين؟

التزين هو: اتخاذ الزينة وهى ما يُستعمل استجلاباً لحسن المنظر من الحلى وغيره.

ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ **(يونس: ٢٤)**، أى حسنت وبهجت بالنبات.

والتزين يكون بالزيادة المنفصلة عن الأصل (أى أصل الخلقة) قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ **(فصلت: ١٢)**.

قال القرطبى: الزينة المكتسبة ما تحاول المرأة أن تحسن نفسها به كالثياب والحلى والكحل والخضاب، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ **(الأعراف: ٣١)**.

والسؤال هنا لمن تتزين المرأة؟

وفى رأيى أن المرأة تتزين لنفسها أولاً؛ لِمَ لهذا الجمال من أثر على حالتها النفسية.

ثم تتزين للزوج ولمحارمها وللنساء، والأصل فى التزين عموماً الاستحباب لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ **(الأعراف: ٣٢)**.

وانظروا معنا إلى هذا المشهد من حياة الرسول الحبيب ﷺ. فقد روى مكحول عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم، وفى الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته وشعره، فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال: **«نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال»** هكذا كان يفعل الحبيب ﷺ فكان يتزين ويحسن هيئته عند مقابلة أصحابه، فأين التزين للزوج؟

ونحن لا نخص المرأة بالتزين ولكن أيضاً على الزوج أن يتزين لزوجته كما كان يفعل ابن عباس الذى كان يمشط شعره ويقول: «إنى أحب أن أتزين لزوجتى كما أحب أن تتزين لى».

وتأمل معى عزيزى القارئ قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

(النور: ٣١).

أى لا يبدين الزينة الباطنة كالقلادة والخلخال والسوار، والذى يظهر هو الثياب.

لماذا اهتم الله سبحانه وتعالى بعدم إظهار المرأة لزينتها؟

لا شك أن إظهار زينة المرأة يُظهر أيضاً جمالها وأنوثتها ونعومتها، وهذا لا يرضاه الله أن تفعله خارج بيتها وللغرباء من الرجال، وعلى العكس طبعاً فهو أمر مستحب وجائز وهام جداً للزوج بل واجب للزوج لإحصائه ومساعدته على غض البصر وملأ نفسه وعينه وقلبه.

الوقفة الثانية مع قوله تعالى: ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ **(الأحزاب: ٣٣)**.

يقول صاحب كتاب «فى ظلال القرآن»:

«لقد كانت المرأة فى الجاهلية تتبرج ولكن جميع الصور التى تُروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة أو محتشمة حتى تُقاس إلى تبرج أيامنا هذه فى جاهليتنا الحاضرة».

قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشى بين الرجال، وكانت لهن مشية تكسر وتغنج كما جاء فى تفسير ابن كثير فنهى الله تعالى عن ذلك، فأين المشية والتكسر والتغنج للزوج عزيزتى الزوجة؟

وقال مقاتل بن حيان: والتبرج أنها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيدارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها. وذلك التبرج.

هيا بنا عزيزى القارئ لنغوص أكثر فى هذه الآية، ولنبدأ بالسؤال ما معنى التبرج؟

التبرج: هو إظهار محاسن المرأة (من بدنها) وزينتها «مما يُلبس فوق البدن» أمام الرجال.

❀ ❀ ❀

كيف تعبران عن حبكما؟

إن مشاعر الحب مشاعر سامية وهى معنوية موطنها القلب، والقلب عالم مغيب لا يوصل على ما بداخله إلا ببريد، كاللسان مثلاً، فاللسان هو واحد من وسائل التعبير عن أحاسيس القلب ومشاعره، وهناك الأفعال السلوكية التى يمكن للمحب أن يعبر بها عن حبه لغيره وأجدر الناس بإتقان فن التعبير عن الحب هما الزوجان.

فليخبره أنه يحبه:

انظر عزيزى القارئ إلى حديث الرسول ﷺ وهو فى رياض الصالحين: «عن أبى كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»** (رواه أبو داود والترمذى) فكيف يكون الحال بين الزوجين، إذا كان هذا هو الحال بين الإخوة، وقد أخبرنا الله عز وجل عن شكل العلاقة بينهما وهى المودة والرحمة فى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ **(الروم: ٢١)**، فإن كان هناك حب فى القلب فأخبرها وأخبريه بهذا الحب لتدوم المودة وتزداد المحبة.

الحب يحتاج لوقت:

تظهر كثير من الأبحاث أن أهم سبب لضعف العلاقات الزوجية وتدهورها هو قلة الوقت الذى يقدمه كل من الزوجين لنمو هذه العلاقة، فتعقيدات الحياة وكثرة مشاغلها الفوضوية أحياناً تحرم كثيراً من الأزواج فرص المعايشة وقضاء الوقت المشترك.

ويقول كثير من الأزواج أن العلاقة بينهما أهم من ترتيب المنزل أو غيره من الأعمال، إلا أننا نجد هؤلاء يجدون وقتاً لترتيب المنزل وغيره، ولا يجدون وقتاً لقضائه بهدوء مع شريك الحياة.

ولذلك فنحن نقترح على الأزواج أن يحاولوا عدم الافتراق الطويل بينهما فى سفر أو غيره، وأن تكون الأولوية عندهم للعيش المشترك وقضاء الوقت معاً.

والخطأ الذى يمكن أن يقع فيه بعض الأزواج أنه إذا لاحظنا أن علاقتهما حسنة

نوعاً ما فإنهما يتوقفان عن استثمار الوقت المناسب فى تقوية هذه العلاقة وتنميتها، ويتجاهلان أحياناً بعض المشكلات والتوترات الصغيرة، وليتفهم الطرفان جيداً أن نمو الحب بين الزوجين، لن يحصل ما لم يستثمر كل من الزوجين الوقت والجهد المطلوب فى رعاية الطرف الآخر. وأن الإنسان عندما يصاب بمرض يهدد حياته أو بحادث خطير فإن أمنيته فى هذه الحالات قد لا تكون أن يتاح له وقت ليعمل فى مهنته بشكل أفضل، وإنما يتمنى مزيداً من الوقت ليقضيه مع من يحب.

أيها الزوجان: المشاعر الرقيقة الجياشة فى القلب وحدها لا تكفى لنمو الحب بين الزوجين، ولكن إظهار هذه المشاعر وإخراجها من حيز القلب إلى الرحاب الواسع هو المطلوب، فالتعبير عن الحب بين الزوجين يكون بوسائل مادية ومعنوية وبأشكال كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر هذه الأشكال التالية:

كيف يعبر الزوجان عن الحب؟

١ـ التعبير عن الحب بالإخلاص:

يقول أحد الأزواج: ليس شرطاً أن يعبر الزوج لزوجته عن حبه بالكلام المباشر بل الإخلاص لها وإعطاؤها الثقة وتقدير الزوج لظروف زوجته، وأن يكون غيوراً عليها ويوفر لها ما تريد هى من وسائل التعبير عن الحب، وهذه الأمور لابد أن تكون متبادلة بين الزوجين ولا تكون من طرف واحد حتى يسود الحب والتفاهم بينهما.

٢ـ التعبير عن الحب بالاحترام والتقدير:

ويقول آخر: إن افضل طريقة يعبر بها عن حبه لزوجته هو احترامه وتقديره لها، فالاحترام هو أهم شىء وهو يلغى الحواجز بين الزوجين، وإذا فقد الاحترام بين الزوجين فلن يكون هناك حب بينهما.

أما بالنسبة للتقدير فتقول إحدى الزوجات أنها تموت كمداً وحزناً عندما لا تجد التقدير من زوجها إذا وقفت بجانبه وضحت بالغالى والنفيس لبيتها وأولادها وزوجها، وإذا اهتمت أن تظهر أمامه فى أحسن صورة ثم لا يقدر هذا كله ولا يذكرها بالخير أمام الغير، فالتعبير عن الحب بالاحترام والتقدير هام جداً لنمو الحب بين الزوجين.

٣ ـ التعبير عن الحب بالكلام:

المرأة تحب أن تسمع الكلام أكثر من الفعل، وعلى العكس الرجل الذى يحب الفعل أكثر من الكلام، وهذا أحد الأزواج يقول: إننى دائماً أعبر لزوجتى عن حبى بالكلمات الرومانسية كما أهتم بشراء الهدايا لها فى المناسبات المختلفة وبمدحها أمام أهلها بالكلام الطيب.

٤ ـ التعبير عن الحب بالأفعال:

إن الرجل بطبعه عملى ولديه مسئوليات فإن تعبيره عن حبه لزوجته يكون بالأفعال أكثر مما هو بالكلام، فمثلاً يهتم بصحتها ويزور أهلها معها ويساعدها فى أعمال المنزل قدر المستطاع فهذا يعتبر ضمن التعبير عن الحب.

٥ ـ التعبير عن الحب بالهدايا:

يمكن أن يعبر أحد الزوجين للآخر عن حبه بالهدايا فى المناسبات وغيرها، وقد طرح هذا السؤال على الزوجات أيهما أحب للمرأة أن يشترى الزوج أربعاً وعشرين وردة ويقدمها لزوجته فى يوم واحد؟ أم يشترى أربعاً وعشرين وردة ويقدمها مقسمة على أربع وعشرين يوماً؟

فكان الجواب بالإجماع من الزوجات أن يشترى لها كل يوم وردة على مدار الأربع وعشرين يوماً، فالهدية هى رسالة حب مجسمة وصدق رسولنا حين قال: «تهادوا تحابوا».

٦ ـ التعبير عن الحب بالرسائل عبر الهاتف:

مثل «لا أستطيع أن أعيش من غيرك»، أو «أحبك ولا أقدر على فراقك»، وغيرها من الرسائل القصيرة المعبرة أثناء سفر الزوج مثلاً أو أثناء غيابه عن المنزل، وتذكيره أيضاً عن طريق الهاتف بالمناسبات السارة.

٧ ـ التعبير عن الحب وقت الشدائد:

تقول إحدى الزوجات: إن تعبيرى عن الحب لا يرتبط بموقف معين أو وقت معين، بل يكون لا شعورياً طوال الوقت، ويزداد خوفى عليه عندما يكون مريضاً أو يمر بظروف صعبة فى حياته، ففى أحد السنين مرض زوجى وظل ملازماً الفراش مدة

طويلة فأخذتُ أجازة من العمل مدة مرضه وبقيت معه حتى تعافى، وكان هذا الموقف منى تعبيراً لحبى واهتمامى بزوجى وأسرتى.

٨ ـ التعبير عن الحب بالمشاركة والتعاون:

إن الحياة الزوجية شركة بين اثنين، ومشاركة كل من الزوجين فى مواجهة المسئوليات ومصاعب الحياة وتربية الأولاد، والتعاون بينهما هو صورة من صور التعبير عن الحب.

٩ ـ التعبير عن الحب بالطاعة:

وهذه تقول: إن التعبير عن الحب للزوج يكون بالطاعة، وأن أفضل الشىء الذى يحبه وألا أخرج من البيت إلا بإذنه.

١٠ ـ التعبير عن الحب بالتفاهم:

يقول د/ ناصر المنيع المدرس المساعد بقسم علم النفس فى كلية الآداب جامعة الكويت: إن التفاهم أفضل وسيلة للتعبير عن الحب بين الزوجين، وهو محاولة فهم كل طرف للطرف الآخر بعد أن يفهم نفسه ودوره فى الأسرة، وبالتالى يستطيع أن يتعامل مع طرفه الآخر المعاملة الصحيحة ويعبر عن حبه دون حياء لأن الزوجة أصبحت جزءاً من زوجها، وكذلك الزوج أصبح جزءاً منها.

- **وهناك نقطة هامة أشار إليها د/ ناصر المنيع وهى:**

أن وسائل التعبير عن الحب تختلف عن وسائل التعبير عن الاحترام، فمثلاً أن يصرخ الرجل فى وجه زوجته أمام الناس لا يعنى أنه يحبها أو لا يحبها، وإنما يعنى أنه يحترمها أو لا يحترمها، فالحب أسمى وأرقى لأنه من الممكن أن يكون الإنسان لا يحب شخصاً ولكنه يحترمه.

التقصير ليس دليلاً!!

ويرى د/ ناصر المنيع أن تقصير أحد الزوجين مرة أو مرتين فى حق طرفه الآخر ليس دليلاً على عدم حبه له، فمن الممكن أن يغيب عن فكر الزوج مناسبة معينة مثل يوم زواجه ولا يتذكر أن يحضر هدية لزوجته، فليس معنى ذلك أنه لا يحبها لأنه لابد أن ننظر إلى

الظروف النفسية التى يمر بها أحد الزوجين التى تؤثر على السلوكيات والتصرفات.

وخلاصة القول:

يمكننا أن نقول أن التعبير عن الحب يكون من الزوج بالأفعال ومن الزوجة بالأقوال ويرجع ذلك إلى أن الرجل بطبيعته عقلانى وعملى، والصحيح الذى لا مراء فيه أن المرأة فى حاجة دائمة إلى العطف واللطف ولأن المرأة عاطفية بطبعها فإنها تعبر عن حبها بالكلام، والإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة بحاجة إلى سماع الكلمة الطيبة وكلمات الحب.

وليس شرطاً أن تكون التعبيرات صريحة مثل «أنا أحبك» ولكن الكلمة الطيبة حب، فالإنسان عامة يحتاج إلى تغذية عاطفية وهذه التغذية تكون بأساليب التعبير عن الحب، والعلاج هو أن يعبر الرجل عن حبه لزوجته بالكلام إلى جانب الفعل، وأن يفهم أن الرجل لابد أن يعطى لزوجته الحب والحنان، يقول رسولنا الكريم ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**.

وفق الله الأزواج إلى أفضل الوسائل للتعبير عن الحب بينهما.

خلاصتى فى مشهدى: عزيزى القارئ يمكننا أن نجمع وسائل التعبير عن الحب التى ذكرناها فى هذا المشهد للحصول على المزيد من مشاعر الحب بين الزوجين والتعبير هنا متبادل:

١ ـ التعبير عن الحب بالإخلاص. ٢ ـ التعبير عن الحب بالاحترام والتقدير.

٣ ـ التعبير عن الحب بالقول. ٤ ـ التعبير عن الحب بالفعل.

٥ ـ التعبير عن الحب بالهدايا.

٦ ـ التعبير عن الحب بالرسائل عبر الهاتف.

٧ ـ التعبير عن الحب وقت الشدائد. ٨ ـ التعبير عن الحب بالمشاركة والتعاون.

٩ ـ التعبير عن الحب بالطاعة. ١٠ ـ التعبير عن الحب بالتفاهم.

العلاقة العاطفية.. رؤية مشتركة

لا يطارد الإسلام المحبين ولا يصادر بواعث الحب والغرام، ولا يجفف منابع الود والاشتياق، ولكنه يهذب الشىء المباح حتى لا ينفلت الزمام، ويقع المرء فى الحرام والهلاك، وليس هناك مكان للحب فى الإسلام إلا فى واحة الزوجية.

إن من صفات الأزواج والزوجات الرائعين فى الحياة الزوجية، أنهما يحافظان على حبهما الزوجى ويحرصان على تنميته وتطويره ليكون متوقداً دائماً؛ لأن هناك كثيراً من الزيجات تفاجئ «بموت الحب» بين الطرفين فتصبح علاقتهما الزوجية علاقة جافة قاتلة، ولولا الأبناء لما استمرا فى زواجهما، ولكن هناك صنف آخر يشع الحب فى نفسيهما من خلال العبارات والنظرات والإشارات.

إن كثيراً من الملتزمين يرون فى الحب منقصة ومذمة، ويرون فيه ضعف ومذلة، وهذا خطأ جسيم، وفهم خاطئ، فتراه لا يتودد إلى زوجته، ولا يعرف للغزل سبيلاً، ولا للمداعبة طريقاً.

ولو نظر إلى حياة الرسول ﷺ - ورأى حبه الشديد لعائشة - وكيف كان يداعبها ويلاطفها؟ لعلم كيف يكون الحب بين الأزواج من شيم الكمال، وليس من صفات النقص. لقد كان ﷺ يحث بعض صحابته على الزواج بالأبكار.. لماذا؟

من أجل المداعبة والملاعبة والملاطفة، وقد كان فى ذلك صريحاً وواضحاً.

«فهل بكراً تلاعبها وتلاعبك»

وهنا يبرز سؤال مهم هو: لماذا يكون الشغف والوله عند العصاة ولا يكون، عند الطائعين فى الحلال؟

وقد ذكر القرآن شغف امرأة العزيز: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (يوسف: ٣٠)، ولكن يوسف عليه السلام - أبى طريق العصاة والأزواج أولى بهذا الشغف الذى يملأ القلوب طالما أنه فى الحلال، فالحب يعطى للحياة الزوجية طعما آخر لا يتذوقه إلا المخلصون الأوفياء.

العلاقة العاطفية.. رؤية مشتركة

إن من أهم الأشياء لبناء الحياة العاطفية الناجحة: التفاهم بين الزوجين، والتفاهم يكون فى البداية فى كيفية اختيار شريك الحياة على أسس صحيحة من الدين والكفاءة الشخصية والعائلية، وبعد ذلك فى الأمور المهمة والأساسية فى الحياة الزوجية مثل الأولاد وكيفية تربيتهم والقيام على شئونهم، وكذلك الأمور المالية وكيفية الإنفاق، وأخيراً المسائل الجنسية وكيفية إشباع رغبة الزوجين من الآخر.

وإذا تم التفاهم على قدر كبير من الأمور السابقة، فلابد بعدها أن يتعرف كل من الرجل والمرأة على طبيعة الآخر، وكيف تفكر المرأة وكيف يفكر الرجل؟ وكيف يعبر كل منهما عن مشاعره؟

وبعد ذلك لابد من الاستفادة من العلاقة الجسدية لبناء علاقة عاطفية ناجحة ومثمرة؛ لأن هذه العلاقة تولد الشوق والحيوية بالنسبة لكلا الطرفين.

والأهم من ذلك كله أن يتعلم الزوجان قاعدتين مهمتين لبيوت سعيدة هما:

أن البيوت تُبنى على الحب، وأن دمار البيوت يبدأ من جفاف المشاعر، فيجب المحافظة على أجواء البيوت هادئة ومستقرة ومعين متجدد للحب والدفء والحنان.

اغترف مما فى القلب إن الله تعالى لم يخلق لنا العواطف إلا لنتبادلها، ونتعامل بها، وهى كسائر ما خلق الله لنا فيها حكمة ومنفعة.

يقول الشيخ محمد حسين فى كتابه «العشرة الطيبة للمرأة»:

أرأيت أيها الزوج العاقل لو أن إنساناً أعطاه الله نعمة المال الكثير فكنزه ولم يستثمره ولم ينفق منه على نفسه ولا على من يجب عليه النفقة عليهم.. ما تقول فيه؟

إن المال جعله الله ليتداول بين الناس لا ليكنزوه، وكذلك كنوز العواطف التى تملكها فى قلبك لزوجتك، ولا يصل منها إليها ما يكفيها، ولهذا لا يقنعها ملكك لها وكنزها فى قلبك، بل ستشكك فى وجودها عندك.

انفق أيها الفتى على أهلك، ولا تحرمهم رفدك فيزداد منها بعدك، قل لها بملء الفم، واغترف مما فى القلب، ولا تجعلها تشعر أبداً أنك بخيل القلب حتى لو كنت سخى اليد.

قالت إحداهن:

ماذا يريد الزوج منى؟ وربما قالت بعض الزوجات: ماذا يريد الزوج منى؟

ألا يجد طعامه مطهياً وثوبه مكوياً وبيته نظيفاً وأولاده رائعين، وحاجاته مهيأة إنه لا يطلب منى طلباً إلا حققته، ولا يريد حاجة إلا سارعت فى تنفيذها.

ماذا يريد الزوج أكثر من ذلك؟

أيتها الزوجة إن الزوج بحاجة إلى العاطفة التى أنت مصدرها.. إنه بحاجة إلى الابتسامة المشرقة من فيك التى تبدد ظلمات الكآبة التى تعترضه فى الحياة، إنه يريد أن يرى الإنسانة التى تعنى به وتظهر له الاهتمام الكبير، وتشعره أنه بالنسبة إليها قطب الرحى وأساس السعادة إنه يريد أن يسمع كلمة الشوق والشكر والحب والرغبة فى الأنس به واللقاء.

إن كلمة شكر وامتنان من الزوجة مع ابتسامة عذبة تسديها إلى الزوج بمناسبة شرائه متاعاً إلى البيت، أو ثوباً لها، تدخل عليه من السرور الشىء الكثير، قولى له الكلمة الطيبة لو كان نصيب المجاملة فيها كبيراً لتجدى منه الود والرحمة والتفاهم، مما يحقق لك الجو المنعش الجميل.

رددى بين الحين والآخر عبارات الإعجاب بمزاياه، واذكرى له اعتزازك بالزواج منه، وأنك ذات حظ عظيم، فإن ذلك يرضى رجولته ويزيد تعلقه بك، قابليه وقت دخوله بالكلمة الحلوة العذبة وتناولى منه ما يحمل بيديه، وأنت تلهجين بذكره وانتظاره إياه، فذلك كله من الكلمة الطيبة التى تأتى بالسعادة لا تكلفك شيئاً وتعود عليك بالنفع العظيم.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة غرفاً يرُى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»** فقال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: **«لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام»** (أخرجه أحمد والحاكم).

ومما لا تتم السعادة الزوجية إلا به تحبب كل من الزوجين إلى صاحبه، وإظهار صدق المودة، وتبادل الكلمات الحنونة، فإن ذلك أحسن ما تستقيم به أحوال الزوجين،

وأفضل ما تُبنى عليه حياتهما ولما امتدح الله حور الجنة ذكر من جميل أوصافهن كونهن: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: ٣٧).

والعروب: هى المتحببة إلى زوجها.

والحياة الزوجية التى يفقد من قاموسها الكلمات الطيبة الجميلة، والعبارات الدافئة حياة قد أفلت أنجم السعادة فيها.

❀ ❀ ❀

الترغيب فى الزواج

- **قال تعالى:** ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٢).

- **وقال تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩).

- **وقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (النحل: ٧٢).

وكان ﷺ وهو من كان القرآن خلقه يحُث على الزواج ويرّغب فيه، روى البخارى عن عبد الرحمن بن يزيد قال: «دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله كنا مع النبى ﷺ شباباً لا نجدُ شيئاً، فقال لنا رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع عليه بالصوم فإنه له وجاء»**[١].

- **قوله ﷺ الباءة:** بالهمز وتاء تأنيث ممدوده وفيه لغة أخرى بغير همز ولا مد وقد يهمز ويمد بلا هاء ويقال لها أيضاً الباهة كالأول لكن بهاء بدل الهمزة وقيل بالمد: القدرة على مؤن النكاح، وبالقصر الوطء.

(١) أخرجه البخارى (٥/١٩٥٠)، ومسلم (٢/١٠١٨).

قال الخطابى: المراد بالباءة النكاح وأصله الموضع الذى يتبوؤه ويأوى إليه.

وقال المازرى: اشتق العقد على المرأة من أصل الباءة لأن من شأن من يتزوج المرأة أن يبوءها منزلاً.

وقال النووى: اختلف العلماء فى المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد أصحهما أن المراد معناها اللغوى وهو الجماع، فتقديره: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهى مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطع الوجاء، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالباً.

والقول الثانى: أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح سميت باسم ما يلازمها، وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته والذى حمل القائلين بهذا على ما قالوه.

ـ **قوله ﷺ: «ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم» قالوا:** والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة على المؤن، وانفصل القائلون بالأول عن ذلك بالتقدير المذكور، أهـ.

والتعليل المذكور للبازرى، وأجاب عنه عياض بأنه لا يبعد أن تختلف الاستطاعتان فيكون المراد بقوله ﷺ: «من استطاع الباءة» أى بلغ الجماع وقدر عليه فليتزوج ويكون قوله ﷺ: «ومن لم يستطع» أى من لم يقدر على التزويج.

ـ **قوله ﷺ:** فليتزوج: زاد[1] فى «كتاب الصيام» من طريق أبى حمزة عن الأعمش هنا «فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج».

ـ **وقوله: «أغضُّ»:** أى أشد غضاً، «وأحَصَنُ» أى أشد إحصاناً له ومنعاً من الوقوع فى الفاحشة.

ـ قوله: «فإنه له وجاء»: أى حصن.

---

(١) أخرجه البخارى.

واستنبط القرافي من قوله: «فإنه له وجاء أن التشريك فى العبادة لا يقدح فيها بخلاف الرياء لأنه أمر بالصوم الذى هو قربه وهو بهذا القصد صحيح مثاب عليه ومع ذلك فأرشد إليه لتحصيل غض البصر وكف الفرج عن الوقوع فى المحرم، اهـ[(١)].

وفى الصحيحين عنه عن النبى ﷺ قال: **«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[(٢)].

وعن أنس: أن نفراً من أصحاب النبى ﷺ سألوا أزواج النبى ﷺ عن عمله فى السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال: **«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»**[(٣)]، وفى سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس يرفعه قال ﷺ: **«لم نَرَ للمتحابين مثل النكاح»**[(٤)].

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدنيا متاع وخيرُ متاع الدنيا المرأة الصالحة»**[(٥)].

وكان ﷺ يحرِّض أمته على نكاح الأبكار الحسان وذوات الدين ففى سنن النسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: **«التى تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ومالها بما يكره»**[(٦)].

وقال ﷺ: **«عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتقُ أرحاماً وأرضى باليسير»**[(٧)]، ولما تزوج جابر رضي الله عنه ثيباً قال له: **«ألا تزوجتها بكراً تلاعبك وتلاعبها وتضاحك وتضاحكها»**[(٨)].

---

(١) فتح البارى (١٠٨/٩).

(٢) أخرجه البخارى (١٩٥٨/٥)، ومسلم (٢٠٨٦/٢).

(٣) أخرجه البخارى (١٩٤٩/٥)، ومسلم (١٠٢٠/٢).

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) وغيره.

(٥) أخرجه مسلم.

(٦) حسن: أخرجه النسائى وأحمد.

(٧) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٨٦١)، والبيهقى (٨١/٧)، وانظر: السلسلة الصحيحة للعلامة الألبانى رحمه الله تعالى (٦٢٢).

(٨) أخرجه البخارى (٢٠٠٨/٥)، ومسلم (١٧٦/٤)، وأحمد (١٤٤٨٢) واللفظ له. =

وكان ﷺ يحث على نكاح الولود ويكره المرأة التى لا تلد كما فى سنن أبى داود عن معقل بن يسار: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فنهاه، فقال: **«تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم**[1]**»**[2].

- وقال ﷺ: **«تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»**[3].

وقيل:

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

● الزواج من سنن المرسلين:

والزواج من سنن المرسلين كما أخبر تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨)، وقال ﷺ: **«أربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواكُ والحياء»**[4].

- وبشر ﷺ طالب العفاف بعون الله تعالى، فقال: **«ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف»**[5].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «التمسوا الغنى فى النكاح، يقول الله تعالى: (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله، والله واسع عليم)»[6].

- وكان هديه ﷺ فيه «أكمل هدى يحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس

= والزواج بالبكر يولد رابطاً قوياً بين الرجل وبين المرأة، هذا الرابط النفسى الذى لا يفارق المرأة طيلة حياتها فلا تنسى أبداً أول رجل مد يده إليها، وتحسسها وقبّلها وفض بكارتها، وأول من همس فى أذنها بكلمة «أحبك»، وأول من التصق بجسدها بعد قلبها وعقلها، فيا له من إحساس لا تدركه إلا كل فتاة اتخذت القرآن منهجاً وسبيلا.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١/٣٢٠)، والنسائى (٢/٧١) وغيرهما.

(٢) انظر: زاد المعاد (٥/٩٥) بتصرف. (٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١/٦٠٧).

(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٥/٤١٢).

(٥) حسن: أخرجه ابن أبى عاصم فى الجهاد (١/٢٧٤)، والترمذى والنسائى.

(٦) أخرجه الطبرى (١٨/١٢٦).

ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها، فإن الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور هى مقاصده الأصلية:

- **أحدها:** حفظ النسل ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التى قدر الله بروزها إلى هذا العالم.

- **الثانى:** إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

- **الثالث:** قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الإنزال.

وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة، قال جالينوس: الغالب على جوهر المنى النار والهواء ومزاجه حار رطب لأن كونه من الدم الصافى الذى تتغذى به الأعضاء الأصلية، وإذا ثبت فضل المنى فاعلم أنه لا ينبغى إخراجه إلا فى طلب النسل أو إخراج المحتقن منه فإنه إذا دام احتقانه أحدث أمراضاً رديئة منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرىء استعماله من هذه الأمراض كثيراً فإنه إذا طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سمية توجب أمراضاً رديئة كما ذكرنا ولذلك تدفعه الطبيعة بالاحتلام إذا كثر عندها من غير جماع.

وقال بعض السلف: ينبغى للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثاً: أن لا يدع المشى فإن احتاج إليه يوماً قدر عليه، وينبغى أن لا يدع الأكل فإن أمعاءه تضيق، وينبغى أن لا يدع الجماع فإن البئر إذا لم تنزح ذهب ماؤها.

وقال محمد بن زكريا: من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى أعصابه وانسدت مجاريها وتقلص ذكره، قال: ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلَّت شهواتهم وهضمهم. آ هـ.

ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه فى دنياه وأخراه وينفع المرأة لذلك كان ﷺ يتعاهده ويحبه ويقول: **«حُبِّبَ إلىَّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة»**[1].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائى (٧/٦١)، وأحمد (٣/١٢٨).

• التحذير من الزنا:

والزواج حصن واقى بين العبد وبين الوقوع فى الزنا، والذى هو من أعظم الكبائر، وقد حذر تعالى من الزنا ومفسدته، فإنه «لما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد وهى منافية لمصلحة نظام العالم فى حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقى ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه، وفى ذلك خراب العالم كانت تلى مفسدة القتل فى الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بها فى كتابه ورسوله ﷺ فى سننه كما تقدم.

قال الإمام أحمد: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنا، وقد أكد سبحانه حرمته بقوله: ﴿الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ **(الفرقان: ٦٨)** الآية، فقرن الزناء بالشرك وقتل النفس وجعل جزاء ذلك الخلود فى النار فى العذاب المضاعف المهين ما لم يرفع العبد وجب ذلك بالتوبة والإيمان العمل الصالح.

وقد قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ **(الإسراء: ٣٢)**، فأخبر عن فحشه فى نفسه، وهو القبيح الذى قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه فى العقول حتى عند كثير من الحيوانات كما ذكر البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودى قال: «رأيت فى الجاهلية قرداً زنا بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا»[1]، ثم أخبر عن غايته بأنه ساء سبيلاً فأنه سبيل هلكة وبوار وافتقار فى الدنيا وسبيل عذاب فى الآخرة وخزى ونكال، ولما كان نكاح أزواج الآباء من أقبحه خصه بمزيد ذم فقال: أنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا، وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له إلى الفلاح بدونه فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ **(المؤمنون: ١ - ٧)**، وهذا يتضمن ثلاثة أمور من لم يحفظ فرجه يكن من المفلحين وأنه من الملومين ومن العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع فى اللوم فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك ونظير هذا أنه ذم الإنسان

(١) أخرجه البخارى، قلت: وهذا هو حال القردة، فما بال أقوام لم يتساوو بالقردة، ومات فيهم الحس الدينى والغيرة على أعراضهم، وكفاهم تقليد إخوان القردة والخنازير، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنه خلق هلوعاً لا يصبر على شر ولا خير بل إذا مسه الخير منع وبخل، وإذا مسه الشر جزع إلا من استثناه بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: ٥ - ٧)، وأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم وأن يعلموا أنه مشاهد لأعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضة مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدأها من النظر كما أن معظم النار مبدأها من مستصغر الشرر ثم تكون نظرة ثم تكون خطرة ثم خطوة ثم خطيئة، ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات، فينبغى للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا تتبيراً[1].

فالزواج هو الدرع والوجاء بين العبد وبين الوقوع فى الزنا والعياذ بالله تعالى، والزواج أحد السبل التى تعين على شرع الله تعالى كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩)، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).



---

(١) انظر: الجواب الكافى لابن القيم (١٠٥/١).

محبة الزوجة تعين على طاعة الله تعالى

فأما محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرع الله سبحانه له من النكاح، وملك اليمين من إعفاف الرجل نفسه وأهله فلا تطمح نفسه إلى سواها من الحرام ويعفها فلا تطمح نفسها إلى غيره، وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩)، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

وفى الصحيح عنه ﷺ: «أنه سئل من أحب الناس إليك فقال: عائشة»[١]، ولهذا كان مسروق – رحمه الله – يقول: إذا حدث عنها: حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات.

وصح عنه ﷺ أنه قال: **«حبِّب إلىَّ من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة»**[٢].

فلا عيب على الرجل فى محبته لأهله وعشقه لها، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة الله ورسوله، وزاحم حبه وحب رسوله فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها وتنقصها فهى مذمومة، وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها فهى محمودة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يحب الشراب البارد الحلو ويحب الحلواء والعسل ويحب الخيل، وكان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب الدباء فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله بل قد تجمع الهمه والقلب

---

(١) أخرجه البخارى (١٥٨٤/٤)، ومسلم (١٨٥٦/٤).

(٢) تقدم.

على التفرغ لمحبة الله، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه.

فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قربة، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثب ولم يعاقب، وإن فاته درجة من فعله متقرباً به إلى الله[(١)].

● **ويجدر بنا هنا ذكر أزواج النبى ﷺ:**

ـ **أولاهن:** خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية تزوجها قبل النبوة ولها أربعون سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وهى التى آزرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها وأرسل الله إليها السلام مع جبريل وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ـ ثم تزوج بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة القرشية وهى التى وهبت يومها لعائشة.

ـ ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات حبيبة رسول الله ﷺ بنت أبى بكر الصديق وعرضها عليه الملك قبل نكاحها فى سرقة من حرير وقال: «هذه زوجتك»[(٢)] تزوج بها فى شوال وعمرها ست سنين وبنى بها فى شوال فى السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين[(٣)]، ولم يتزوج بكراً غيرها وما نزل عليه الوحى فى لحاف امرأةٍ غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهى أفقه نسائه وأعلمهن بل أفقه

---

(١) انظر: إغاية اللهفان (٢/٢٤٠).

(٢) أخرجه البخارى (٥/١٩٦٩) ومسلم (٤/١٨٨٩).

(٣) وقد أثيرت الكثير والكثير من الطعون من المستشرقين وأذيالهم فى زواج النبى ﷺ وعمرها تسع سنوات، وقد رد أهل العلم مطاعن الطاعنين وسهامهم فى نحورهم، ومن المقرر أن زواجه ﷺ بأم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - كان من الله تعالى كما تقدم الحديث، وما كان من الله تعالى فله حكم كثيرة وعظيمة، منها: أنه كان على النبى ﷺ أن يتزوج بالصغيرة لتحمل عبء الدعوة والتبليغ عنه بعده ﷺ، وقد شارف الموت ﷺ، وهذا ما كان منها - رضى الله عنها - إذ تُعد أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - من أكثر الصحابة رواية لأقوال وأفعال النبى ﷺ، وهى التى بلغت بحياة الأمة بحياة النبى ﷺ الخاصة من قيام ونوم وصلاة وعمل فى بيته، وحياة زوجية وغير هذا الكثير، وما كان هذا لأحد غيرها من أزواجه ﷺ، ولو كانت كبيرة السن لماتت بعد النبى ﷺ بفترة وجيزة وأماتت معها أكثر السنن والأخبار بحياة النبى ﷺ.

ـ أما كيف بنى ولم يتعد عمرها التسع سنوات، وهل كانت أهلاً للزواج فى هذا السن الصغير؟ =

نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبى ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها وقيل إنها أسقطت من النبى ﷺ سقطاً ولم يثبت.

- ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها، وذكر أبو داود أنه طلقها ثم راجعها.

- ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بنى هلال بن عامر وتوفيت عنده بعد ضمه لها بشهرين.

- ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبى أمية القرشية المخزومية واسم أبى أمية حذيفة بن المغيرة وهى آخر نسائه موتاً وقيل آخرهن موتاً صفية.

- ثم تزوج زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة وهى ابنة عمته أميمة وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذى زوجها لرسوله من فوق سماواته وتوفيت فى أول خلافة عمر بن الخطاب وكانت أولاً عند زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ تبناه فلما طلقها زيد زوجه الله تعالى إياها لتتأسى به أمته فى نكاح أزواج من تبنوه.

- وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية وكانت من سبايا بنى المصطلق فجاءته تستعين به على كتابتها فأدى عنها كتابتها وتزوجها.

- ثم تزوج أم حبيبة واسمها بنت أبى سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية وقيل اسمها هند تزوجها وهى ببلاد الحبشة مهاجرة وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار وسيقت إليه من هناك وماتت فى أيام أخيها معاوية هذا هو المعروف المتواتر عند

= - فمن المعروف أن الذين يعيشون فى المناطق القريبة من خط الاستواء تصل الفتاة عندهم إلى سن الحيض أسرع من الفتاة التى تعيش فى المناطق الباردة أو البعيدة عن خط الاستواء، فإن الأولى تحيض فى سن الثمانى أو تسع سنوات، بينما الثانية يتأخر عندها الحيض إلى سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر أو أكثر من ذلك.

فائدة: نشرت جريدة الجمهورية المصرية (١٩٩٧/١٠/١) الصفحة الثانية منها هذا الخبر تحت عنوان «طفلة باكستانية ٨ سنوات حامل فى شهرها الخامس تقول: اكتشف الأطباء الباكستانيون وجود طفلة عمرها ٨ سنوات حاملاً فى شهرها الخامس..».

أهل السير والتواريخ وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة ولحفصة بالمدينة ولصفية بعد خيبر.

- وتزوج ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير من ولد هارون ابن عمران أخى موسى فهى ابنة نبى وزوجة نبى، وكانت من أجمل نساء العالمين وكانت قد صارت له من الصفى أمة فأعتقها وجعل عتقها صداقها فصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة أن يعتق الرجل أمته ويجعل عتقها صداقها فتصير زوجته بذلك فإذا قال أعتقت أمتى وجعلت عتقها صداقها أو قال جعلت عتق أمتى صداقها صح العتق والنكاح، وصارت زوجته من غير احتياج إلى تحديد عقد ولا ولى وهو ظاهر مذهب أحمد وكثير من أهل الحديث.

وقالت طائفة هذا خاص بالنبى ﷺ وهو مما خصه الله به فى النكاح دون الأمة وهذا قول الأئمة الثلاثة ومن وافقهم، والصحيح القول الأول لأن الأصل عدم الاختصاص حتى يقوم عليه دليل والله سبحانه لما خصه بنكاح الموهوبة له قال فيها: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، ولم يقل هذا فى المعتقة ولا قاله رسول الله ﷺ ليقطع تأسى الأمة به فى ذلك فالله سبحانه أباح له نكاح امرأة من تبناه لئلا يكون على الأمة حرج فى نكاح أزواج من تبنوه فدل على أنه إذا نكح نكاحاً فلأمته التأسى به فيه ما لم يأت عن الله ورسوله نص بالاختصاص وقطع لتأسى وهذا ظاهر.

- ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهى آخر من تزوج بها تزوجها بمكة فى عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح، وقيل قبل إحلاله هذا قول ابن عباس: فإن السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة وهو أبو رافع وقد أخبر أنه تزوجها حلالاً، وقال كنت أنا السفير بينهما وابن عباس إذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها وكان غائباً عن القصة لم يحضرها وأبو رافع رجل بالغ وعلى يده دارت القصة، وهو أعلم بها ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم وماتت فى أيام معاوية وقبرها بـ «سرف».

. قيل ومن أزواجه ريحانة بنت زيد النضرية وقيل القرظية سبيت يوم بنى قريظة فكانت صفى رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها ثم طلقها تطليقة ثم راجعها.

وقالت طائفة بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين حتى توفى عنها فهى

معدودة فى السرارى لا فى الزوجات والقول الأول اختيار الواقدى ووافقه عليه شرف الدين الدمياطى، وقال: هو الأثبت عند أهل العلم وفيما قاله نظر فإن المعروف أنها من سراريه وإمائه، والله أعلم.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتى دخل بهن وأما من خطبها ولم يتزوجها ومن وهبت نفسها له ولم يتزوجها فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله ﷺ لا يعرفون هذا بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها فدخل عليها ليخطبها فاستعاذت منه، فأعاذها ولم يتزوجها وكذلك الكلبية وكذلك التى رأى بكشحها بياضاً فلم يدخل بها، والتى وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن هذا هو المحفوظ، والله أعلم.

ولا خلاف أنه ﷺ توفى عن تسع وكان يقسم منهن لثمان عائشة وحفصة وزينب بنت حجش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية.

وأول نسائه لحوقاً به بعد وفاته ﷺ زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخر هن موتاً أم سلمة سنة اثنتين وستين فى خلافة يزيد، والله أعلم.

• أما سراريه ﷺ:

فقال أبو عبيدة: كان له أربع: مارية وهى أم ولده إبراهيم وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها فى بعض السبى وجارية وهبتها له زينب بنت جحش(١).

ـ الزواج فى الجاهلية:

وكان الزواج فى الجاهلية على أربعة أوجه:

ـ فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

ـ ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلى إلى فلان فاستبضعى(٢) منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة فى

---

(١) زاد المعاد (١٠٥/١) بتصرف. (٢) من المباضعة، أى الجماع.

نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

- ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

- والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون التشابه به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم[1].

- أسس اختيار الزوجة:

قال تعالى: ﴿ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ **(البقرة: ٢٢١)**، وقال تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ **(التحريم: ٥)**، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ **(الأحزاب: ٣٥)**.

- روى البخارى عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: **«تُنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[2].

- **قوله: تنكح المرأة لأربع:** أى لأجل أربع.

---

(١) النظر البخارى (٥/ ١٩٧٠).

(٢) أخرجه البخارى (٥/ ١٩٥٨)، ومسلم (٢/ ١٠٨٦).

ـ **قوله: لمالها ولحسبها:** الحسب فى الأصل الشرف بالآباء وبالأقارب مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر أبائهم وقومهم وحسبوها، وقيل المراد بالحسب هنا الفعال الحسنة.

ويؤخذ منه أن الشريف النسيب يُستحب له أن يتزوج نسيبه إلا أن تعارض نسيبه غير ديّنة وغير نسبية دينة فتقدم ذات الدين وهكذا فى كل الصفات، وأما قول بعض الشافعية: «يستحب أن لا تكون المرأة ذات قرابة قريبةً» فإن كان مستنداً إلى الخبر فلا أصل له أو إلى التجربة، وهو أن الغالب أن الولد بين القريبين يكون أحمق فهو متجه[1].

ـ **قوله: وجمالها:** يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة غير ذات الدين وغير الجميلة الدينة نعم لو تساويتا فى الدين فالجميلة أولى ويلتحق بالحسنة الذات الحسنة الصفات ومن ذلك أن تكون خفيفة الصداق.

ـ **قوله: فاظفر بذات الدين، فى حديث جابر:** «فعليك بذات الدين» والمعنى أن اللائق بذى الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره فى كل شىء لاسيما فيما تطول صحبته فأمره النبى ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذى هو غاية البغية.

ـ **قوله: تربت يداك:** أى لصقتا بالتراب، وهو كناية عن الفقر وهو خبر بمعنى الدعاء لكن لا يراد به حقيقته وبهذا جزم صاحب العمدة زاد غيره أن صدور ذلك من النبى ﷺ فى حق مسلم لا يستجاب لشرطه ذلك على ربه، وحكى ابن العربى أن معناه استغنت ورد بأن المعروف اترب إذا استغنى وترب إذا افتقر ووجه بأن الغنى الناشئ عن المال تراب لأن جميع ما فى الدنيا تراب ولا يخفى بعده وقيل معناه ضعف عقلك وقيل افتقرت من العلم وقيل فيه تقدير شرط أى وقع لك ذلك إن لم تفعل ورجحه ابن العربى وقيل معنى افترقت خابت.[2]

فأول الشروط وأهمها التى يجب أن تتوفر فى الزوجة: الدين، كما قال تعالى: ﴿

(١) كذا فطن أهل العلم من المسلمين منذ زمن إلى الآثار المترتبة على زواج الأقارب وحذروا منها، حتى جاء العلم الحديث مؤيداً لمقالتهم وما ذهبوا إليه.

ـ ويجدر بنا هنا التنبيه إلى خضوع الزوجين إلى الكشف قبل الزواج دفعاً لأية آثار جانبية قد تظهر بعد الزواج فى حالات بعينها.

(٢) انظر فتح البارى (١٣٦/٥) بتصرف.

وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ **(البقرة: ٢٢١)**، ولقوله تعالى: **﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور: ٢٦)**، وقوله تعالى: ﴿ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ **(النساء: ٣٤)**، فإنها إن كانت على دين رجوتَ منها الخير، وأول مظاهر تدين المرأة «الصلاة»، وهى الصلة بين العبد وربه، فإن كانت على صلة طيبة بينها وبين ربها رجوتَ منها أن تكون على صلة طيبة بينك وبينها - ولله المثل الأعلى - فمن فرطت فى أمر ربها وحقه لا عيب عليها إن فرطت فى أمر وحق زوجها!!، ومن رضى أن تكون زوجته مفرطة فى أمر ربها وفرضه فلا يلومن إلا نفسه إن هى فرطت فى حقه ولم تحافظ على بيته.

- وإن كانت الزوجة ذات دين فهى على خلق، وهذا بديهى، فالدين الإسلامى وهو دين الوسطية من يعتنقه يكون بين الإفراط والتفريط، فلا هى مفرطة فى تدينها ولا هى مفرطة فى دينها، وتراها وقد تخلقت بخلق القرآن الكريم، من حجاب ومعاملات وحديث وغير هذا مما فرضه القرآن الكريم على المرأة.

وإذا انضم إلى الدين الجمال فبها ونعمت، وقد رغَّب النبى ﷺ فى الجمال فقال: **«إن الله جميل يحب الجمال»**[1]، وقوله ﷺ وقد سئل: «أى النساء خير؟» قال: **«التى تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ومالها بما يكره»**[2]، والمرأة المتدينة الجميلة نور على نور، وإن كانت ذات مال وحسب فقد جمعت من صفات الخير الكثير.

- ومن الصفات المطلوبة فى الزوجة أن تكون ودوداً ولوداً، كما قال ﷺ: **«تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم»**[3].

- ومنها أيضاً: أن تكون ذات عطف وحنان لقوله ﷺ: **«خير نساء ركبن الإبل أحناهُ على طفل وأرعاه على زوج فى ذات يده»**[4].

- أن تكون بكراً: لقوله ﷺ لجابر: **«ألا تزوجتها بكراً تلاعبك وتلاعبها وتضاحك وتضاحكها»**[5].

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرج البخارى (١٩٥٥/٥)، ومسلم (١٩٥٩/٤).
(٥) سبق تخريجه.

- وصح عن أم المؤمنين - رضى الله عنها - وعن أبيها أنها قالت يوماً لرسول الله ﷺ - وهى تشير إلى زواجه منها، وهى البكر التى لم يتزوج رسول الله ﷺ غيرها بكراً -: «أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها فى أيها كنت ترتع بعيرك قال فى الذى لم يرتع منها تعنى أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها»(1).

- فإن كانت هناك قرينة تدعو إلى نكاح الثيب فبها ونعمت.

- ومن طريف ما روى فى الفرق بين الثيب والبكر أن جارية عرضت على الخليفة المتوكل فقال لها: أبكر أنت أم أيش؟ قالت: أيش يا أمير المؤمنين!

- واشترى أحدهم جارية فسألها: ما أحسبك إلا بكراً! فقالت له: لقد كثرت الفتوح فى زمان الواثق!.

- وقال أحدهم لجارية: أبكر أنت؟ قالت: نعوذ بالله من الكساد (تعنى الثيوبة)!

- وعرضت على أحدهم جاريتان بكر وثيب فمال إلى البكر، فقالت الثيب: أما رغبت فيها وما بينى وبينها إلا يوم - تعنى أنها ليلة بين البكر وكونها تكون ثيب - فقال لها: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧).

- أن تكون ممن تربى على مائدة القرآن والسنة، لا ممن تربى على مائدة الشرق والغرب، التى تجرى وتلهث خلف كل ما هو جديد فى عالم الموضة والأزياء والمناكير، ودنيا «الكاسيت» والمطربين، وتأخذ سنتها وقدوتها من المطربين والمطربات والراقصين والراقصات والممثلين والممثلات، فالحذر أخى من الإقتران بفتاة لم تختمر بخمار ربها، وقدمت عليه خمار أهل الفن والدعارة والمجون فعرَّاها ولم يسترها، وجعلها سلعه معروضة لكل ذى عينين، لينظرها، وشفتين ليحدثها ويمازحها ويهاتفها، ويدين فى الطريق والمواصلات يتحسسها، فاظفر بذات الدين تربت يداك(2).

(١) أخرجه البخارى (١٩٥٣/٥).

(٢) ففى أثناء كتابة هذه السطور يتعرض أحدهم لفسخ خطوبته الثالثة فى خلال عام واحد، فبعد أن أنهى علاقته بمخطوبته الأولى - رغم كونها ذات دين وخلق، ولا أعلم سبباً مقنعاً لديه لفسخ تلك الخطبة - عرضت عليه أخته فتاة: لا تصلى، متبرجة سافرة، ولا أظن الأهل أصحاب صلاة ودين لبعض ما شهدته عندهم، ثم إذا به يكتشف أنها على علاقة - صداقة! - بشخص آخر! =

ومن مواصفات الزوجة الصالحة أيضاً:

- التى تحسن الاستماع إلى زوجها وتعينه على طاعة الله تعالى، الرقيقة الطيبة الحانية الزاهدة الستيرة الراضية الرزينة الطاهرة العفيفة خفية الصوت الودودة الحليمة الرفيقة من ليست بالحنانة[1] أو المنانة[2] أو الأنانة[3] أو النقارة أو البراقة أو الخداعة أو الكذابة أو الحداقة[4] أو الشداقة[5] أو اللعوب أو المتفاكهة أو المتواكلة أو الكسولة أو المتهتكة أو العاهرة أو العصبية أو الخيالية أو العنيدة أو الساذجة، ولا متمرضة، ولا متشدقة، ولا تفرط فى زينتها، ولا مهملة لنفسها وجمالها.

- هذا ولا حرج فى عرض الرجل ابنته أو أخته على من يرى فيه الصلاح، فقد عرض شعيب ابنته على موسى عليهما السلام كما أخبر تعالى عنه قوله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٧) الآية.

- وقد عرض الفاروق عمر رضي الله عنه ابنته حفصة للزواج بعدما مات زوجها، كما روى البخارى وغيره عن عمر بن الخطاب وقد تأيمت ابنته رضي الله عنها يقول: «فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال سأنظر فى

= فأنهى علاقته بها، ولأن البيت بيت لم تحطه سياج الدين والعفة والآداب الإسلامية، فكان يجالس أختها ويمازحها ويضاحكها، لما لا وهى أخت خطيبته والكل إخوات وحبايب!!، «فوقع» فى حبها من «النظرة الأولى»، وألقت الفتاة شباكها عليه، حتى جاءنى يوماً ليقص على مدى تعلقه بها وحبه لها، فحذرته أن يكون الإناء واحد! وقلت له: أخشى عليك أن تكون تلك الفتاة قدرضعت من نفس الإناء فتكون كأختها، فقال: لا لا ، إنها مختلفة تماماً عن أختها، قلت له: ولكنها لا تصلى، وأنت والحمد لله من أهل الصلاة، فلا يغرنك منها سبباً فى «شدها» هدايتها إلى طريق ربها، وبدلاً من أن تشدها أنت لأعلى تهوى هى بك لأسفل - لعلى أكون سبباً فى التزامها بدينها وصلاتها، حتى فوجئت به منذ أيام قليلة ومع حلول شهر رمضان المبارك يكلمنى هاتفياً قائلاً: لقد أنهيت علاقتى بالفتاة وأختها! كيف يا أخى وقد كنت تهيم حباً بها؟ قال: لقد اكتشفت علاقتها بأكثر من شاب، والكل عنده رقم الهاتف والمواعيد والتنزه والخروج.

(١) التى تحن إلى زوج آخر غير زوجها، أو من تقارن بينه وبين غيره.

(٢) كثيرة المن على زوجها بما فعلت.

(٣) كثيرة الأنين والشكوى.

(٤) التى تشتهى كل ما تقع عليه حدقتها، فتكلف زوجها ما لا يطيق.

(٥) المتشدقة فى كلامها المتقعرة فيه.

أمرى، فلبثت ليالى، فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلى شيئاً[1]، فكنت عليه أوجد[2] منى على عثمان، فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علىَّ حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك، قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت، إلا أنى قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشى سرَّ رسول الله ﷺ ولو تركها لقبلتها»[3].

ـ ولم يزل هذا الأمر منذ رسول الله ﷺ ثم صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من بعده، حتى سلّمه الصحابة إلى التابعين وتابعى التابعين، فقد ذكرت كتب السير عن عبد الله بن وادعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياماً[4]، فلما أتيته قال: أين كنت؟ قلتُ: توفيت زوجتى فاشتغلت بها، قال: هل أخبرتنى فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله تعالى، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثاً، فقال: أنا[5]، فقلت: وتفعل؟! قال: نعم، فحمد الله تعالى وصلى على النبى ﷺ وزوجنى على درهمين - أو قال: ثلاثة ـ قال: فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فعدت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ، ممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلى، فأسرجت، وكنتُ صائماً، فقدمت عشائى لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا؟، قال: سعيد، قال: ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد، إلا سعيد بن المسيب، وذلك أنه لم يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد، فخرجت إليه، فإذا به سعيد بن المسيب، فظننت أنه بدا له ـ أى رجع عن رأيه ـ فقلت: يا أبا محمد: لو أرسلت إلىَّ! لأتيتك، فقال: لا، أنت أحق أن تؤتى، فقلت: ماذا تأمر؟ فقال، إنك رجلاً عزباً فتزوجتَ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، وإذا هى قائمة خلفه فى طوله، فدفعها فى الباب ورده.

---

(١) أى لم يتكلم بشىء. (٢) أى أكثر وجداً وحزناً.

(٣) أخرجه البخارى.

(٤) أى فقدنى فى مجلسه، وكان هذا من الآداب التى يتحلى بها أهل العلم، وهو تفقدهم أهل مجالستهم ومعرفة حالهم.

(٥) وكان لسعيد بن المسيب بنتا قد خطبها الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد فرفضه سعيد بن المسيب.

قال: ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

- ولا حرج أيضاً فى عرض المرأة نفسها على من ترى فيه الزوج الصالح لها، إذا أمنت الفتنة، وكان الرجل صالحاً ورعاً، كما كان من أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها - وعرضها نفسها على النبى ﷺ.

- وهنا ننبه إلى التأنى فى اختيار زوجة المستقبل، فلا تستحب العجلة دون اتقاء زوجة المستقبل، فما هى المعايير والأسس الموضوعة عند اختيار زوج وزوجة المستقبل.



أسس اختيار الزوج

ـ أما الأسس التى يجب على كل فتاة أن تضعها نصب عينيها عند قبول من يتقدم لخطبتها، فأول هذه الشروط والأسس والمعايير: الدين، فإن صاحب الدين إذا أحب المرأة أكرمها، وإذا كرهها لم يظلمها.

ـ قال تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ **(البقرة: ٢٢١)**، وقوله تعالى: ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ **(النور: ٢٦)**، وقال ﷺ: **«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفسادٌ عريضٌ»**[١].

وقال النبى ﷺ لبنى بياضة: **«أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه، وكان حجاماً»**[٢].

وعن ابن أبى حازم عن أبيه عن سهل قال: «مَرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: ما تقولون فى هذا؟ قالوا: حرىٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون فى هذا؟ قالوا: حرىٌّ إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يستمع، فقال: رسول الله ﷺ هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا»[٣].

فالدين أختاه هو «الترمومتر» الذى تستطيعين به الحكم على الرجال، وليس ما يملك من مال أو شهادات، ولكن إن انضم إلى الدين المال أو المؤهل فبها ونعمت، ولا يقدم أبداً على صاحب الدين صاحب أحدث صيحة فى قص الشعر! أو أحدث صيحة فى عالم الملابس! ومن يحفظ الأغانى ولا يعى صدره آية من كتاب الله تعالى، أو حديثاً من أحاديث النبى ﷺ ولا المتخنثين الذين عج بهم الطريق فلا تستطيع أن تفرق بين الفتى والفتاة من الملبس أو الشعر! ولا صاحب الكلام المسعول، «الدبور» الذى ينتقل بين الأزهار ليرتشف الرائحة من هذه وتلك، ولا من يقف على باب مدرستك

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (١٠٨٥)، وابن ماجه (٦٠٦ - ٦٠٧)، والحاكم (١٦٤/٣).

(٢) صحيح: أخرجه البيهقى (١٣٦/٧).

(٣) أخرجه البخارى (١٩٥٨/٥).

ينتظر خروجك لتتنزها معاً خلسة عن الأهل، ولا من ذاق طعم «القبلة» منك قبل أن تحلى له، ولا من يضع «الأسطوانة» فى حديثك معه تليفونياً، الحذر الحذر أختاه من تلك الذئاب الضارية، واعلمى أنه لن يستقيم بيت نال فيه الشاب ما أراده من فتاته قبل البناء بها، فهو بين فكى رحى: الشك فيها أن تكون مع غيره كما كانت له قبل البناء، وبين إذلالها بتسليمها نفسها له قبل أن تحل له، فكونى على حذر أختاه، وعليك بصاحب الدين الذى يريد أن يأخذ بيدك إلى ربك وإلى جنته.

فإن كان من حملة كتاب الله تعالى فيُقدم على غيره، وإن كان من أهل الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة فيها ونعمت، فالدين هو الأساس الذى عليه تُبنى الحياة الزوجية السعيدة:

- أن يكون مستطيعاً لتحمل نفقات الزواج لقوله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[1].

وكم من شاب «أحب فتاة»، والتقت الأفكار بعد العيون، وتناغمت الأنفاس تعزف أجمل ألحان الحب الذى لم يشهد العالم مثله، وكم التقت الأحلام، فيرى الشاب الحلم، فيقصه على فتاته، فتكمله هى! كم فكر فى مكالمتها هاتفياً فيجد الهاتف قد «رنَّ» وكانت هى! كم من قصص «الحب» قد نمت وترعرعت فى خيال كثير من الفتيات، ثم إذا جاء الحديث عن الزواج كان سراباً وذهبت الأحلام أدراج الرياح، وتحطمت على صخرة الواقع، وأخذت معها ما أخذت من قصص المذلة وذهاب العفة والأدب والحياء، ثم لم تعد.

أما قوله ﷺ لفاطمة بنت قيس: **«أما معاوية فصعلوكٌ لا مال له»**[2]، فهذا إذا تقدم للفتاة اثنين من أهل الدين والورع، فيقدم صاحب المال على الآخر، ولا يرفض صاحب الدين لقلة ماله.

- ويستحب فيه أيضاً: أن يكون رفيقاً بالنساء لقوله ﷺ فى شأن أبى جهم: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»[1]، قالوا: أى كثير الضرب للنساء.

---

(١) أخرجه البخارى (١٩٥٠/٥)، ومسلم (١٠١٨/٢).

(٢) أخرجه مسلم (١١١٤/٢).

ـ ويستحب فيه أن يكون جميل المنظر حسن الهيئة: حتى تُسر الفتاة عند رؤيته فلا تنفر منه.

ـ **أن يكون شاباً:** فيقدم على الشيخ العجوز ليحصل التناسب العقلى والعاطفى، ولا حرج فى زواج الشيخ الكبير ممن تصغره، فرب شيخ عجوز أفضل من مائة شاب.

ـ **أن يكون كفؤاً للفتاة:** من حيث العمر، والمستوى التعليمى ـ والدين أولاً ـ والعقلى، والمادى، والبدنى، ونحو هذا.

● الكفاءة فى النكاح:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ **(الحجرات: ١٣)**، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ **(الحجرات: ١٠)**، وقال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ **(التوبة: ٧١)**، وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ **(آل عمران: ١٩٥)**.

وقال ﷺ: **«ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»**[٢]، وفى الترمذى عنه ﷺ: **«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض»**[٣]، وقال النبى ﷺ لبنى بياضة: **«أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه وكان حجاماً»**[٤].

وزوج النبى ﷺ زينب بنت جحش القرشية من زيد بن حارثة مولاه وزوج فاطمة بنت قيس الفهرية القرشية من أسامة ابنه، وتزوج بلال بن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ **(النور: ٢٦)**، وقد قال تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ **(النساء: ٣)**.

فالذى يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين فى الكفاءة أصلاً وكمالاً فلا تزوج مسلمة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/٤١١).

(٣) تقدم ذكره.

(٤) تقدم ذكره.

بكافر ولا عفيفة بفاجر ولم يعتبر القرآن والسنة فى الكفاءة أمراً وراء ذلك فإنه حرم على المسلمة نكاح الزنى الخبيث ولم يعتبر نسباً ولا صناعة ولا غنى ولا حرية فيجوز للعبد الفقير نكاح الحرة النسيبة الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً، وجوز لغير القرشيين نكاح القرشيات، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات وللفقراء نكاح الموسرات.

وقد تنازع الفقهاء فى أوصاف الكفاءة فقال مالك فى ظاهر مذهبه إنها الدين وفى رواية عنه إنها ثلاثة الدين والحرية والسلامة من العيوب.

وقال أبو حنيفة: هى النسب والدين، وقال أحمد فى رواية عنه: هى الدين والنسب خاصة، وفى رواية أخرى هى خمسة الدين والنسب والحرية والصناعة والمال، وإذا اعتبر فيها النسب فعنه فيه روايتان أحدهما: أن العرب بعضهم لبعض أكفاء، الثانية: أن قريشاً لا يكافئهم إلا قرشى وبنو هاشم لا يكافئهم إلا هاشمى، وقال أصحاب الشافعى يعتبر فيها الدين والنسب والحرية والصناعة والسلامة من العيوب المنفرة.

ولهم فى اليسار ثلاثة أوجه اعتباره فيها وإلغاؤه واعتباره فى أهل المدن دون أهل البوادى فالعجمى ليس عندهم كفئاً للعربى ولا غير القرشى للقرشية ولا غير الهاشمى للهاشمية ولا غير المنتسبة إلى العلماء والصلحاء المشهورين كفئاً لمن ليس منتسباً إليهم، ولا العبد كفئاً للحرة ولا العتيق كفئاً لحرة الأصل ولا من مس الرق أحد آبائه كفئاً لمن لم يمسها رق ولا أحداً من أبنائها، وفى تأثير رق الأمهات وجهان، ولا من به عيب مثبت للفسخ كفئاً للسليمة منه فإن لم يثبت الفسخ وكان منفراً كالعمى والقطع وتشويه الخلقة فوجهان، واختار الرويانى أن صاحبه ليس بكفء ولا الحجام والحائك والحارس كفئاً لبنت التاجر والخياط ونحوهما ولا المحترف لبنت العالم ولا الفاسق كفئاً للعفيفة ولا المبتدع للسنية ولكن الكفاءة عند الجمهور هى حق للمرأة والأولياء.

ثم اختلفوا فقال أصحاب الشافعى: هى لمن له ولاية فى الحال، وقال أحمد فى رواية: حق لجميع الأولياء قريبهم وبعيدهم فمن لم يرض منهم فله الفسخ، وقال أحمد فى رواية ثالثة: إنها حق الله فلا يصح رضاهم بإسقاطه، ولكن على هذه الرواية لا تعتبر الحرية ولا اليسار ولا الصناعة ولا النسب إنما يعتبر الدين فقط، فإنه لم يقل أحمد ولا أحد من العلماء إن نكاح الفقير للموسرة باطل وإن رضيت ولا يقول هو ولا

أحد إن نكاح الهاشمية لغير الهاشمى والقرشية لغير القرشى باطل وإنما نبهنا على هذا لأن كثيراً من أصحابنا يحكون الخلاف فى الكفاءة هل هى حق لله أو للآدمى ويطلقون مع قولهم إن الكفاءة هى الخصال المذكورة وفى هذا من التساهل وعدم التحقيق ما فيه»[١].

- فإذا أراد الرجل أن يخطب فتاة فله أن يرسل أمه أو بعض أهله - كأخته مثلاً - ليريا من الفتاة ما يدعوه إلى خطبتها، من خلق حسن وبيت طيب وحسن معاملة.

لا خير فى حسن الفتاة وعلمها ... إن كان فى غير الصلاح رضاؤها

فجمالها وقف عليها إنما ... للناس منها دينها ووفاؤها

وإن تزوجتَ فكن حاذقاً ... واسأل عن الغصن وعن منبته

واسأل عن الصهر وأحواله ... من جيرة الحى وذى قربته

• صلاة الاستخارة:

فإذا وجد الرجل الفتاة التى يرى فيها أنها تصلح لتكون شريكة حياته، وتقدم للفتاة الرجل يخطبها، استخار الله تعالى فى هذا الأمر العظيم، فيصلى كل منهما صلاة الاستخارة.

يقول جابر رضي الله عنه: «كان النبى ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كالسورة من القرآن، وصفتها: يقول ﷺ: **«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدرُ وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمى الأمر - خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى قال ويسمى حاجته»**[٢].

- ويصلى العبد صلاة الاستخارة فى أى وقت شاء، ركعتين، ثم بعد التسليم يدعو

---

(١) زاد المعاد (٥/٩٥) بتصرف.

(٢) أخرجه البخارى.

بهذا الدعاء، وله أن يكررها ولا حرج فى هذا[1]، فصلاة الاستخارة دعاء، ولا حرج فى تكرار الدعاء، ولا يلزم بعد الاستخارة أن يرى العبد رؤيا، بل سيرى إما التيسير أو عدمه، أو الراحة النفسية للأمر والإقدام عليه أو عدمه.

وتصلى الفتاة صلاة الاستخارة، فهى تستخير رب العالمين فى شأن من تقدم لخطبتها، إذا رأت فيها ما يدعوها إلى قبوله، لا أن تصلى الفتاة صلاة الاستخارة عندما يتقدم إليها السكير مثلاً أو تارك الصلاة المفرط فى أمر دينه، فإنها ترفض من البداية أن تربط حياتها بمن يستهين بحقوق ربه عليه، فكيف له أن يحافظ على حقوقها أو يعطيها إياها.

- هذا ولا يجوز لمن عرف تقدم شاب إلى فتاة ليخطبها أن يتقدم لخطبتها هو أيضاً: فقد نهى ﷺ أن **«يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبلهُ أو يأذن له الخاطب»**[2].

- كما لا يجوز خطبة من توفى عنها زوجها حتى تنتهى عدتها، ولكن يجوز للخاطب التعريض بالخطبة لها، قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ **(البقرة: ٢٣٥)**، أو للمطلقة المبتوتة - وهى التى طلقت ثلاث مرات - لحديث الإمام مسلم أن النبى ﷺ قال لفاطمة بنت قيس وكانت قد طُلقت ثلاث مرات: **«اعتدى عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنينى»**[3].

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى: وفيه جواز التعريض بخطبة البائن وهو الصحيح عندنا.

- والتعريض بالخطبة: كأن يقول الرجل للمرأة وهى فى عدتها من وفاة زوجها:

---

(١) وروى فى تكرار صلاة الاستخارة سبع مرات حديث ولكنه ضعيف، وللعبد أن يكررها عددَ ما يشاء دون تقييد بوقت أو عدد، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

إنك على لكريمة، وإنى فيك لراغب، وإن الله لسائق إليك خيراً ورزقاً، أو يقول: إنى أريد التزوج ولوددت أنه يُسر لى امرأة صالحة، ونحو هذا.

ـ إباحة النظر إلى وجه المخطوبة والفتاة إلى مخطوبها:

فإذا تقدم لخطبتها فله أن يرى منها الوجه والكفين: روى المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له رسول الله ﷺ: **«أنظرت إليها؟ قلت: لا، قال: فانظر إليها فإنه أجدرُ أن يؤدَمَ بينكما»**[1].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل، قال: فخطبت جاريةً فكنت أتخبأُ[2] لها حتى رأيت منها ما دعانى إلى نكاحها وتزوجها فتزوجتها»**[3].

ـ وعن سهل بن سعد الساعدى ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله جئت أهب لك نفسى قال فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه»[4].

وعن أبى هريرة قال: «كنت عند النبى ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ أنظرت إليها قال لا: قال فاذهب فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئاً»[5].

ـ وقد ذهب جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً إلى جواز نظر الرجل إلى من يريد خطبتها، إلا أنه وقع الخلاف بينهم فيما يُنظر إلى المرأة، فذهب الجمهور إلى جواز

(١) صحيح: أخرجه الترمذى والنسائى وغيرهما.

(٢) كان هذا فى زمن العفة والحشمة والحجاب، أما اليوم فالخاطب يرى من يريد خطبتها قبل الذهاب إلى بيت أهلها يرى منها الصدر والنحر والساق والساعد والرقبة والشعر والوجه والكفين والفخذين والعجيزة «المجسمة» والفرج والدبر «مجسماً»، وأظنه قد لا يفوته شيئاً لا يراه فى زمن خلعت فيه نساء المسلمين حجاب العفة والطهارة والإسلام! فلا تستطيع أن تفرق بين فتاة مسلمة وأخرى على ملة غير الإسلام فى الطريق من تزيي الجميع بزى واحد، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وكما قيل: كلما زادت المرأة من كشف جسدها كلما كان هذا منها دعوة إلى الزنا بها أكبر وأدعى.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود وأحمد.

(٤) أخرجه البخارى ومسلم.

(٥) أخرجه مسلم وغيره.

النظر رؤية الوجه والكفين، وعن الإمام أحمد ثلاث روايات: النظر إلى الوجه والكفين، النظر إلى ما يظهر منها غالباً كالرقبة والساقين، النظر إليها كلها، وذهب ابن حزم إلى النظر إلى جميع بدنها.

- فإذا تمت الموافقة بين الأهل، فله أن يصلى صلاة الاستخارة مرة أخرى إن شاء، ويترك الفتاة لتستخير ربها فيمن تقدم لخطبتها.

- **موافقة البكر والثيب على الزواج:** وتستأذن البكر على من تقدم لخطبتها: وإذنها صماتها، أما الثيب فإنها تستأمر، لقوله ﷺ: **«لا تنكح الأيام حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله وكيف إذنها قال: أن تسكت»**[١]، وفى صحيح مسلم: **«البكرُ تستأذنُ فى نفسها وإذنها صماتها قال نعم»**[٢].

وثبت عنه فى الصحيحين: «أن خنساء بنت حذام زوجها أبوها وهى كارهة وكانت ثيباً فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها»[٣].

وفى السنن من حديث ابن عباس: «أن جارية بكراً أتت النبى ﷺ فذكرت له أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى ﷺ»[٤].

وهذه غير خنساء فهما قضيتان قضى فى إحداهما بتخيير الثيب وقضى فى الأخرى بتخيير البكر.

وموجب هذا الحكم أنه لا تجبر البكر البالغ على النكاح ولا تزوج إلا برضاها وهذا قول جمهور السلف ومذهب أبى حنيفة وأحمد فى إحدى الروايات عنه وهو القول الذى ندين الله به ولا نعتقد سواه وهو الموافق لحكم رسول الله ﷺ وأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته.

أما موافقته لحكمه فإنه حكم بتخيير البكر الكارهة وليس رواية هذا الحديث مرسلة بعلة فيه فإنه قد روى مسنداً ومرسلاً[١]، فإن قلنا قول الفقهاء إن الاتصال

(١) أخرجه البخارى (١٩٧٤/٥)، ومسلم (١٠٣٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٧/٢).

(٣) أخرجه البخارى (١١٩٧٤/٥) ومسلم.

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٢٠٩٦) وابن ماجه (١٨٧٥) وأحمد (٢٤٦٩).

زيادة ومن وصله مقدم على من أرسله فظاهر ، وهذا تصرفهم فى غالب الأحاديث، فما بال هذا خرج عن حكم أمثاله وإن حكمنا بالإرسال كقول كثير من المحدثين فهذا مرسل قوى قد عضدته الآثار الصحيحة الصريحة والقياس وقواعد الشرع كما سنذكره فيتعين القول به.

وأما موافقة هذا القول لأمره فإنه قال: «والبكر تستأذن» وهذا أمر مؤكد لأنه ورد بصيغة الخبر الدال على تحقق المخبر به وثبوته ولزومه والأصل فى أوامره ﷺ أن تكون للوجوب ما لم يقم إجماع على خلافه.

وأما موافقته لنهيه فلقوله:

«ولا تنكح البكر حتى تستأذن» فأمر ونهى وحكم بالتخيير وهذا إثبات للحكم بأبلغ الطرق.

وأما موافقته لقواعد شرعه: فإن البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من مالها إلا برضاها ولا يجبرها على إخراج اليسير منه بدون رضاها فكيف يجوز أن يرقها ويخرج بضعها منها بغير رضاها إلى من يريده هو، وهى من أكره الناس فيه وهو من أبغض شىء إليها، ومع هذا فينكحها إياها قهراً، بغير رضاها إلى من يريده ويجعلها أسيرة عنده كما قال النبى ﷺ: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم»**[(٢)]، أى أسرى ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها ولقد أبطل من قال إنها إذا عينت كفئاً تحبه وعين أبوها كفئاً فالعبرة بتعيينه ولو كان بغيضاً إليها قبيح الخلقة.

وأما موافقته لمصالح الأمة: فلا يخفى مصلحة البنت فى تزويجها بمن تختاره وترضاه وحصول مقاصد النكاح لها به وحصول ضد ذلك بما تبغضه وتنفر عنه فلو لم تأت السنة الصريحة بهذا القول لكان القياس الصحيح وقواعد الشريعة لا تقتضى غيره وبالله التوفيق.

فإن قيل فقد حكم رسول الله ﷺ بالفرق بين البكر والثيب وقال: **«لا تنكح الأيام**

(١) أخرجهما الدارقطنى (٣/٢٣٤).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٣/٤٦٧).

حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن»[١]، وقال: «الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها»[٢]، فجعل الأيم أحق بنفسها من وليها فعلم أن ولى البكر أحق بها من نفسها وإلا لم يكن لتخصيص الأيم بذلك معنى، وأيضاً فإنه فرق بينهما فى صفة الإذن فجعل إذن الثيب النطق وإذن البكر الصمت وهذا كله يدل على عدم اعتبار رضاها وأنها لا حق لها مع أبيها.

فالجواب: أنه ليس فى ذلك ما يدل على جواز تزويجها بغير رضاها مع بلوغها وعقلها ورشدها وأن يزوجها بأبغض الخلق إليها إذا كان كفئاً والأحاديث التى احتججتم بها صريحة فى إبطال هذا القول وليس معكم أقوى من قوله: «الأيم أحق بنفسها من وليها» هذا إنما يدل بطريق المفهوم، ومنازعوكم ينازعونكم فى كونه حجة ولو سلم أنه حجة فلا يجوز تقديمه على المنطوق الصريح، وهذا أيضاً إنما يدل إذا قلت إن للمفهوم عموماً والصواب أنه لا عموم له إذ دلالته ترجع إلى أن التخصيص بالمذكور لابد له من فائدة وأن إثبات حكم آخر للمسكوت عنه فائدة، وإن لم يكن ضد حكم المنطوق وأن تفصيله فائدة كيف وهذا مفهوم مخالف للقياس الصريح بل قياس الأولى كما تقدم ويخالف النصوص المذكورة.

وتأمل قوله ﷺ: «والبكر يستأذنها أبوها» عقيب قوله: «الأيم أحق بنفسها من وليها» قطعاً لتوهم هذا القول، وأن البكر تزوج بغير رضاها ولا إذنها فلا حق لها فى نفسها البتة فوصل إحدى الجملتين بالأخرى دفعاً لهذا التوهم، ومن المعلوم أنه لا يلزم من كون الثيب أحق بنفسها من وليها أن لا يكون للبكر فى نفسها حق ألبتة.

وقد اختلف الفقهاء فى مناط الإجبار على ستة أقوال:

- **أحدها:** أنه يجبر بالبكارة وهو قول الشافعى ومالك وأحمد فى رواية.
- **الثانى:** أنه يجبر بالصغر وهو قول أبى حنيفة وأحمد فى الرواية الثانية.
- **الثالث:** أنه يجبر بهما معاً وهو الرواية الثالثة عن أحمد.
- **الرابع:** أنه يجبر بأيهما وجد وهو الرواية الرابعة عنه.

---

(١) أخرجه البخارى (١٩٧٤/٥)، ومسلم (١٠٣٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم فى السابق.

الخامس: أنه يجبر بالإيلاد فتجبر الثيب البالغ حكاه القاضى إسماعيل عن الحسن البصرى قال وهو خلاف الإجماع قال وله وجه حسن من الفقه فيا ليت شعرى ما هذا الوجه الأسود المظلم.

ـ **السادس:** أنه يجبر من يكون فى عياله ولا يخفى عليك الراجح من هذه المذاهب.

ـ وقضى ﷺ بأن إذن البكر الصمات وإذن الثيب الكلام فإن نطقت البكر بالإذن بالكلام فهو آكد وقال ابن حزم لا يصح أن تزوج إلا بالصمات وهذا هو اللائق بظاهريته.

وقضى رسول الله ﷺ أن اليتيمة تستأمر فى نفسها و «لا يتم بعد احتلام» فدل ذلك على جواز نكاح اليتيمة قبل البلوغ وهذا مذهب عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعليه يدل القرآن والسنة، وبه قال أحمد وأبو حنيفة وغيرهما، قال تعالى: **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ﴾** (النساء: ١٢٧)، قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى نكاحها ولا يسقط لها سنة صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يسقطوا لهن سنة صداقهن[١].

وفى السنن الأربعة عنه ﷺ: **«اليتيمة تستأمر فى نفسها فإن صمتت فهو إذنها وإن أبت فلا جواز عليها»**[٢].

ـ فإذا كان الرضى من المخطوبة، بدأ الأهل فى الحديث عن نفقات الزواج ومستلزماته، من إعداد بيت الزوجية وتجهيزه، والمهر ونحو هذا، وهنا يجب التنبيه على قضية المهر أو الصداق.

● الصداق: خيرُ النكاح أيسرهُ:

قال تعالى: **﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾** (النساء: ٤)، وقال تعالى: **﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** (النساء: ٢٦).

---

(١) أخرجه البخارى.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢٠٩٨) وابن ماجه (١٨٧٠)، والترمذى (١١٠٨) والنسائى (٦/٨٤).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود وابن حبان.

وقال تعالى: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ (النساء: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠).

ـ بيان قضائه ﷺ فى الصداق بما قل وكثر وقضائه بصحة النكاح على ما مع الزوج من القرآن:

ـ ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ: «كان صداقه لأزواجه ثنتى عشرة أوقية ونشاً، قالت: أتدرى ما النش؟ قال: قلت: لا، قالت: نصف أوقية فتلك خمس مائة درهم فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه»[1].

وفى صحيح البخارى كما تقدم أن النبى ﷺ قال لرجل: «انظر ولو خاتماً من حديد»[2]، وفيه: **«قال ماذا معك من القرآن، قال: معى سورة كذا وسورة كذا عددها فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»**، وفى النسائى: عن ثابت عن أنس قال: «خطب أبو طلحة أم سليم فقالت والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهرى وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها، قال ثابت فما سمعت بامرأةٍ قط كانت أكرم مهراً من أم سليم الإسلام فدخل بها فولدت له»[3].

فتضمنت هذه الأحاديث وغيرها أن الصداق لا يتقدر أقله، وأن خاتم الحديد يصح تسميته مهراً.

وتضمنت أن المغالاة فى المهور مكروهة، وأن أفضل النكاح أيسره مؤنة.

ـ النهى عن المغالاة فى المهور:

فاعلم أيها الولى أن من أهم أسباب انتشار العنوسة[4] وانصراف الشباب عن الزواج هو ما يجدونه من تعنت بعض الأباء والمغالاة فى المهور: وهذا العائق حُق له أن يوضع على رأس قائمة المعوقات التى تقف أمام شباب المسلمين وتردهم القهقرى كلما

(١) أخرجه مسلم. (٢) تقدم.

(٣) أخرجه ابن حبان (١/١٨٨).

(٤) حتى وصل متوسط سن الزواج عند البنات إلى ما [illegible] العشرين، ومنهن من تصل إلى سن الثلاثين.

فكر أحدهم أن يخطو خطوته الأولى نحو الزواج وبناء الأسرة الإسلامية، فتجد الشاب يُسئل أول ما يُسئل عما أدخره وما أعده توطئة لتكاليف ومؤنة الزواج، من مهر و«شبكة» - تليق بعروسه وأهلها - ثم يتبع هذا «فستان» الخطوبة للعروس - وربما لبعض أخواتها - ! ثم أين يقام «حفل» الخطوبة، وما يسلتزم هذا من تكاليف للعروسين، ثم هدايا العروس فى المناسبات الدينية و«القومية»! و «الوطنية» وعيد الأم وعيد الأب وعيد الأسرة! وعيد المُعلّم وعيد الفلاح وعيد الثورة وعيد تولية الملك وعيد سقوطه! وعيد ميلاد العروس وعيد ميلاد أم العروس وأخت العروس وبنت خالة العروس وكل من يمت بصلة إلى العروس!!!.

ثم يجلس إلى أهل العروس لسماع «الفرمان الحموى» وما صدر عن «المؤتمر» العائلى لكيفية إذلال هذا المتقدم لخطبة هذا الذى تجرأ وفكر أن يخطب وأن يتزوج ليقيم البيت الإسلامى إتباعاً لكتاب الله تعالى ولسنة نبينا محمد ﷺ! ويسمع هذا الخاطب ما أسفر عنه الاجتماع العائلى من توفير مسكن الزوجية - دون مغالاة - حجرتين وصالة - هذا مع انضمام «لجنة الرأفة» إلى جانب الخاطب - وفرش وتجهيز حجرة النوم بالمواصفات التى أملت عن آخر خاطب تقدم لخطبة فتاة فى العائلة[1]، والذى قد أحضر لعروسه حجرة نوم كذا وصالون وصفه كذا و«أنتريه» كذا، وكان «حل الزفاف» - الفرح - فى المكان كذا، فابنتنا ليست أقلّ من فلانة وعلانة بل هى تفوقهم جمالاً وزينة.

نداء: رحمة أيها الأباء والأمهات بأبناء المسلمين، أين أنتم من سنة نبيكم محمد ﷺ، وأين هى تلك الابنة من أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها -، بل أين هى من صاحبيات النبى ﷺ؟ أين نحن جميعاً من هديه ﷺ.

- وهنا نقول: هل الصداق من حق المرأة أو من حق وليها؟

- والجواب: إن الصداق حق خالص للمرأة، قال تعالى: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا**﴾ **(النساء: ٢٠)**، يقول الإمام ابن حزم فى المحلى[2]: «ولا يحل لأب البكر صغيرة كانت أو

(١) وقد يكون ذلك الخاطب قد «هرب» من ذلك التعنت الأسرى الحموى، وإذا لم يكن قد هرب فلعله الآن فى إحدى المصحات أو على أحد الأرصفة يتسول تكاليف الخطوبة.

(٢) المحلى (٩/٥١١).

كبيرة أو الثيب ولا لغيره من سائر القرابة أو غيرهم حكم فى شىء من صداق الابنة أو القريبة، ولا لأحد ممن ذكرنا أن يهبه ولا شيئاً منه لا للزوج طلق أو أمسك ولا لغيره، فإن فعلوا شيئاً من ذلك فهو مفسوخ باطل مردود أبداً، ولها أن تهب صداقها أو بعضه لمن شاءت ولا اعتراض لأب ولا لزوج فى ذلك» أ هـ.

والصداق يُعد ديناً على الرجل لزوجته عليه الوفاء به، فله أن يعجل بقضاءه.

- ويجوز للرجل أن ينكح المرأة ولا يسمى لها صداقا لقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ﴾

(البقرة: ٢٣٦)

• دبلة الخطوبة!

ومن الأمور التى انتشرت فى بلاد الإسلام ما يلبسه الخاطب أو الزوج ويُسمى بـ (دبلة الخطوبة) وهى عادة نصرانية، كان العروس - الزوج - يضع خاتم الزواج على رأس إبهام العروس اليسرى - الزوجة - ويقول باسم الأب، ثم على رأس السبابة ويقول: باسم الابن، ثم على رأس الوسطى ويقول: باسم الروح القدس، ثم يستقر به فى الإصبع البنصر وينتقل من اليد اليمنى وقت الخطبة إلى اليد اليسرى بعد الزواج (ليكون قريباً من القلب !!!).

وعادة ما يكون هذا الخاتم - أو الدبلة - من الذهب، وقد صح النهى من النبى ﷺ عن التختم بالذهب[1] للرجال، فروى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال أن رسول الله ﷺ: «رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»[2].

- وقال ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً»**[3].

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم وغيره، ولكل مسلم أقول له: لو أنك كنت مكان ذلك الصاحبى الكريم، وجرى عليك ما جرى عليه، فهل كنت ستفعل مثل ما فعل، فإن كنت فافعل الآن!.

(٣) حسن: أخرجه أحمد.

- وقد عمد بعض الرجال إلى استبدال لبس «دبلة» من ورق - فضة - بدلاً من الذهب حتى لا يقع تحت النهى، فوقع فى التشبه.

- وإنما صح عنه ﷺ اتخاذ الخاتم من ورق - أى فضة - فقد: «رأى ﷺ على بعض أصحابه خاتماً من ذهب فأعرض عنه فألقاه واتخذ خاتماً من حديد فقال هذا شرٌّ هذا حليةُ أهل النار فألقاه فاتخذ خاتماً من ورق فسكت عنه ﷺ»[1].

- حل خاتم الذهب ونحوه على النساء، وقد ذهب العلامة الألبانى - رحمه الله تعالى - إلى تحريم خاتم الذهب ونحوه كالسوار والطوق على النساء[2].

والعلامة الألبانى - رحمه الله تعالى - كان أحد المجددين وندعوا الله تعالى أن يجزيه عنا وعن الأمة الإسلامية كل خير لما قدم لهذا الأمة، إلا أنه رحمه الله تعالى قد جانبه الصواب فى هذه المسألة مع محاولته التحرى والبحث والاستقصاء، وقد ذهب العلماء سلفاً وخلفاً إلى حل الذهب المحلق للمرأة دون خلاف، واستقصاء هذه المسألة له موضع آخر، واكتفى هنا ببعض أقوال أهل العلم ممن ذهب إلى حِل الذهب دون تفصيل للمرأة.

يقول الإمام النووى فى شرح مسلم: «أجمع المسلمون على إباحة خاتم الذهب للنساء»، وقال فى المجموع[3]: «يجوز للنساء لبس الحرير والتحلى بالفضة والذهب بالإجماع للأحاديث الصحيحة»، وقال أيضاً: «أجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحلى من الفضة والذهب جميعاً كالنوق، والعقد والخاتم والسوار والخلخال والدمالج والقلائد والمخانق وكل ما يُتخذ فى العنق وغيره، وكل ما يعتدن لبسه، ولا خلاف فى شىء من هذا»[4].

وقال الحافظ فى الفتح[5] فى ثنايا تفسير نهى النبى ﷺ عن خاتم الذهب: «نهى النبى ﷺ عن خاتم الذهب أو التختم به مختص بالرجال دون النساء، فقد نُقل الإجماع على إباحته للنساء»، وقال مثله الإمام المباركفورى فى التحفة[6].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد وغيره.
(٢) انظر: آداب الزفاف للعلامة الألبانى رحمه الله تعالى.
(٣) انظر المجموع (٤/٤٤٣).
(٤) السابق (٦/٤٠).
(٥) انظر: فتح البارى (١٠/٣١٧).
(٦) انظر: تحفة الأحوذى (٥/٣٤٠).

ويقول الإمام ابن عبد البر فى التمهيد[1]: «النهى عن لباس الحرير وتختم الذهب إنما قصد به إلى الرجال دون النساء وقد أوضحنا هذا المعنى فيما تقدم من حديث نافع ولا نعلم خلافاً بين علماء الأمصار فى جواز تختم الذهب للنساء وفى ذلك ما يدل على أن الخبر المروى من حديث ثوبان ومن حديث أخت حذيفة عن النبى ﷺ فى نهى النساء عن التختم بالذهب إما أن يكون منسوخاً بالإجماع وبأخبار العدول فى ذلك على ما قدمنا ذكره فى حديث نافع أو يكون غير ثابت، فأما حديث ثوبان فإنه يرويه يحيى بن أبى كثير قال: حدثنا أبو سلام عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان ولم يسمعه يحيى بن أبى سلام ولا يصح، وأما حديث أخت حذيفة فيرويه منصور عن ربعى بن خراش عن امرأته عن أخت حذيفة قالت: «قام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر النساء أما لكن فى الفضة ما تحلينه أما إنكن ليس منكن امرأة تحلى ذهباً تظهره إلا عذبت به»، والعلماء على دفع هذا الخبر لأن امرأة ربعى مجهولة لا تعرف بعدالة وقد تأوله بعض من يرى الزكاة فى الحلى من أجل منع الزكاة منه إن منعت ولو كان ذلك لذكر وهو تأويل بعيد.

وقد روى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أن النجاشى أهدى إلى النبى ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب فصه حبشى فأخذه رسول الله ﷺ بعود أو ببعض أصابعه وإنه لمعرض عنه فدعا ابنة ابنته أمامة بنت أبى العاص، فقال: تحلى بهذا يا بنية»[2]، وعلى هذا القياس للنساء خاصة والله الموفق للصواب.

ويقول الإمام الجصاص فى تفسيره[3]: «الأخبار الواردة فى إباحته للنساء - يعنى الذهب - عن النبى ﷺ والصحابة أظهر وأشهر من أخبار الحظر، ودلالة الآية - قوله تعالى: ﴿أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) - أيضاً ظاهرة فى إباحته للنساء، وقد استفاض لبس الحلى للنساء منذ قرن النبى ﷺ إلى يومنا هذا من

---

(١) انظر التمهيد: (١١٥/١٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٥٣) ومن طريقه البيهقى (١٤/٤)، وابن ماجه (٣٦٤٤) وابن أبى شيبة (١٩٤/٥) وأحمد (١١٩/٦).

(٣) انظر تفسير الجصاص (٣٨٨/٣).

غير نكير من أحد عليهن، ومثل ذلك لا يعترض عليه بأخبار الآحاد».

وقال مثله الإمام الكيا الهراسى عند تفسيره للآية السابقة.

- **وأورد الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول:** عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «أهدى النجاشى إلى رسول الله ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشى فأخذه رسول الله ﷺ بعود أو ببعض أصابعه وإنه لمعرض عنه ثم دعا ابنة ابنته أمامة ابنة أبى العاص فقال: تحلى بهذا يا بنية»(١).

قال: جعل ﷺ الحلية زينة لجوارح الإنسان فإذا لبسها زانه لذلك وإذا زانه حلاه فصار ذلك العضو أحلى فى أعين الناظرين ولذا سمى حلية لأنه تحلى تلك الجوارح فى أعين الناظرين وفى قلوبهم قال الله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها وهى اللؤلؤ فما كان من ذهب فللإناث ويحرم على الذكور، وما كان منه من فضة أو جوهر فمطلق للرجال والنساء وقد لبس ﷺ خاتماً اتخذه من فضة وفصه منه»(٢).

قلت: وفى الحديث السابق دليل قوى لإباحة خاتم الذهب للنساء، فتأمل(٣).

• ما يباح للخاطب بعد الخطبة:

ويباح للخاطب بعد الخطبة الكلام مع خطيبته فى شئون الدين ونحو هذا حتى يستطيع أن يتلمس بعض جوانب «شخصية» زوجة المستقبل، فيستمع إلى أرائها ومنهجها فى الحياة والقواعد والمبادئ التى تسير عليها، وتصحيح ما يراه يحتاج تصحيحاً وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أن يكون هذا فى وجود محرم لها، ويباح له النظر إلى وجهها - هذا على اختلاف أهل العلم فى وجوب النقاب ولا يجوز له أن يمسك بيدها أو أن يلمس جسدها، أو التأمل فى مفاتنها، فهى لازالت أجنبية عليه، فليس له منها ما ليس له من الأجنبية، كما ليس له الخلوة بها إلا فى وجود المحرم.

وعليه أن يتحلى بالصبر والتؤدة فى التعرف عليها وبناء الرأى الصائب فى زوجة المستقبل، وكلما قلل الخاطب من زيارة الخطيبة كان له أفضل.

(١) تقدم. (٢) نوادر الأصول (٢/٥).

(٣) وانظر المحلى لابن حزم (١٠/٨٤).

ـ أما الخروج معاً والتنزه وغير ذلك مما يفعله ـ كثير ـ من الناس فلا يجوز، ولم يكن على عهد رسول الله ﷺ أن يخطب الرجل المرأة فيخرج معها للحديث والتنزه والخلوة بها ـ من أجل التعارف والتآلف والتفاهم ووو ـ إلى غير ذلك مما أصبح سنة معروفة لدى الناس، وأصبحت السنة هى البدعة عندهم، فما لم يكن ديناً على عهد رسول الله ﷺ لا يكون اليوم ديناً.

ـ ويظن البعض أنه إذا تم «عقد النكاح» فله من زوجته كل شىء، وإنى لأحذر كل فتاة من التمادى فى مثل هذا الأمر، فكم من زيجة لم يقدر لها الله تعالى أن تكتمل، وإن تم عقد النكاح.

• النفقة على الزوجة:

قال بعض أهل العلم إنه ليس على الذى عقد ولم بين نفقة لزوجته حتى تنتقل من بيت أبيها إلى بيته، إنما النفقة على أبيها وهو لم يزل الراعى، لقوله ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**[1]، وهى لم تزل فى بيت أبيها فهو المسئول عن نفقتها لا زوجها الذى لم يبنِ بها بعد، كما أنها لم تزل فى كنف أبيها فله عليها ما كان قبل العقد.

ـ **ليلة الحنة:** ومن الأمور المبتدعة عند الكثير ما يسمى بـ «ليلة الحنة» وفيها ما فيها من المخالفات الشرعية كالاطلاع على عورة الفتاة، وكشفها أمام الأجنبيات، بدعوى تهيئتها للزوج، والرقص والغناء ونحو هذا.

ـ العروس ليلة الزفاف:

أما الرجل فيكون فى أجمل صورة ليلة زفافه من حسن المنظر والهيئة والملبس والنظافة الجسدية، كحلق العانة ونتف الإبط، وليحذر حلق اللحية خشية التشبه بأهل الكفر وقد: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء»[2]، فلا يبدأ حياته الزوجية باللعن وهو الطرد من رحمة الله تعالى والعياذ بالله، والباطنية والظاهرية.

---

(١) أخرجه البخارى (٤٣١/١)، ومسلم (١٤٥٩/٣).

(٢) أخرجه البخارى وغيره.

ـ أما العروس ـ الزوجة ـ : فتكون فى أبهى صورها من حسن الزينة والملبس والنظافة الجسدية والباطنية والظاهرية، ولتكن على حذر من أمور عدة منها: الكوافير، نتف الحواجب، المناكير، لباس الشهرة.

ـ حكم الذهاب إلى الكوافير:

اعلمى أختى المسلمة إن أعداء الإسلام يكيدون للأمة الإسلامية بكل طريقة وسبيل، ولا يتركون سلاحاً إلا واستخدموه، ومن أهم أسلحتهم «الفتاة المسلمة» فكادوا لها بالأزياء تارة، وبالعمل تارة أخرى، وبالرياضة أخرى، إلى غير ذلك، من أوجه محاربة الكفار للإسلام، ومن أوجه المحاربة ما انتشر فى بلاد الإسلام بما يسمى «الكوافير» تذهب إليه النساء لوضع المساحيق وإزالة شعر الحاجبين بل وإزالة الشعور الداخلية، وما يستتبع هذا «الكوافير» من مراكز «التجميل» من شد الوجه وتصغير وتكبير الثديين!! وإزالة ترهلات الأرداف!! إلى غير ذلك مما نسمعه ونقراءه، وقد نهى تعالى عن التشبه بأهل الكفر فقال تعالى: ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾، وفى الترمذى عنه ﷺ: **«ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى»**.

وفى مسند الإمام أحمد قال ﷺ: **«ومن تشبه بقوم فهو منهم»**، فالذهاب إلى الكوافير ووضع المساحيق ونتف شعر الحواجب، وإزالة الشعور الداخلية حول قبل المرأة، فيُطلع عليها دون حاجة، مع الوقوع فى النهى أن تباشر المرأة عور المرأة دون حاجة، وليس بالطبع هذه ضرورة تدعو لكشف عورة المرأة، وكل هذا هو من باب التشبه بأهل الكفر، ومن تشبه بهم حُشر معهم ـ والعياذ بالله تعالى ـ فلا أدرى أيها «الرجل» كيف لك أن تأخذ «زوجتك» إلى من يدغدغ بأصابعه خصلات شعرها، ويتأمل فى وجهها ليضع لها المسحوق المناسب الذى يتناسب وبشرتها؟!، وكيف لك أن تتركها «قطعة من اللحم» تنهشها عيون الآخرين وتتأمل فى مفاتنها، أم تراك ستحجب أعين الناس عن النظر إلى زوجتك ومفاتنها!.



- نتف الحواجب:

وقد ورد النهى عن هذا بقوله ﷺ: **«لعن الله الواشمات[١] والمستوشمات[٢] والمتنمصات[٣] والمتفلجات للحسن[٤] المغيرات خلق الله تعالى»[٥].**

- المناكير:

وهو تدميم الأظفار بالألوان، وهو أيضاً من باب التشبه بالكافرين، كما أنه يمنع من صحة الوضوء لعدم وصول الماء إلى أصل الأصابع والأظفار، فلن تستطيع المرأة به أن تصلى خلف زوجها عند دخول بيت الزوجية، أو تصلى قبل هذا المغرب مثلاً أو العشاء، أو صلاة الفجر، فلتكن على حذر.

- **إطالة الأظافر:** وهو أيضاً من باب التشبه بالكافرين، وقد ورد عن النبى المعصوم ﷺ: **«الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والاستحداد[٦] ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب»[٧].**

- ولا يكون لباس العروس - المرأة - لباس شهرة ولا يكون مشابهاً للباس أهل الكفر، بل يجب أن يكون ساتراً لكل الجسد، وأن يكون صفيقاً لا يشف، وأن لا يصف شيئاً من مفاتنها، ولا مطيباً، ولا يكون لباس زينة، أو شهرة، ولا يشبه لباس أهل الكفر أو لباس الرجال.

- هذا ولا حرج فى استعارة العروس فستان الزفاف للتزين به ليلة عرسها، فقد روى البخارى من طريق عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: «دخلت على عائشة رضى الله عنها وعليها درع[٨] قطر ثمن خمسة دراهم فقالت ارفع بصرك إلى جاريتى انظر إليها فإنها تزهى[٩] أن تلبسه فى البيت وقد كان لى منهن درع على عهد رسول الله

(١) وهى التى تشم الناس، ومنها ما ظهر أخيراً وانتشر وهو «التاتو».

(٢) التى تضع الوشم الطالبة له.

(٣) وهى التى تطلب النمص، وهو إزالة شعر الحاجبين.

(٤) التى تفلج أو تفرج بين ثنايا أسنانها طلباً للحسن.

(٥) أخرجه البخارى ومسلم.

(٦) أى حلق شعر العانة.

(٧) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى.

(٨) أى قميص.

(٩) أى تتكبر.

ﷺ فما كانت امرأة تقين[1] بالمدينة إلا أرسلت إلى تسعيرُهُ»[2].

- **وتبقى كلمة: وهى: هل يجوز للمرأة استعمال «المكياج» والتجمل لزوجها؟**

- **والجواب:** نعم يجوز لها هذا فى الحدود الشرعية، وهذا من دواعى محبة الزوج لها، فعلى المرأة أن تكون فى أبهى صورة أمام زوجها وفى عينه، وليس لها أن يظهر هذا منها لغير زوجها.

- **ولكن:** إذا كان كما يقال أن هذا «المكياج» أو بعضه يضر ببشرة المرأة فهو فى هذه الحالة يكون إما محرماً أو مكروهاً، والأولى سؤال الطبيبة المسلمة لبيان صحة هذا القول من عدمه.

- ولكن لا يجوز للمرأة أن تلبس «الباروكة» من باب التجمل لزوجها، بل هذا منهى عنه، ولكن لا بأس إن كان الوصل من غير الشعر كالحرير والصوف الملون ونحوه.

● الغناء فى العرس

- ولا حرج فى سماع الغناء لإعلان النكاح إذا لم يكن فيه محرماً ولم يصاحبه الطبل والزمر والكمان وغير هذا من آلات اللهو، ولا حرج فى الضرب بالدف لقوله ﷺ: **«إن أفضل ما بين الحلال والحرام الصوت يعنى الضرب بالدف»**[3]، فأباح ﷺ «الدف» ليكون سبباً فى إعلان النكاح وبيان حله وأنه غير سفاح، أما الطبل والكمان والعود وغير هذا من آلات اللهو فمنهى عنها، بل هى حرام لقوله تعالى:

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان: ٦)، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هو الغناء، وذكر بعض أهل العلم أن الغناء بآلة محرم إجماعاً.

وعليه فالواجب الحذر من أن يبدأ العروسان حياتهما الزوجية بمعصية الله تعالى، كما يفعل البعض بإقامة «حفل الزفاف» فى بعض النوادى والقاعات، وجلوس العروسان فى «الكوشة» للناس، وعرض الرجل زوجته على الجميع يتأملون مفاتنها وقد

---

(١) أى تُزين للزفاف. (٢) أخرجه البخارى (٢٤٣٥).

(٣) حسن: أخرجه أحمد وغيره.

بدت فى أجمل صورها، وإحضار بعض «الفنانين»(١) لإحياء الحفل، وإنما هى إماتة ومحاولة طمس السنة النبوية فى الزفاف، وتقليد غريب لإخوان القردة والخنازير فى حفلات زفافهم، ومن هم على شاكلتهم ممن يدعى الإسلام ـ علم هذا من علمه وجهله من جهله ـ فالواجب البعد عن هذا لما فيه من اختلاط الرجال والنساء، وإرتداء النساء كل ما يكشف مفاتنهن، والرقص الجماعى للرجال مع النساء، والتصوير، وقد صحت الأحاديث الكثيرة أن «أشَدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»(٢)، إلى غير ذلك مما يعرفه الناس(٣).

ـ **رش الملح:** ورش الملح مرة أو سبع لدفع عين الحاسد! هو نوع تبذير وإسراف وسفه.

ـ وعليه فليكن العروس على حذر من يبدأ حياته بمعصية الله تعالى وأن يتحمل أوزار كل من يغنى ويرقص ويتمايل على أكتافه وفى ميزان سيئاته!!!.

ـ **الزغاريد يوم الفرح:** قال رسول الله ﷺ: **«نُهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوبٍ ورنة شيطان»**(٤).

ـ وليبدأ حياته الزوجية فى بيت من بيوت الله تعالى وعلى سنة النبى ﷺ، وليكن سبباً فى إحياء السنن لا إماتتها، ونشر الخير لا الفجور والعرى.

وعلى من دُعى إلى حضور عقد النكاح أن يلبى دعوة أخيه لمشاركته فرحته والدعاء له، على أن يحذر أن يكون مكان حضوره مكان لهو واختلاط وفسق وعرى وتصوير كما يجرى لدى كثير من الناس، ودعوتهم أهل الباطل من الفنانين وأصحاب

(١) وفيه هذا ما فيه من التبذير المنهى عنه فى قوله تعالى: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين».

(٢) أخرجه البخارى (١٠/٣١٧) ومسلم (٦/١٥٨).

(٣) ولا أدرى سبباً يدعو الرجل أن يعلق صورة زفافه، وقد بدت عروسه فى أجمل زينتها وجمالها فى غرفة «الصالون» مثلاً ليشاهدها كل زائر له!، لا أدرى أهو التباهى بجمال عروسه وأنه اختار أجمل الفتيات، أم هى دعوة لكل من يرى الصورة أن يزنى بزوجته (فالعين تزنى وزناها النظر)! أم تراه يتاجر بجمالها!، ولا أدرى لماذا ترضى الزوجة بهذا العرض المبتذل لها ولجسمها.

وإذا كان هذا الفعل منهى عنه ـ التصوير ثم تعليق الصور، وقد صح الحديث أن الملائكة لا تدخل بيت فيه كلب أو صورة ـ فمن باب أولى النهى عن مقابلة الزوجة لكل زائر لزوجها وجلوسها إليه وتسليمه عليها، والضحك والمزاح معه والاختلاط عامة، ولانتشار هذا الأمر وذيوعه بين الناس لزم التنبيه.

(٤) صحيح: أخرجه الحاكم والبيهقى والترمذى بنحوه وغيرهم.

الخلاعة والمياعة والمنتسبين إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، حتى لا يدخل تحت قوله ﷺ: «المرء مع من أحب»[١].

- ويستحب أن يكون العقد فى بيت من بيوت الله تعالى تحفه الملائكة ويحضره أهل الصلاة والصلاح.

- وهنا يُقال: ما هى ألفاظ التزويج؟

- وأقول: إن النكاح ينعقد بلفظ النكاح، كأن يقول الولى للرجل: أنكحتك أو زوجتك، كما قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ (النور: ٣٢).

- وقول شعيب لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ (القصص: ٢٧)، أما لفظ الزواج فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ..﴾ (الأحزاب: ٣٧).

- **قال ابن قدامة فى المغنى**[٢]: وإذا قال الخاطب للولى: أزوجت؟ فقال: نعم، وقال للزوج: أقبلت؟ قال: نعم فقد انعقد النكاح إذا حضره الشاهدان.

وقال الشافعى: لا تنعقد حتى يقول معه: زوجتك ابنتى، ويقول الزوج: قبلتُ هذا التزويج، لأن هذين ركنا العقد ولا ينعقد بدونهما.

ويقول الإمام ابن تيمية: «والتحقيق: إن المتعاقدين إن عرفا المقصود، فأى لفظ من الألفاظ عرف به المتعاقدان مقصودهما انعقد به العقد»[٣].

ومذهب جمهور العلماء أن العقد ينعقد بكل لفظ يدل عليه ولا يختص بلفظ النكاح أو التزويج، وركنا الزواج: إيجاب وقبول (وهى صيغة العقد)، وشروطه أربعة:

---

(١) أخرجه البخارى (٦١٨٦) ومسلم (٢٦٤٠)، ويكفيك فى حل الغناء أو حرمته ما قيل: لو جاء الغناء يوم القيامة: يكون مع الحق أم الباطل، فى أى كفه يكون، ولو كان ابن حزم وهو معتمد أهل الغناء حياً وسمع غناء اليوم ما قال بحله أبداً، وانظر لكتاب السطور: أمثالنا الشعبية فى ميزان الشرع، ط: مكتبة العلم.

(٢) انظر المغنى (٧/٤٢٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٥٣٣).

ـ لا نكاح إلا بولى:

١ ـ **الصداق:** لقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء: ٤)، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (البقرة: ٢٣٦)، وقوله تعالى: ﴿ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٢٤).

٢ ـ **الإعلان:** لبيان حله من حرامه أنه نكاح لا سفاح، قال ﷺ: **«أعلنوا النكاح»**[١].

وقوله ﷺ: **«أشيدوا النكاح، أشيدوا النكاح، هذا النكاح لا السفاح»**[٢].

وقد قال بعض أهل العلم بوجوبه، والبعض بأنه مندوب.

٣ ـ **الشهود:** لقوله ﷺ: **«لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل»**[٣].

٤ ـ **الولى:** لقوله ﷺ: **«لا نكاح إلا بولى»**[٤].

فإذا توافرت هذه الشروط الأربعة صح العقد والزواج، وقد تقدم الحديث عن الصداق، والإعلان، وحضرت الشهود فى المسجد تشهد إعلان هذا الزواج المبارك، وبقى الولى، وهنا ننبه إلى قضية «الزواج العرفى»[٥]، قال ﷺ: **«لا نكاح إلا بولى»**[٦]، وولى العروس: الأب، الأخ، العم، الخال، أولى العصبة الأقرب فالأقرب.

ـ **وهنا يُطرح سؤال وهو:** هل يشترط أن يضع الخاطب يده فى يد الولى كما نرى حين العقد، وكما يصنع «المأذون» أن يضع المنديل على يد الخاطب والولى، وما يقوله من ألفاظ نحو: على مذهب الإمام أبى حنيفة..؟.

والجواب: أنه لا يشترط وضع يد الخاطب فى يد الولى، ولا أصل لوضع المنديل،

(١) حسن: أخرجه أحمد (٤/٥) وابن حبان (١٤٧/٦) والبيهقى (٢٨٨/٧).

(٢) صحيح: أخرجه ابن منده فى المعرفة (٢١٨/٢).

(٣) صحيح: أخرجه البيهقى (١٢٥/٧) والطبرانى (١٤٢/١٨).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٠٨٥)، والترمذى (١١٠١)، وابن ماجه (٦٠٥/١) وغيرهم.

(٥) يأتى الحديث عنها فى القسم الثانى من الكتاب.

(٦) تقدم.

وكذا لا أصل فى السنة!!! لقول المأذون وتخصيص مذهب أبى حنيفة، إنما لأن هذا المذهب كان هو المأخوذ به فى مصر، فجاء هذا اللفظ من المأذون، والله أعلم.

ـ لطيفة: الفرق بين النكاح ـ الزواج:

لا يفرق كثير من أهل اللغة وشارحى القرآن بين لفظتى «النكاح» و «الزواج» فتستعمل كل لفظة مكان الأخرى، ولكن القرآن وضع كل لفظة فى مكان لتدل على معنى بعينه، لا يدل عليه الآخر.

فلفظ «النكاح» فى كتاب الله تعالى تأتى للدلالة على العقد الشرعى، وما يترتب عليه من أحكام شرعية، دون الوطء والمعاشرة الزوجية.

يوضحه الأصل اللغوى للفظ النكاح، فالنون والكاف والحاء أصل واحد وهو البضاع، والنكاح يكون للعقد دون الوطء.

ومما يدل على ما سبق ويُشفى الغى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ (الأحزاب: ٤٩)، ففى قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ خير دليل على أن المراد بالنكاح هو العقد دون الوطء.

ومن الأدلة أنه يأتى للدلالة على الأحكام الشرعية كقوله تعالى: ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (النساء: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ (الأحزاب: ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ (النساء: ٢٥)، إلى غير ذلك من الآيات.

أما لفظ «الزواج» فإنه أعم وأشمل من «النكاح»، فهو يأتى على عدة معان منها: الدلالة على مطلق الاقتران بين اثنين كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ (النساء: ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

(البقرة: ٢٣٠)، وقوله تعالى عن شياطين الإنس من اليهود وتعلمهم السحر: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ (البقرة: ١٠٢)، وقوله تعالى: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم﴾ (البقرة: ٢٤٠)، وفى الآية الأخيرة دلالة على أن «الزواج» يأتى بمعنى الأحكام الشرعية المرتبة على الزواج، وكقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ (النساء: ١٢).

ـ وتأتى كلمة «الزواج» أيضاً فى كتاب الله تعالى بمعنى «الجمع» كما يدل عليه اللفظ لغة كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (هود: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (الرعد: ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٥٠).

ـ كما تأتى بمعنى «النوع» كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (ق: ٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: ١٠).

وعليه فلفظ «الزواج» أعم وأشمل دلالة من لفظ «النكاح»، والله أعلى وأعلم.

ـ الدعاء للعروسين:

أما الدعاء للعروسين فقد صح عن النبى ﷺ من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ: «كان إذا رفأ[١] الإنسان إذا تزوج قال بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى الخير»[٢].

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «تزوجنى النبى ﷺ فأتتنى أمى فأدخلتنى الدار فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر»[٣].

---

(١) رفأ: أى هنأ، من قولهم: بالرفاء والبنين.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى وأبو داود.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم.

ونهى ﷺ عن قول «بالرفاء والبنبن»، فقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل قال: «تزوج عقيل بن أبى طالب فخرج علينا فقلنا بالرفاء والبنين فقال: مه لا تقولوا ذلك فإن النبى ﷺ قد نهانا عن ذلك وقال قولوا بارك الله لها فيك وبارك لك فيها»(١).

ولا حرج فى قيام العروس على خدمة الحضور لما روى البخارى: «لَمَّا عَرَّس أبو أسيد الساعدى دعا النبى ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعاماً، ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أسيد بلَّت تمرات فى تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبى ﷺ من الطعام أماثته له فسقته تتحفه بذلك»(٢).

على ألا تكون متبرجة سافرة تأمن الفتنة.

- وبعد العقد والدعاء للعروسين ينصرف العروسان إلى بيت الزوجية ليبدأ معاً أولى ليالى حياتهما الزوجية.



(١) صحيح: أخرجه النسائى وأحمد (٣/٤٥١)، واللفظ له.
(٢) أخرجه البخارى (٩/٢٠٠) ومسلم (٦/١٠٣).

ليلة الزفاف[1]

أولاً الصلاة:

ـ ويبدأ العروسان ليلة زفافهما بدخول البيت ـ بالرجل اليمنى ـ وإلقاء السلام، ثم بالصلاة ركعتين لله تعالى، فقد صحّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال لمن جاء يسأله قائلاً: «إنى تزوجت جارية شابة ـ بكراً ـ وإنى أخاف أن تفركنى»[2] فقال له عبد الله بن مسعود: «إن الإلف من الله، والفرك من الشيطان، يريد أن يكرّه إليكم ما أحل الله لكم، فإذا أتتك فأمرها أن تصلى وراءك ركعتين» وفى رواية أخرى: «وقل: اللهم بارك لى فى أهلى، وبارك لهم فى، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرّق بيننا إذا فرقت إلى خير»[3].

ـ وعن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال: «تزوجت وأنا مملوك، فدعوت نفراً من أصحاب النبى ﷺ فيهم ابن مسعود وأبو ذر وحذيفه، قال: وأقيمت الصلاة، قال: فذهب أبو ذر ليتقدم، فقالوا: إليك! قال: أو كذلك؟ قالوا: نعم، قال: فتقدمت بهم وأنا عبد مملوك، وعلمونى فقالوا: إذا دخل عليك أهلك فصل ركعتين، ثم سل الله من خير ما دخل عليك، وتعوذ به من شره، ثم شأنك وشأن أهلك»[4].

---

(١) وهنا ننبه إلى بدعة لباس الرجل ملابسه مقلوبة! وارتداء (شبكة صيد)! وأكل عدد معين من البيض مكتوباً عليه بعض الطلاسم والكفريات، وغير هذا من التحويطات والبدع المنتشرة بين الناس ظناً منهم أنها تدفع العين أو للحيلولة دون ربط الزوج ليلة زفافه، وقد ألحقنا بهذا الكتاب بعض ما سطرته فى كيفية فك السحر عن «المربوط» ليلة زفافه.

(٢) أى تكرهنى.

(٣) صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة (١٢/٧)، وعبد الرزاق (١٩١/٦) والطبرانى (٢١/٣) وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة (١٢/٧) وعبد الرزاق (١٩١/٦).

فائدة: وفى هذا الأثر: تقدم المفضول على الفاضل، وتعليم صاحب الحاجة وإن لم يسأل لحرج ونحوه، وطلب حضور أهل العلم والفضل.

ـ وضع اليد على رأس الزوجة والدعاء لها:

روى أبو داود قوله ﷺ: **«إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها[1] عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه»**[2].

وبعد أن أتم العروس الدعاء إذا به يلتفت تجاه عروسه فيطبع على جبهتها قبلة حانية رقيقة وقد وضع يديه على كتفيها أو رقبتها، كتوطئة وتهيئة نفسية للعروس.

ثم يترك العروس عروسه لتدخل حجرتها لتلتقط أنفاسها بعد هذه القبلة التى طبعت على جبهتها للمرة الأولى من رجل لم تألفه بعد، ثم لتتزين وتتهيأ نفسياً لما وراء هذه القبلة من أحداث ستجرى ألقتها أمها أو صديقاتها فى رأسها.

وهنا ننبه إلى كيفية بدء الرجل الليلة الأولى من ليالى حياته الزوجية، وبيان أهمية هذه الليلة عند كل فتاة تخطو خطوتها الأولى مع شريك العمر.

قصة من الواقع: وأسوق إليك هذه القصة لرجل تزوج حديثاً وكان ككثير من الشباب يتخيل ويرتب فى رأسه ما سيفعله فى ليلة الزفاف «ليلة العمر» يقول:

ما إن دخلت بيتى وأغلقت الباب بعد سلامى على من أوصلونى إلى البيت حتى نظرت إلى زوجتى فوجدتها قد تأهبت للصلاة ركعتين إتباعاً للسنة وكأفضل بداية للحياة الزوجية لهذه الليلة «ليلة العمر» وبعد أن انتهيت من الصلاة وزوجتى خلفى حتى نظرت إليها بحب وود، ثم طبعت قبلة رقيقة على جبهتها وحمدت الله تعالى أن جمعنى بها وعليها على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ، فحمدت هى الأخرى هذا لله تعالى، ثم تركتها تدخل حجرتها لتتزين ولتلتقط أنفاسها، ثم جلست إلى الأريكة وأنا أتفكر كيف أبدأ ليلتى وهى أهم ليلة فى حياتى الزوجية وحياتها وكنت قد قرأت عن بعض الحالات النفسية التى أصابت بعض الفتيات من جراء الجهل بكيفية بدء الحياة الزوجية ليلة الزفاف، فمنهم من تقول: لقد دخل على زوجى حجرتى كالثور الهائج فأصابنى بالهلع مما رأيت، رأيت رجلاً عارياً تماماً و «كرشه» ـ هكذا ـ أمامه ينظر إلى كفريسة وقعت بين يديه وقد أكله الجوع، وعينان تبرقان كالبرق ينفذان إلى قلبى، فلم

(١) خلقتها وطبعتها عليه.

(٢) حسن: أخرجه البخارى فى «أفعال العباد» (٧٧) وأبو داود (١/٣٣٦)، وابن ماجه (١/٥٩٣).

أدرى إلا وجسدى كله قد أصابته الرعشة والتشنج، ولم أفق من غيبوبتى إلا وأمى بجوارى، وفى الصباح كان الطلاق![1].

وأخرى تروى قصتها فتقول: لقد رأيت عينيه تغتصبنى قبل أن تمتد يده إلى جسدى، فتمالكت نفسى وأخذت نفساً عميقاً تهيئة له، ولما «سقط» - كذا - علىَّ بجسده وتحسست يديه جسدى لم أتمالك نفسى من دفعه عنى، ولم يكن هناك شىء حتى ثلاث ليال.

وهذا رجل تتدلل عليه زوجته فيظنه كرهاً! فيربطها - بعد أسبوع من العناء - فى «السرير» حتى يثبت رجولته، وآخر لم يستطع التغلب على حصون القلعة فيأتى بمن يساعده بالطريقة «البلدى»[2]!!!.

يقول: دارت فى رأسى هذه الأفكار وغيرها وأنا أبدأ أول ليلة من ليالى الحياة الزوجية، وأنا أعلم أن لهذه الليلة الأثر كل الأثر فى الحياة الزوجية مستقبلاً.

يقول: وبينما أنا مع أفكارى وخواطرى إذا بخشخشة تخرج من حجرة الزوجة - وكأنها تقول: هيئت لك! - فطرحت أفكارى جانباً ونهضت ناحية الغرفة فطرقت الباب طرقاً خفيفاً مازحاً: العشاء جاهز.

فخرجت فتاة أحلامى فى ثوبها الرقيق الشفاف فأخذتنى «الرهبة» وأحمر وجهى

---

(١) ويقول الإمام ابن حزم فى كتابه «طوق الحمامة» كان ببغداد رجل رأى فتاة فأحبها وتزوجها، فلما كانت ليلة الزفاف استعجل أمره، فرأت الفتاة كبر عضوه، فنفرت منه - وأبت الرجوع إليه حتى الموت.

(٢) وهذه العادة للأسف تنتشر بكثرة فى الريف المصرى أكثر من حضره، فتجتمع بعض النسوة على العروس وتأخذ أيد النساء بيد العروس، والأخرى بيدها الأخرى، وتأخذ امرأة ثالثة بقدم العروس ورابعة بقدمها الأخرى، ثم تأتى المرأة الخامسة فتأخذ «شرف» البنت وعرضها، وتبلل القماش الأبيض بدمها! للعرض، ويبدأ الرقص والفرح يعم البيت والأهل لعفة البنت وحفاظها على «شرفها» وفيها ما فيها من البعد عن الشرع الحنيف، وما يسببه هذا الأمر من إطلاع من ليس له أن يطلع على العورات، وما يسببه من حالة نفسية سيئة جداً للفتاة التى تبدأ حياتها الزوجية أول ما تبدأ وفى أولى لحظاتها بهذا العمل المشين وما يسببه لها من ألم عضوى ونفسى، ويقول رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها» أخرجه مسلم وغيره، فما بالك بمن يدعو الناس لمشاهدة نتاج ليلة الزفاف!

خجلاً مما أرى - فهذه هى المرأة الأولى التى أرى فيها امرأة بهذه الثياب - فتمالكت نفسى ثم مددت يدى إلى يدها برفق لأخذها لنجلس معاً لتناول العشا، وما إن جلست بجانبى حتى شعرت بأن الخوف والرهبة والأفكار التى كانت تملأ رأسى قد ذهبت وتبخرت، وشعرت كأنى أجلس فى حمام بارد فبرد جسدى كله، نعم، ولم يدر برأسى إلا أن: هذه زوجتك وليست فريستك ، فما العجلة؟ هى لك ومعك وبين يديك الآن وبعد ساعة بل غداً وبعد غدٍ ودائماً إن شاء الله تعالى، فلما العجلة؟!.

ومددت يدى التقط بعض الطعام أضعه فى فيها إتباعاً لحديث النبى ﷺ أن للرجل أجراً حين يضع اللقمة فى فم امرأته.

يقول: وناولتها الطعام مصحوبا بنظرة حانية تقول: مهلاً حبيبتى لا تخافى، ثم خطر برأسى خاطر رأيته أحسن ما يُذهب رهبتها وخوفها، فقمت إلى مكتبى فأحضرت بعض الأوراق و «والكراسات» التى كنت أدون فيها بعض خواطرى حال صباى، وأخذت أعرض عليها بعض أفكارى لتتلمح بعض شخصيتى ولأذهب رهبتها وخوفها، وأخذت أقرأ وهى تسمع، وتارة تقرأ هى وأسمع أنا، مع تعليقى على بعض الكلمات والضحك من بعض الكلمات والأفكار والخواطر، وكنت أتلمس الفرصة لألمس يديها أو شعرها.

ولم ندر إلا وقد انقضت ساعة كاملة شعرنا فيها - معاً - بالحاجة إلى القبلة واللمسة فأمسكت بيديها وقبلتهما ثم شفتيها، وكانت قبلة حارة أخذتنا إلى عالم آخر فلم نشعر إلا وقد انتقلنا من الحجرة الخارجية وإذا بنا على فراش الزوجية.

يقول: فكانت هذه أول ليلة من ليالى حياتنا الزوجية.

وبعد خمس سنوات من الزواج جلسنا معاً نتذكر أول ليلة، فكان من قولها: إن البنات فى ليلة الزفاف تمتلئ رؤوسهن بالحكايات والقصص التى تجعل أكثرهن يهبن هذا اليوم، وأنا كنت كغيرى من البنات، كنت أحسب لهذه الليلة ألف حساب، ولكنك أذهبت كل خوفى ورهبتى بما كان من قراءة تلك الأوراق التى كنت تسطرها قبل زواجنا، وعدم العجلة فجزاك الله غنى كل خير.

أقول: إنما سقت إليك هذه القصة لما نسمع ونرى من الجهل بكيفية بدء ليلة الزفاف الأولى فى حياة الزوجين، وما يترتب على هذه الليلة من سعادة أو شقاوة لأى من الزوجين أو كلاهما.

- ما يقول الرجل حين يجامع أهله:

روى البخارى عن ابن عباس يبلغ به عن النبى ﷺ قال: **«لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولدٌ لم يضرُّه»**[١].

قال القاضى: قيل المراد بأنه لا يضره أنه لا يصرعه شيطان، وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته بخلاف غيره، قال: ولم يحمله أحد على العموم فى جميع الضرر والوسوسة والإغواء، هذا كلام القاضى[٢].

- فض غشاة البكارة:

وعلى الزوج أن يكثر من المداعبة والملاعبة قبل أن يبدأ فى فض غشاء البكارة، ويكون أمره باللين حتى تلين زوجه معه، وعليه بمداعبة باطن الفخذين حتى يلينا فينفرجا فيسهل الأمر عليه، فإذا أحس منها باللين أولج عضوه باللين أيضاً وعلى مهل، ولا يكثر من الإيلاج أو الدفع بشدة، حتى إذا انفض الغشاء ترك زوجته قليلاً لتزيل أثر الدم، وليتركها ساعة تستريح[٣].

- وأفضل أشكال فض البكارة وإزالتها:

أن تستلقى المرأة على ظهرها، وتطوى فخذيها وقد انفرجا حتى يلتصقا بكتفيها، - والزوج يقبل شفتيها حتى لا تشعر بالحرج أو الخوف - فينفرج الفرج والشفران مما يُسهل الإيلاج للزوج، وهذا هو أفضل الأشكال وأحسنها[٤].

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥/١) ومسلم (١٠٨٥/٢).

وقيل أن العبد إذا جامع أهله فلم يسم الله، التف الجنى على عضو الرجل فجامع المرأة قبل أن يجامعها زوجها.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (٥/١٠).

(٣) وعليها أن تهتم جداً بنظافة هذا الموضع منها بالمطهرات حتى يلتئم جرحها.

(٤) وغشاء البكارة متنوع الأشكال، فمنه هلالى الشكل أو مشرشر، ويوجد من غشاء البكارة ما له فتحتان، وهو غشاء رقيق يصل سمكه إلى مليمترين، فهو رقيق جداً، ولذلك تحذر الفتاة من محاولة إدخال إصبعها فهى محاولة عابثة مخفوفة بالمخاطر، فهذا الغشاء الرقيق عنوان عفتها ودينها بل وحياتها، ومن الطبيعى أن عضو الرجل قادر على تمزيق هذا الغشاء الرقيق، ويمثلونه: كمن يضرب جلد الطبلة بعصى ضربة عمودية، فينشق الغشاء مصحوباً ببضع قطرات من الدماء قد لا تتجاوز الخمس قطرات.

كيف يأتى الرجل أهله

وللرجل أن يأتى امرأته كيف شاء مقبلة ومدبرة، مجبية[١] وعلى حرف[٢]، قائمة وجالسة وقاعدة، على أن يحذر الدبر والحيضة.

قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، أى: كيف شئتم.

ففى الصحيحين عن جابر قال: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)[٣]، وفى لفظ للإمام مسلم: **«إن شاء مجبيةً وإن شاء غير مجبيةٍ غير أن ذلك فى صمام واحدٍ»**.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «كان هذا الحى من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود، وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم فى العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحى من الأنصار، قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً، ويتلذذون منهن مقبلاتٍ ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبنى حتى شرى[٤] أمرهما فبلغ ذلك من رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد»[٥].

---

(١) مجبية: أى على وجهها، وقال عياض: المتجبية تكون على وجهين - أحدهما: أن تضع يديها على ركبتيها وهى قائمة، منحنية على هيئة الركوع، والآخر: تتكب على وجهها باركة.

(٢) على حرف: أى على جنب.

(٣) أخرجه البخارى (١٥٤/٨)، ومسلم (١٥٦/٤).

(٤) اشتهر وانتشر. (٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٧٧/١) وغيره.

- **الوليمة صبيحة العرس**[1]: وتجب الوليمة بعد الدخول لقوله ﷺ لما خطب على فاطمة - رضى الله عنها - : **«أنه لابد للعروس من وليمة، قال: فقال سعد: على كبش، وقال فلان: على كذا وكذا من ذرة، وفى رواية: وجمع له رهط من الأنصار أصوعاً ذرة»**[2].

- **وعن أنس رضي الله عنه قال:** «أولم رسول الله ﷺ إذ بنى بزينب، فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلم عليهن، ودعا لهن، وسلمن عليهن ودعون له، فكان يفعل ذلك صبيحة بنائه»[3].

- **وعنه رضي الله عنه قال:** «بنى رسول الله ﷺ بامرأة فأرسلنى فدعوت رجالاً على الطعام»[4].

- والسنة فيها أن تكون ثلاثة أيام: لحديث أنس أيضاً رضي الله عنه قال: «تزوج النبى ﷺ صفية، وجعل عتقها صداقها، وجعل الوليمة ثلاثة أيام»[5].

- وأن يدعو إليها الصالحين لقوله ﷺ فى الحديث العام: **«لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى»**[6].

- أن يولم بشاة أو أكثر إن كان فى الأمر سعة لقوله ﷺ: **«أولم ولو بشاة»**[7].

• جواز الوليمة بالتمر واللبن والسمن:

وإن لم يكن فى الأمر سعة أولم بالطعام دون اللحم لقول أنس ﷺ قال: «أقام النبى ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثة يبنى عليه بصفية بنت حيى فدعوت المسلمين إلى

---

(١) هذا المبحث مستفادة من «آداب الزفاف» للعلامة الألبانى رحمه الله تعالى، بتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣٥٩/٥).

(٣) صحيح: أخرجه النسائى فى الوليمة (٦٦/٢).

(٤) أخرجه البخارى (١٨٩/٩).

(٥) حسن: أخرجه أبو يعلى بسند حسن كما فى الفتح (١٩٩/٩) وهو فى صحيح البخارى (٣٨٧/٧) بمعناه، انظر: «آداب الزفاف» للعلامة الألبانى رحمه الله تعالى.

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد.

(٧) أخرجه البخارى (٣٣٢/٤).

وليمته فما كان فيها من خبز ولا لحم أمر بالأنطاع[١] فألقى فيها من التمر والأقط[٢] والسمن فكانت وليمته فقال المسلمون إحدى أمهات المؤمنين أو مما ملكت يمينه فقالوا إن حجبها فهى من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطى لها خلفه ومد الحجاب بينها وبين الناس»[٣].

ـ **مشاركة أهل الخير والسعة فى الوليمة:** لحديث أنس رضي الله عنه قال فى قصة زواج النبى ﷺ بأم المؤمنين صفية: «حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح النبى ﷺ عروساً فقال من كان عنده شىء فليجئ به قال وبسط نطعاً قال فجعل الرجل يجىءُ بالأقط وجعل الرجل يجىءُ بالتمر وجعل الرجل يجىءُ بالسمن فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ»[٤].

ـ **النهى عن تخصيص الأغنياء بالدعوة:**

ـ ولا يجوز تخصيص الأغنياء بالدعوة إلى الوليمة لقوله ﷺ: **«شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»**[٥].

ـ ويجب إجابة الدعوة لقوله ﷺ فى الحديث السابق: **«ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»**، وقوله ﷺ: **«فكوا العانى**[٦] وأجيبوا الداعى وعودوا المريض»[٧].

ـ وعليه إجابة الدعوة وإن كان صائماً لحديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فأتانى هو وأصحابه، فلما وضع الطعام قال رجل من القوم: إنى صائم، فقال رسول الله ﷺ: دعاكم أخوكم وتكلف لكم!، ثم قال له: افطر وصم مكانه يوماً إن شئت»[٨].

---

(١) جمع نطع: بساط يتخذ من الأديم وهو الجلد المدبوغ.

(٢) اللبن المجفف.

(٣) أخرجه البخارى (٣٧٨/٧) ومسلم (١٤٧/٤).

(٤) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد.

(٥) أخرجه مسلم، وهو عند البخارى موقوفاً عليه وهو فى حكم المرفوع كما بينه الحافظ فى شرحه، وانظر «آداب الزفاف».

(٦) العانى: أى الأسير.

(٧) أخرجه البخارى.

(٨) حسن أخرجه البيهقى، وفيه أن المتطوع أو صائم النفل ليس عليه قضاء.

وقال ﷺ: «**إذا دعى أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل**[1]**، وإن كان مفطراً**[2] **فليطعم**»[3].

- وعلى من حضر الدعوة الدعاء لصاحبها لحديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن أباه صنع طعاماً للنبى ﷺ فدعاه فأجابه فلما فرغ من طعامه قال: «**اللهم بارك لهم فى ما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم**»[4].

- وفى حديث آخر: «**اللهم أطعم من أطعمنى وأسق من أسقانى**»[5].

- وفى حديث ثالث يدعو فيقول: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة**»[6].

- ويمكث الزوج عند البكر سبعاً وعند الثيب ثلاثة أيام.



---

(١) أى: فليدعوا لصاحب الطعام، فإن الصلاة أصلها فى اللغة: الدعاء، ومعناها فى الشرع - الإصطلاح - الصلاة المعروفة من القيام والركوع والسجود، والتى تبدأ بالتكبير وتنتهى بالتسليم.

(٢) وهذا هو الصواب: وليس كما يقال فاطرا!

(٣) أخرجه مسلم وغيره.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) أخرجه مسلم.

(٦) صحيح: أخرجه أحمد وغيره.

القسم الثانى

ومن أبواب الزواج:

ـ فإن قيل فما هى الشروط فى النكاح؟

ـ **الجواب:** «جاء فى الصحيحين عنه ﷺ: **«أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج»**[(١)]، وفيهما عنه: **«لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها»**[(٢)].

فتضمن هذا الحكم وجوب الوفاء بالشروط التى شرطت فى العقد إذا لم تتضمن تغييراً لحكم الله ورسوله.

وقد اتفق على وجوب الوفاء بتعجيل المهر أو تأجيله والضمين والرهن به ونحو ذلك وعلى عدم الوفاء باشتراط ترك الوطء والإنفاق والخلو عن المهر ونحو ذلك.

واختلف فى شرط الإقامة فى بلد الزوجة وشرط دار الزوجة، وأنه لا يتسرى عليها ولا يتزوج عليها فأوجب أحمد وغيره الوفاء به ومتى لم يف به فلها الفسخ عند أحمد.

واختلف فى اشتراط البكارة والنسب والجمال والسلامة من العيوب التى لا يفسخ بها النكاح وهل يؤثر عدمها فى فسخه على ثلاثة أقوال ثالثها الفسخ عند عدم النسب خاصة، وتضمن حكمه ﷺ بطلان اشتراط المرأة طلاق أختها وأنه لا يجب الوفاء به.

ـ فإن قيل فما الفرق بين هذا وبين اشتراطها أن لا يتزوج عليها حتى صححتم هذا وأبطلتم شرط طلاق الضرة؟

ـ **الجواب: قيل:** الفرق بينهما أن فى اشتراط طلاق الزوجة من الإضرار بها وكسر قلبها وخراب بيتها وشماتة أعدائها ما ليس فى اشتراط عدم نكاحها ونكاح غيرها، وقد فرق النص بينهما فقياس أحدهما على الآخر فاسد[(٣)].

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم. (٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(٣) زاد المعاد (٥/٩٥).

ـ فإن قيل فما حكم الإسلام فيمن تزوج بامرأة فوجدها حبلى؟

ـ قال الإمام أحمد وجمهور الفقهاء وأهل المدينة ببطلان هذا النكاح، ويجب المهر المسمى أو مثله أو أقل منه على اختلاف بينهم، ويجب عليهم الحد وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

● إذن فما هى المحرمات من النساء؟

ـ **الجواب:** حرَّم الأمهات وهن كل من بينك وبينه إيلاد من جهة الامومه أو الأبوة كأمهاته وأمهات آبائه وأجداده من جهة الرجال والنساء وإن علون.

وحرَّم البنات وهن كل من انتسب إليه بإيلاد كبنات صلبه وبنات بناته وأبنائهن وإن سفلن، وحرَّم الأخوات من كل جهة.

وحرَّم العمات وهن أخوات آبائه وإن علون من كل جهة.

وأما عمة العم فإن كان العم لأب فهى عمة أبية وإن كان لأم فعمته أجنبية منه فلا تدخل فى العمات، وأما عمة الأب فهى داخلة فى عماته كما دخلت عمة أبيه فى عماته.

وحرَّم الخالات وهن أخوات أمهاته وأمهات آبائه وإن علون، وأما خالة العمة فإن كانت العمة لأب فخالتها أجنبية وإن كانت لأم فخالتها حرام لأنها خالة، وأما عمة الخالة فإن كانت الخالة لأم فعمتها أجنبية وإن كانت لأب فعمتها حرام لأنها عمة الأم.

وحرَّم بنات الأخ وبنات الأخت فيعم الأخ والأخت من كل جهة وبناتهما وإن نزلت درجتهن.

وحرَّم الأم من الرضاعة فيدخل فيه أمهاتها من قبل الآباء والأمهات وإن علون وإذا صارت المرضعة أمه صار صاحب اللبن وهو الزوج أو السيد إن كانت جارية أباه وآباؤه أجداده فنبه بالمرضعة صاحبة اللبن التى هى مودع فيها للأب على كونه أبا بطريق الأولى لأن اللبن له وبوطئه ثاب ولهذا حكم رسول الله ﷺ بتحريم لبن الفحل[1]، فثبت بالنص وإيمانه انتشار حرمة الرضاع إلى أم المرتضع وأبيه من

---

(١) الفحل: أى الزوج، وهو اللبن الذى يتولد للمرأة بعد جماع زوجها لها وبعد وضعها، والحديث أخرجه البخارى ومسلم.

الرضاعة وأنه قد صار ابناً لهما وصار أبوين له فلزم من ذلك أن يكون إخوتهما وأخواتهما خالات له وعمات وأبناؤهما وبناتها إخوة له وأخوات فنبه بقوله: ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ (النساء: ٢٢)، على انتشار حرمة الرضاع إلى إخواتهما وأخواتهما كما انتشرت منهما إلى أولادهما فكما صاروا إخوة وأخوات للمرتضع فأخولهما وخالاتهما أخوات وخالات له وأعمام وعمات له، الأول بطريق النص، والآخر بتنبيهه، كما أن الانتشار إلى الأم بطريق النص وإلى الأب بطريق تنبيهه.

وهذه طريقة عجيبة مطردة فى القرآن لا يقع عليها إلا كل غائص على معانيه ووجوه دلالاته، ومن هنا قضى رسول الله ﷺ أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ولكن الدلالة دلالتان خفية وجلية فجمعهما للأمة ليتم البيان ويزول الإلتباس ويقع على الدلالة الجلية الظاهرة من قصر فهمه عن الخفية.

وحرَّم أمهات النساء فدخل فى ذلك أم المرأة وإن علت من نسبه أو رضاع دخل بالمرأة أو لم يدخل بها لصدق الإسم على هؤلاء كلهن.

وحرَّم الربائب اللاتى فى حجور الأزواج وهن بنات نسائهم المدخول بهن فتناول بذلك بناتهن وبنات بناتهن وبنات أبنائهن فإنهن داخلات فى اسم الربائب وقيد التحريم بقيدين أحدهما كونهن فى حجور الأزواج.

والثانى: الدخول بأمهاتهن فإذا لم يوجد الدخول لم يثبت التحريم وسواء حصلت الفرقة بموت أو طلاق هذا مقتضى النص.

وذهب زيد بن ثابت ومن وافقه وأحمد فى رواية عنه إلى أن موت الأم فى تحريم الربيبة كالدخول بها لأنه يكمل الصداق، ويوجب العدة والتوارث فصار كالدخول والجمهور أبوا ذلك وقالوا الميتة غير مدخول بها فلا تحرم ابنتها والله تعالى قيد التحريم بالدخول وصرح بنفيه عند عدم الدخول.

وأما كونها فى حجره فلما كان الغالب ذلك كره لا تقييداً للتحريم به بل هو بمنزلة قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء: ٣١)، ولما كان من شأن بنت المرأة أن تكون عند أمها فهى فى حجر الزوج وقوعاً وجوازاً فكأنه قال اللاتى من شأنهن أن يكن فى حجوركم.

ففى ذكر هذا فائدة شريفة وهى جواز جعلها فى حجره وأنه لا يجب عليه أبعادها عنه وتجنب مؤاكلتها والسفر والخلوة بها فأفاد هذا الوصف عدم الامتناع من ذلك.

ولما خفى هذا على بعض أهل الظاهر شرط فى تحريم الربيبة أن تكون فى حجر الزوج وقيد تحريمها بالدخول بأمها وأطلق تحريم أم المرأة ولم يقيده بالدخول فقال جمهور العلماء من الصحابة ومن بعدهم إن الأم تحرم بمجرد العقد على البنت دخل بها أو لم يدخل ولا تحرم البنت إلا بالدخول بالأم وقالوا أبهموا ما أبهم الله وذهبت طائفة إلى أن قوله: ﴿اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ (النساء: ٢٣)، وصف لنسائكم الأولى والثانية، وأنه لا تحرم الأم إلا بالدخول بالبنت وهذا يرده نظم الكلام وحيلولة المعطوف بين الصفة والموصوف وامتناع جعل الصفة للمضاف إليه دون المضاف إلا عند البيان، فإذا قلت: مررتُ بغلام زيد العاقل، فهو صفة للغلام لا لزيد إلا عند زوال اللبس، كقولك مررت بغلام هند الكاتبة، ويرده أيضاً جعله صفة واحدة لموصوفين مختلفى الحكم والتعلق والعامل وهذا لا يعرف فى اللغة التى نزل بها القرآن.

وأيضاً فإن الموصوف الذى يلى الصفة أولى بها لجواره والجار أحق بصفته ما لم تدع ضرورة إلى نقلها عنه أو تخطيها إياه إلى الأبعد.

- فإن قيل فمن أين أدخلتم ربيبته التى هى بنت جاريته التى دخل بها وليست من نسائه؟

قلنا السرية قد تدخل فى جملة نسائه كما دخلت فى قوله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، ودخلت فى قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧)، ودخلت فى قوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٢٢).

- فإن قيل: فيلزمكم على هذا إدخالها فى قوله: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ (النساء: ٢٣) فتحرم عليه أم جاريته.

قلنا: نعم وكذلك نقول إذا وطئ أمته حرمت عليه أمها وابنتها.

- **فإن قيل:** فأنتم قد قررتم أنه لا يشترط الدخول بالبنت فى تحريم أمها فكيف تشترطونه ها هنا؟

قلنا: لتصير من نسائه فإن الزوجة صارت من نسائه بمجرد العقد وأما المملوكة فلا تصير من نسائه حتى يطأها فإذا وطئها صارت من نسائه فحرمت عليه أمها وابنتها.

- **فإن قيل:** فكيف أدخلتم السرية فى نسائه فى آية التحريم ولم تدخلوها فى نسائه فى آية الظهار والإيلاء؟

قيل: السياق والواقع يأبى ذلك فإن الظهار كان عندهم طلاقاً وإنما محله الأزواج لا الإماء فنقله الله سبحانه من الطلاق إلى التحريم الذى تزيله الكفارة ونقل حكمه وأبقى محله وأما الإيلاء فصريح فى أن محله الزوجات لقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧).

- وحرَّ سبحانه حلائل الأبناء وهن موطوآت الأبناء بنكاح أو ملك يمين فإنها حليلة بمعنى محللة ويدخل فى ذلك ابن صلبه وابن ابنه وابن ابنته ويخرج بذلك ابن التبنى وهذا التقييد قصد به إخراجه.

وأما حليلة ابنه من الرضاع فإن الأئمة الأربعة ومن قال بقولهم يدخلونها فى قوله: ﴿وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ (النساء: ٢٣)، ولا يخرجونها بقوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ (النساء: ٢٣)، ويحتجون بقول النبى ﷺ: **«حرموا من الرضاع ما تحرمون من النسب»** قالوا: وهذه الحليلة تحرم إذا كانت لابن النسب فتحرم إذا كانت لابن الرضاع، قالوا: والتقييد لإخراج ابن التبنى لا غير وحرموا من الرضاع بالصهر نظير ما يحرم بالنسب ونازعهم فى ذلك آخرون وقالوا لا تحرم حليلة ابنه من الرضاعة لأنه ليس من صلبه والتقييد كما يخرج حليلة ابن التبنى يخرج حليلة ابن الرضاع سواء ولا فرق بينهما.

قالوا: وأما قوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[1]، فهو من أكبر أدلتنا وعمدتنا فى المسألة فإن تحريم حلائل الآباء والأبناء إنما هو بالصهر لا بالنسب والنبى ﷺ قد قصر تحريم الرضاع على نظيره من النسب لا على شقيقه من الصهر فيجب الإقتصار بالتحريم على مورد النص.

قالوا: والتحريم بالرضاع فرع على تحريم النسب لا على تحريم المصاهرة

(١) أخرجه البخارى ومسلم.

فتحريم المصاهرة أصل قائم بذاته والله سبحانه لم ينص فى كتابه على تحريم الرضاع إلا من جهة النسب، ولم ينبه على التحريم به من جهة الصهر ألبتة لا بنص ولا إيماء ولا إشارة، والنبى ﷺ أمر أن يحرم به ما يحرم من النسب وفى ذلك إرشاد وإشارة إلى أنه لا يحرم به ما يحرم بالصهر ولولا أنه أراد الإقتصار على ذلك لقال حرموا من الرضاع ما يحرم من النسب والصهر.

قالوا: وأيضاً فالرضاع مشبه بالنسب ولهذا أخذ منه بعض أحكامه وهو الحرمة والمحرمية فقط دون التوارث والإنفاق وسائر أحكام النسب فهو نسب ضعيف فأخذ بحسب ضعفه بعض أحكام النسب ولم يقو على سائر أحكام النسب وهو ألصق به من المصاهرة فكيف يقوى على أخذ أحكام المصاهرة مع قصوره عن أحكام مشبهه وشقيقه.

وأما المصاهرة والرضاع فإنه لا نسب بينهما ولا شبهة نسب ولا بعضية ولا اتصال قالوا: ولو كان تحريم الصهرية ثابتاً لبينة الله ورسوله بياناً شافياً يقيم الحجة ويقطع العذر فمن الله البيان وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم والإنقياد فهذا منتهى النظر فى هذه المسألة فمن ظفر فيها بحجة فليرشد إليها وليدل عليها فإنا لها منقادون وبها معتصمون والله الموفق للصواب.

فصل

وحرَّم سبحانه وتعالى نكاح من نكحهن الآباء وهذا يتناول منكوحاتهم بملك اليمين أو عقد نكاح ويتناول آباء الآباء وآباء الأمهات وإن علون والاستثناء بقوله: «إلا ما قد سلف» من مضمون جملة النهى وهو التحريم المستلزم للتأثيم والعقوبة فاستثنى منه ما سلف قبل إقامة الحجة بالرسول والكتاب.

فصل

وحرَّم سبحانه الجمع بين الأختين وهذا يتناول الجمع بينهما فى عقد النكاح وملك اليمين كسائر محرمات الآية وهذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم وهو الصواب وتوقفت طائفة فى تحريمه بملك اليمين لمعارضة هذا العموم بعموم قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (المؤمنون: ٥، ٦)، ولهذا قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

أحلتهما آية وحرمتهما آية.

وقال الإمام أحمد فى رواية عنه: لا أقول هو حرام ولكن ننهى عنه، فمن أصحابه من جعل القول بإباحته رواية عنه والصحيح أنه لم يبحه ولكن تأدب مع الصحابة أن يطلق لفظ الحرام على أمر توقف فيه عثمان بل قال ننهى عنه.

والذين جزموا بتحريمه رجحوا آية التحريم من وجوه:

ـ **أحدها:** أن سائر ما ذكر فيها من المحرمات عام فى النكاح، وملك اليمين فما بال هذا وحده حتى يخرج منها، فإن كانت آية الإباحة مقتضية لحل الجمع بالملك فلتكن مقتضية لحل أم موطوءته بالملك ولموطوءة أبيه وابنه بالملك إذ لا فرق بينهما ألبتة ولا يعلم بهذا قائل.

ـ **الثانى:** أن آية الإباحة بملك اليمين مخصوصة قطعاً بصور عديدة لا يختلف فيها اثنان كأمه وابنته وأخته وعمته وخالته من الرضاعة بل كأخته وعمته وخالته من النسب عند من لا يرى عتقهن بالملك كمالك والشافعى ولم يكن عموم قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء: ٣)، معارضاً لعموم تحريمهن بالعقد والملك فهذا حكم الأختين سواء.

ـ **الثالث:** أن حل الملك ليس فيه أكثر من بيان جهة الحل وسببه ولا تعرض به لشروط الحل ولا لموانعه وآية التحريم فيها بيان موانع الحل من النسب والرضاع والصهر وغيره فلا تعارض بينهما ألبتة، وإلا كان كل موضع ذكر فيه شرط الحل وموانعه معارضاً لمقتضى الحل وهذا باطل قطعاً بل هو بيان لما سكت عنه دليل الحل من الشروط والموانع.

ـ **الرابع:** أنه لو جاز الجمع بين الأختين المملوكتين فى الوطء جاز الجمع بين الأم وابنتها المملوكتين فإن نص التحريم شامل للصورتين شمولاً واحداً وإن إباحة المملوكات إن عمت الأختين عمت الأم وابنتها.

ـ **الخامس:** أن النبى ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمع ماءه فى رحم أختين»**[1]، ولا ريب أن جمع الماء كما يكون بعقد النكاح يكون بملك اليمين والإيمان يمنع منه.

(١) لا أصل له.

فصل

وقضى رسول الله ﷺ بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وهذا التحريم مأخوذ من تحريم الجمع بين الأختين لكن بطريق خفى وما حرمه رسول الله ﷺ مثل ما حرمه الله ولكن هو مستنبط من دلالة الكتاب.

وكان الصحابة - رضى الله عنهم - أحرص شىء على استنباط أحاديث رسول الله ﷺ من القرآن ومن ألزم نفسه ذلك وقرع بابه ووجه قلبه إليه، واعتنى به بفطرة سليمة وقلب ذكى رأى السنة كلها تفصيلاً للقرآن وتبيناً لدلالته لمراد الله منه وهذا أعلى مراتب العلم فمن ظفر به فليحمد الله ومن فاته لا يلومن إلا نفسه وهمته وعجزه.

واستفيد من تحريم الجمع بين الأختين وبين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها أن كل امرأتين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكراً حرم على الآخر فإنه يحرم الجمع بينهما ولا يستثنى من هذا صورة واحدة فإن لم يكن بينهما قرابة لم يحرم الجمع بينهما وهل يكره على قولين وهذا كالجمع بين امرأة رجل وابنته من غيرها.

واستفيد من عموم تحريمه سبحانه المحرمات المذكورة أن كل امرأة حرم نكاحها حرم وطؤها بملك اليمين إلا إماء أهل الكتاب فإن نكاحهن حرام عند الأكثرين ووطؤهن بملك اليمين جائز وسوى أبو حنيفة بينهما فأباح نكاحهن كما يباح وطؤهن بالملك.

والجمهور احتجوا عليه بأن الله سبحانه وتعالى إنما أباح نكاح الإباء بوصف الإيمان فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ (النساء: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١)، خص ذلك بحرائر أهل الكتاب بقى الإماء على قضية التحريم وقد فهم عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة إدخال الكتابيات فى هذه الآية فقال: لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول إن المسيح إلهها.

وأيضاً فالأصل فى الأبضاع المحرمة وإنما أبيح نكاح الإماء المؤمنات فمن عداهن على أصل التحريم وليس تحريمهن مستفاداً من المفهوم.

واستفيد من سياق الآية ومدلولها أن كل امرأة حرمت حرمت ابنتها إلا العمة

والخــالة وحليلة الابن وحليلة الأب وأم الزوجــة، وأن كل الأقــارب حــرام إلا الأربعــة المذكورات فى سورة الأحزاب وهن بنات الأعمام والعمات وبنات الأخوال والخالات.

فصل

ومما حرمه النص نكاح المزوجات وهن المحصنات واستثنى من ذلك ملك اليمين فأشكل هذا الاستثناء على كثير من الناس فإن الأمة المزوجة يحرم وطؤها على مالكها فأين محل الاستثناء.

فقالت طائفة هو منقطع أى لكن ما ملكت أيمانكم ورد هذا لفظاً ومعنى هذا اللفظ فإن الانقطاع إنما يقع حيث يقع التفريغ وبابه غير الإيجاب من النفى والنهى والاستفهام، فليس الموضوع موضع انقطاع، وأما المعنى فإن المنقطع لابد فيه من رابط بينه وبين المستثنى منه بحيث يخرج ما توهم دخوله فيه بوجه ما، فإنك إذا قلت ما بالدار من أحد دل على انتفاء من بها بدوابهم، وأمتعتهم فإذا قلت إلا حماراً أو إلا الأثافى ونحو ذلك أزلت توهم دخول المستثنى فى حكم المستثنى منه وأبين من هذا قوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً﴾ (مريم: ٦٢).

فاستثناء السلام أزال توهم نفى السماع العام فإن عدم سماع اللغو يجوز أن يكون لعدم سماع كلام ما وأن يكون مع سماع غيره وليس فى تحريم نكاح المزوجة ما يوهم تحريم وطء الإماء بملك اليمين حتى يخرجه.

وقالت طائفة: بل الاستثناء على بابه ومتى ملك الرجل الأمة المزوجة كان ملكه طلاقاً لها، وحل له وطؤها وهى مسألة بيع الأمة هل يكون طلاقاً لها أم لا؟ فيه مذهبان للصحابة فابن عباس رضى الله عنهما يراه طلاقاً ويحتج له بالآية، وغيره يأبى ذلك، ويقول كما يجامع الملك السابق للنكاح اللاحق اتفاقاً ولا يتنافيان كذلك الملك اللاحق لا ينافى النكاح السابق قالوا وقد خير رسول الله ﷺ بريرة لما بيعت، ولو انفسخ نكاحها لم يخبرها، قالوا: وهذا حجة على ابن عباس رضى الله عنهما فإنه هو راوى الحديث والأخذ برواية الصحابى لا برأيه.

وقال طائفة ثالثة: إن كان المشتراة امرأة لم ينفسخ النكاح لأنها لم تملك الاستمتاع ببضع الزوجة، وإن كان رجلاً انفسخ لأنه يملك الاستمتاع به وملك اليمين

أقوى من ملك النكاح وهذا الملك يبطل النكاح دون العكس قالوا وعلى هذا فلا إشكال فى حديث بريرة.

وأجاب الأولون على هذا بأن المرأة وإن لم تملك الاستمتاع ببضع أمتها فهى تملك المعاوضة عليه وتزويجها وأخذ مهرها وذلك كملك الرجل وإن لم تستمتع بالبضع.

وقالت فرقة أخرى: الآية خاصة بالمسبيات فإن المسبية إذا سبيت حل وطؤها لسابيها بعد الإستبراء، وإن كانت مزوجة وهذا قول الشافعى وأحد الوجهين لأصحاب أحمد وهو الصحيح، كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى ﷺ: «أن رسول الله ﷺ حين بعث جيشاً إلى أوطاس فلقوا عدواً فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا فكأن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين فأنزل الله عز وجل فى ذلك (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) أى فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن».

والذين قالوا من أصحاب أحمد وغيرهم: إن وطأها إنما يباح إذا سبيت وحدها قالوا لأن الزوج يكون بقاؤه مجهولاً والمجهول كالمعدوم فيجوز وطؤها بعد الإستبراء فإذا كان الزوج معها لم يجز وطؤها مع بقائه فأورد عليهم ما لو سبيت وحدها وتيقناً بقاء زوجها فى دار الحرب فإنهم يجوزون وطأها فأجابوا بما لا يجدى شيئاً وقالوا: الأصل إلحاق الفرد بالأعم الأغلب فيقال لهم الأعم الأغلب بقاء أزواج المسبيات إذا سبين منفردات وموتهم كلهم نادر جداً ثم يقال إذا صارت رقبة زوجها وأملاكه ملكاً للسابى وزالت العصمة عن سائر أملاكه وعن رقبته فما الموجب لثبوت العصمة فى فرج امرأته خاصة وقد صارت هى وهو وأملاكهما للسابى.

ودل هذا القضاء النبوى على جواز وطء الإماء الوثنيات بملك اليمين فإن سبايا أوطاس لم يكن كتابيات ولم يشترط رسول الله ﷺ فى وطئهن إسلامهن ولم يجعل المانع منه إلا الإستبراء فقط وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع مع أنهم حديثوا عهد بالإسلام حتى خفى عليهم حكم هذه المسألة وحصول الإسلام من جميع السبايا وكانوا عدة آلاف بحيث لم يتخلف منهم عن الإسلام جارية واحدة مما يعلم أنه فى غاية البعد فإنهن لم يكرهن على الإسلام ولم يكن لهن من البصيرة والرغبة والمحبة

فى الإسلام ما يقتضى مبادرتهن إليه جميعاً فمقتضى السنة وعمل الصحابة فى عهد رسول الله ﷺ وبعده جواز وطء المملوكات على أى دين كن وهذا مذهب طاووس وغيره وقواه صاحب المغنى فيه ورجح أدلته وبالله التوفيق»[١].

• فماذا عن حكم النبى ﷺ فى نكاح التفويض؟

- **الجواب:** ثبت عنه ﷺ: أنه قضى: «فى رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها حتى مات أن لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ولها الميراث وعليها العدة أربعة أشهر وعشراً»[٢].

وفى سنن أبى داود عنه: «قال لرجل أترضى أن أزوجك فلانة، قال: نعم وقال للمرأة أترضين أن أزوجك فلاناً قالت نعم، فزوج أحدهما صاحبه فدخل بها الرجل، ولم يفرض لها صداقاً ولم يعطها شيئاً، وكان ممن شهد الحديبية له سهم بخيبر فلما حضرته الوفاة قال إن رسول الله ﷺ زوجنى فلانة ولم أفرض لها صداقاً ولم أعطيها شيئاً وإنى أشهدكم أنى أعطيتها من صداقها سهمى بخيبر»[٣].

وقد تضمنت هذه الأحكام جواز النكاح من غير تسمية صداق وجواز الدخول قبل التسمية، واستقرار مهر المثل بالموت وإن لم يدخل بها وجوب عدة الوفاة بالموت وإن لم يدخل بها الزوج وبهذا أخذ ابن مسعود وفقهاء العراق والعلماء الحديث منهم أحمد والشافعى فى أحد قوليه.

وقال على بن أبى طالب وزيد بن ثابت - رضى الله عنهما - لا صداق لها وبه أخذ أهل المدينة ومالك والشافعى فى قوله الآخر.

وتضمنت جواز تولى الرجل طرفى العقد كوكيل من الطرفين أو ولى فيهما أو ولى وكله الزوج أو زوج وكله الولى ويكفى أن يقول زوجت فلاناً فلانة مقتصراً على ذلك أو تزوجت فلانة إذا كان هو الزوج وهذا ظاهر مذهب أحمد وعنه رواية ثانية: لا يجوز ذلك إلا للولى المجبر كما زوج أمته أو ابنته المجبرة بعبده المجبر ووجه هذه الرواية أنه لا يعتبر رضى واحد من الطرفين.

---

(١) زاد المعاد (٩٥/٥) بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذى (٤٥٠/٣) وأبو داود (٢٣٧/٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٨/٢).

- فماذا عن حكمه ﷺ فى نكاح الشغار والمحلل والمتعة ونكاح المحرم ونكاح الزانية؟

- الجواب: أما الشغار فأصله فى اللغة هو: الرفع، كأن الرجل يقول: لا ترفع رجل ابنتى حتى ارفع رجل ابنتك، ويقال: شغرت المرأة إذا رفعت رجلها عند الجماع، وقد صح النهى عنه من حديث ابن عمر وأبى هريرة.

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «لا شغار فى الإسلام»[1]، وفى حديث ابن عمر:[2]، وفى حديث أبى هريرة: والشغار أن يقول الرجل للرجل زوجنى ابنتك وأزوجك ابنتى أو زوجنى أختك وأزوجك أختى[3].

وقد اختلف فى علة النهى فقيل: لأن كل واحد من العقدين شرطاً فى الآخر، وقيل: لأن هذا تشبيك فى البضع، وقيل: لأنه أصبح كل واحدة بضع الأخرى فلا انتفاع للمرأة بمهرها.

- وأما نكاح المحلل[4]: وهو أن تطلق المرأة ثلاثاً فتحرمُ بذلك على زوجها لقوله تعالى: **﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ (البقرة: ٢٣٠)**، فيؤتى برجل آخر فيتزوج تلك المرأة ليحلها لزوجها الأول لتعود إليه، وقد ثبت نهى النبى ﷺ عن هذا النكاح، ففى المسند والترمذى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له»[5]، قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح، وفى المسند من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لعن الله المحلل والمحلل له»[6].

وحكم هذا النكاح الفسخ، ولا تحل به المرأة لزوجها الأول، ويثبت لها المهر إن وطئها ثم يفرق بينهما.

- وأما نكاح المتعة: وهو أن يتزوج الرجل المرأة إلى أجل مسمى، يوماً أو يومين،

---

(١) أخرجه مسلم. (٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) المحلل: هو رجل يتزوج امرأة قد طلقها زوجها ثلاثاً ليحلها له.

(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٩٣٤)، والدارمى (٢٢٥٨).

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/٢٢٧).

شهراً أو شهرين، مقابل بعض المال ونحوه، فإذا انقضى الأجل تفرقا من غير طلاق ولا ميراث، والله أعلم.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه نهى عنه عام الفتح، فروى البخارى ومسلم عن على رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر».

ـ وحكم هذا النكاح الفسخ، ويثبت فيه المهر للزوجة إن دخل بها.

ـ **وأما نكاح المُحْرِم:** وهو نكاح المحرم بحجة أو عمرة، فثبت عنه فى صحيح مسلم من رواية عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب»**[1]، أى لا يُعقد له عقد نكاح، ولا يعقد لغيره، فإن وقع فُسخ، وجدد عقداً جديداً بعد انقضاء الحج أو العمرة.

ـ **وأما نكاح الزانية:** فقد صرح الله سبحانه وتعالى بتحريمه فى سورة النور وأخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك، وأيضاً فإنه سبحانه قال: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ (النور: ٢٦)، والخبيثات الزوانى وهذا يقتضى أن من تزوج بهن فهو خبيث مثلهن.

وهو من أقبح القبائح أن يتزوج الرجل بزانية، وفيه ظلم لولده من بعده الذى سيُعير بأمه، وهو من سوء اختيار الأب وعدم الإحسان إلى ولده، والرجل: لا يأمن فيه أيضاً على فراشه إن هو تزوج بزانية.

ـ **هل هناك أنكحة فاسدة أخرى:**

ـ **الجواب:** نعم، كنكاح المعتدة: وهو أن يتزوج الرجل المرأة المعتدة من طلاق أو وفاة، لقوله تعالى: ﴿ وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

ـ ونكاح المجوسية أو البوذية أو الشيوعية الكافرة عامة، لقوله تعالى: ﴿ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ (البقرة: ٢٢١).

ـ **ومن أحكام الخلع:**

ـ وماذا عن حكم رسول الله ﷺ فى الخلع؟ وهو من القضايا التى ظهرت على

---

(١) أخرجه مسلم وغيره.

الساحة المصرية فى الأيام الأخيرة ولا يزال الحديث عنها هو حديث الساعة، مع عمل المحاكم بقانون الخلع وهو «إبراء المرأة زوجها» طلباً للطلاق، إلا أنه لما سمى البعض هذا العمل بـ «الخلع» جاء الاسم جديداً على الآذان وكأنه غير معمول به من قبل! نعم قد زادوا عليه شيئاً يسيراً وهو طلب المرأة الخلع، إلا أن السنة أوضحت لنا هذه القضية وبينتها خير بيان، فهل لنا بإلقاء الضوء على بعض جوانب مسألة «الخلع» ومشروعيته وما يتعلق به؟

ـ الجواب: إن الخلع معمول به فى القوانين المصرية منذ زمن بعيد، ولكن عامة الناس تعرفه بـ «الإبراء» وهو إبراء المرأة زوجها، أو تنازل المرأة عن حقها فى النفقة أو «المؤخر» أو الأثاث وما شابه، إلا أنه لما ظهر وصف «الخلع» بدا جديداً على الآذان وكأنه لم يكن معمولاً به من قبل، وقد أضاف القانون بعض الزيادات على القانون السابق، كطلب المرأة الخلع، وضرب مدة فى محاولة للإصلاح (٦ أشهر).

والخلع: هو اختلاع المرأة من زوجها ببدل أو عوض تدفعه المرأة لزوجها، وهو مأخوذ من خلع الثوب وإزالته، لأن المرأة لباس الرجل، والرجل لباس المرأة كما قال تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ (البقرة: ١٨٧)، ويُسمى الفداء لأن المرأة تفتدى نفسها بما تبذله لزوجها، وقد عرَّفه الفقهاء بأنه: فراق الرجل زوجته ببذل يحصل له.

وقد أخذ الخلع مشروعيته من قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ (البقرة: ٢٢٩)، وجاءت «افتدت» نكرة لتدل على الزيادة أو النقصان أو المثل، وهو المالكية والشافعية: لا فرق أن يخالع على الصداق أو بعضه أو على مال آخر سواء كان أقل أو أكثر، ولا فرق بين العين والدين والمنفعة ما دام قد تراضيا على ذلك ﴿ **فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**﴾ فالعوض جزء أساسى فى مفهوم الخلع، وفى الآية دليل على جوازه مطلقاً بإذن السلطان وغيره، ومنعه طائفة بدون إذنه والأئمة الأربعة والجمهور على خلافه.

وفى الآية دليل على حصول البينونة به لأنه سبحانه سماه فدية ولو كان رجعياً كما قال بعض الناس لم يحصل للمرأة الإفتداء من الزوج بما بذلته له ودل قوله سبحانه: ﴿**فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ على جوازه بما قول وكثر، وأن له أن يأخذ منها

أكثر مما أعطاها، ومنع الخلع طائفة شاذة من الناس خالفت النص والإجماع.

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته قالت نعم، قال رسول الله ﷺ: أقبل الحديقة وطلقها تطليقة»[1].

وفى سنن النسائى عن الربيع بنت معوذ: «أن ثابت بن قيس بن شمَّاس ضرب امرأته فكسر يدها[2] وهى جميلة بنت عبد الله بن أبى فأتي أخوها يشتكيه إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت فقال له خذ الذى لها عليك وخل سبيلها قال نعم، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتربص حيضةً واحدةً فتلحق بأهلها»[3].

وفى سنن أبى داود عن ابن عباس: «أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت منه فجعل النبى ﷺ عدتها حيضة»[4].

وقد اختلفت الروايات عن الصحابة والتابعين فى تجويز أخذ الزيادة أو تحريمها، ومنهم من كرهها.

والذين قالوا بالجواز احتجوا بظاهر القرآن: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ والآثار:

فقد ذكر عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل أن الربيع بنت معوذ بن عفراء حدثته أنها اختلعت من زوجها بكل شىء تملكه فخوصم فى ذلك إلى عثمان بن عفان فأجازه وأمره أن يأخذ عقاص رأسها فما دونه[5].

وذكر أيضاً عن ابن جريج عن موسى بن عقبة بن نافع أن ابن عمر جاءته مولاة لامرأته اختلعت من كل شىء لها وكل ثوب لها حتى نفسها[6].

ورفعت إلى عمر بن الخطاب امرأة نشزت عن زوجها فقال اخلعها ولو من قرطها

(١) أخرجه البخارى (٦١/٧).

(٢) وقد احتج بعضهم بهذا الحديث على جواز ضرب النساء الضرب المباح.

(٣) أخرجه النسائى (١٦٨/٦).

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٢٢٢٩)، والترمذى (١١٨٥)، والدارقطنى (٣٥٩/٣).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٥٠) والبيهقى (٣١٥/٧).

(٦) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٥٣).

ذكره حماد بن سلمة عن أيوب عن كثير بن أبى كثير عنه[1].

والذين قالوا بتحريمها احتجوا بحديث أبى الزبير أن ثابت بن قيس بن شماس لما أراد خلع امرأته قال النبى ﷺ: **«أتردين عليه حديقته، قالت: نعم وزيادة فقال النبى ﷺ: أما الزيادة فلا»**[2]، قال الدارقطنى سمعه أبو الزبير من غير واحد وإسناده صحيح.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن ليث عن الحكم بن عتيبة عن على بن أبى طالب رضي الله عنه لا يأخذ منها فوق ما أعطاها[3].

وقال طاووس: لا يحل له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها[4].

وقال عطاء: إن أخذ زيادة على صداقها فالزيادة مردودة إليها[5].

وقال الزهرى: لا يحل له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها.

وقال ميمون بن مهران: إن أخذ منها أكثر مما أعطاها لم يسرح بإحسان.

وقال الأوزاعى: كانت القضاة لا تجيز أن يأخذ منها شيءً إلا ما ساق إليها.

ومنهم من قال بكراهتها كما روى وكيع عن أبى حنيفة عن عمار بن عمران الهمدانى عن أبيه عن على رضي الله عنه: «أنه كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها»[6]، والإمام أحمد أخذ بهذا القول ونص على الكراهة، وأبو بكر من أصحابه حرم الزيادة وقال: ترد عليها.

وقد ذكر عبد الرزاق عن ابن جريج قال: قال: لى عطاء أتت امرأة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنى أبغض زوجى وأحب فراقه، قال أفتردين عليه حديقته التى أصدقك، قالت: نعم وزيادة من مالى، فقال رسول الله ﷺ: أما الزيادة من مالك فلا، ولكن الحديقة قالت: نعم فقضى بذلك على الزوج»[7]، وهذا وإن كان مرسلاً فحديث

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٥١) والبيهقى (٣١٥/٧). (٢) تقدم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٤٤) وسعد بن منصور (٣٧٨/١) وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٣٩). (٥) السابق (١١٨٤٠).

(٦) تقدم من وجه آخر.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٤٢) والدارقطنى (٣٨٢٦/٣) وأبو داود فى مراسيله (١٤٩) عن عطاء مرسلاً، قال الدارقطنى: خالفه الوليد عن ابن جريج، أسنده عن عطاء عن ابن عباس، والمرسل أصح.

أبى الزبير مقو له وقد رواه ابن جريج عنهما.

- وفى تسميته سبحانه الخلع فدية دليل على أن فيه معنى المعارضة ولهذا اعتبر فيه رضى الزوجين فإذا تقابلا الخلع ورد عليها ما أخذ منها وارتجعها فى العدة فهل لهما ذلك منعه الأئمة الأربعة وغيرهم وقالوا قد بانت منه بنفس الخلع وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال فى المختلعة إن شاء أن يراجعها فليرد عليها ما أخذ منها فى العدة وليشهد على رجعتها قال معمر وكان الزهرى يقول مثل ذلك قال قتادة[1].

وكان الحسن يقول: لا يراجعها إلا بخطبة[2].

ولقول سعيد بن المسيب والزهرى وجه دقيق من الفقه لطيف المأخذ تتلقاه قواعد الفقه وأصوله بالقبول ولا نكارة فيه غير أن العمل على خلافه، فإن المرأة ما دامت فى العدة فهى فى حبسه ويلحقها صريح طلاقه المنجز عند طائفة من العلماء فإذا تقايلا عقد الخلع وتراجعا إلى ما كانا عليه بتراضيهما لم يمنع الشرع ذلك، وهذا بخلاف ما بعد العدة فإنها قد صارت منه أجنبية محضة فهو خاطب من الخطاب ويدل على هذا أن له أن يتزوجها فى عدتها منه بخلاف غيره.

- وفى أمره ﷺ المختلعة أن تعتد بحيضة واحدة دليل على حكمين أحدهما أنه لا يجب عليها ثلاث حيض بل تكفيها حيضة واحدة، وهذا كما أنه صريح السنة فهو مذهب أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر بن الخطاب والربيع بنت معوذ وعمها وهو من كبار الصحابة لا يعرف لهم مخالف منهم، كما رواه الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمر أنه سمع الربيع بنت معوذ بن عفراء وهى خبر عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنها اختلعت من زوجها على عهد عثمان بن عفان فجاء عمها إلى عثمان بن عفان فقال له: إن ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم أفتنتقل فقال عثمان: لتنتقل ولا ميراث بينهما ولا عدة عليها إلا أنها لا تنكح حتى تحيض حيضة خشية أن يكون بها حبل، فقال عبد الله بن عمر: فعثمان خيرنا وأعلمنا، وذهب إلى هذا المذهب إسحاق بن راهويه والإمام أحمد فى رواية عنه اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال: من نصر هذا القول هو مقتضى قواعد الشريعة فإن العدة إنما جعلت ثلاث

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١٧٩٧).
(٢) السابق (١١٧٩٥).

حيض ليطول زمن الرجعة فيتروى الزوج ويتمكن من الرجعة فى مدة العدة فإذا لم تكن عليها رجعة، فالمقصود مجرد براءة رحمها من الحمل وذلك يكفى فيه حيضة كالاستبراء قالوا ولا ينتقض هذا علينا بالمطلقة ثلاثاً فإن باب الطلاق جعل حكم العدة فيه واحدة بائنة ورجعية.

قالوا: وهذا دليل على أن الخلع فسخ وليس بطلاق وهو مذهب ابن عباس وعثمان وابن عمر والربيع وعمها ولا يصح عن صحابى أنه طلاق البتة، فروى الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد عن سفيان عن عمرو عن طاووس عن ابن عباس - رضى الله عنهم - أنه قال الخلع تفريق وليس بطلاق[1].

وذكر عبد الرزاق عن سفيان عن عمرو عن طاووس: أن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص سأله عن رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه أينكحها؟ قال ابن عباس: نعم، ذكر الله الطلاق فى أول الآية وآخرها والخلع بين ذلك[2].

فإن قيل: كيف تقولون إنه لا مخالف لمن ذكرتم من الصحابة وقد روى حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن جمهان أن أم بكرة الأسلمية كانت تحت عبد الله بن أسيد واختلعت منه فندما، فارتفعا إلى عثمان بن عفان فأجاز ذلك وقال: هى واحدة إلا أن تكون سمعت شيئاً فهو على ما سمت[3].

وذكر ابن أبى شيبة: حدثنا ابن هاشم، عن ابن أبى ليل، عن طلحة بن مصرف، عن إبراهيم النخعى، عن علقمة عن ابن مسعود قال: لا تكون تطليقة بائنة إلا فى فدية أو إيلاء[4]، وروى عن على بن أبى طالب، فهؤلاء ثلاثة من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم.

قيل: لا يصح هذا عن واحد منهم، أما أثر عثمان رضي الله عنه فطعن فيه الإمام أحمد والبيهقى وغيرهما، قال شيخنا: وكيف يصح عن عثمان وهو لا يرى فيه عدة وإنما يرى الاستبراء فيه بحيضة، فلو كان عنده طلاقاً لأوجب فيه العدة، وجمهان الراوى لهذه القصة عن عثمان لا نعرفه بأكثر من أنه مولى الأسلميين.

---

(١) حسن: أخرجه الدارقطنى (٣/٣٨٢٤) والبيهقى (٧/٣١٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٦/٤٨٧) وسعيد بن منصور (١/٣٨٤).

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه الدارقطنى (٣/٣٨٢٧) والبيهقى (٧/٣١٦) فيه جمهان أبو العلاء: مقبول.

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه ابن أبى شيبة وعبد الرزاق (٦/٤٨١) وفيه ابن أبى ليلى: ضعيف.

وأما أثر على بن أبى طالب فقال أبو محمد بن حزم: رويناه من طريق لا يصح عن على، وأمثلها أثر ابن مسعود على سوء حفظ ابن أبى ليلى، ثم غايته إن كان محفوظاً أن يدل على أن الطلقة فى الخلع تقع بائنة لا أن الخلع يكون طلاقاً بائناً، وبين الأمرين فرق ظاهر، والذى يدل على أنه ليس بطلاق أن الله سبحانه وتعالى رتب على الطلاق بعد الدخول الذى لم يستوف عدده ثلاثة أحكام كلها منتفية عن الخلع:

- **أحدها:** أن الزوج أحق بالرجعية فيه.

- **الثانى:** أنه محسوب من الثلاث فلا تحل بعد استيفاء العدد إلا بعد زوج وإصابة

- **الثالثة:** أن العدة فيه ثلاثة قروء وقد ثبت بالنص والإجماع أنه لا رجعة فى الخلع، وثبت بالسنة وأقوال الصحابة أن العدة فيه حيضة واحدة، وثبت بالنص جوازه بعد طلقتين ووقوع ثالثة بعده وهذا ظاهر جداً فى كونه ليس بطلاق فإنه سبحانه قال: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ **(البقرة: ٢٢٩)**، وهذا وإن لم يختص بالمطلقة تطليقتين فإنه يتناولها وغيرهما ولا يجوز أن يعود الضمير إلى من لم يذكر ويخلى منه المذكور بل إما أن يختص بالسابق أو يتناوله وغيره ثم قال: ﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ** ﴾، وهذا يتناول من طلقت بعد فدية وطلقتين قطعاً لأنها هى المذكورة فلابد من دخولها تحت اللفظ، وهكذا فهم ترجمان القرآن الذى دعا له رسول الله ﷺ أن يعلمه الله تأويل القرآن وهى دعوة مستجابة بلا شك.

وإذا كانت أحكام الفدية غير أحكام الطلاق دل على أنها من غير جنسه فهذا مقتضى النص والقياس وأقوال الصحابة ثم من نظر إلى حقائق العقود ومقاصدها دون ألفاظها بعد الخلع فسخاً بأى لفظ كان حتى بلفظ الطلاق، وهذا أحد الوجهين لأصحاب أحمد وهو اختيار شيخنا، قال: وهذا ظاهر كلام أحمد وكلام ابن عباس وأصحابه، قال ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول: ما أجازه المال فليس بطلاق[1]، قال عبدالله بن أحمد: رأيت أبى كان يذهب إلى

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦/٤٨٦).

قــول ابن عــبــاس، وقــال عــمــرو عن طاووس عن ابن عــبــاس: «الخلع تفــريق ولـيس بطلاق»[1]، وقال ابن جريج عن ابن طاووس كان أبى لا يرى الفداء طلاقاً ويخيره[2].

ومن اعتبـر الألفـاظ ووقف معهـا واعتبـرهـا فى أحكام العقـود جعله بلفظ الطلاق طلاقاً وقواعد الفقه وأصوله تشهد أن المرعى فى العقود حقائقها ومعانيها لا صورها وألفاظها وبالله التوفيق.

ومما يدل على هذا أن النبى ﷺ أمر ثابت بن قيس أن يطلق امرأته فى الخلع تطليقة ومع هذا أمرها أن تعتد بحيضة وهذا صريح فى أنه فسخ ولو وقع بلفظ الطلاق.

وأيضـاً فإنه سـبـحـانه علق عليـه أحكام الفـدية بكونه فـدية ومـعلوم أن الفـدية لا تختص بلفظ ولم يعـين الله سـبـحـانه لهـا لفظاً مـعيناً وطـلاق الفداء طلاق مقـيد ولا يدخل تحت أحكام الطلاق المطلق كمـا لا يدخل تحـتهـا فى ثبـوت الرجـعـة والاعـتـداد بثلاثة قروء بالسنة الثابتة وبالله التوفيق[3].

وتبقى كلمة: وهى قوله ﷺ محذراً كل امرأة تختلع من زوجها فى غير ما بأس، قال ﷺ: **«المُختلعاتُ هن المنافقات»**[4].

● فما هو زواج المسيار؟

ـ زواج المسـيار يتم بنفس أركان الزواج، غيـر أن الزوجـة تتنازل عن بعض حقـوقهـا، كالإنفاق، أو عدم إقامة الزوج معها بصفة دائمة، وفى صحته نظر.

ـ فماذا عن زواج الهبـة: يعنى قول الفتاة للشـاب: «وهبتك نفسى، أو وهبت لك نفـسى» ويقــولون إن الزواج: إيجــاب وقــبــول، وأنـه لم يكن على عــهــد النبى ﷺ ولا الصـحـابة «ورقـة» قسـيمـة زواج[5]، إنما كان الإيجاب والقبـول، فهل هذا الزواج ـ زواج الهبة ـ صحيحاً أم لا؟

---

(١) تقدم. (٢) أخرجه عبد الرزاق (٦/٤٨٦).

(٣) انظر زاد المعاد (٥/٩٥) بتصرف.

(٤) صحيح: أخرجه النسائى (٢/١٠٤)، وأحمد (٢/٤١٤) والبيهقى (٧/٣١٦).

(٥) نعم، ولكن أصبحت القسيمة اليوم هامة جداً لحفظ الأنساب والميراث وغير هذا من أحكام الزواج وتوابعه.

ـ **الجواب:** هذا نكاح باطل، فقد أجمع العلماء على أن هبة المرأة نفسها غير جائز[١]، وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح، فهو صورة من صور الزنا، وقد تقدم الحديث بشأن أركان الزواج، وهما الإيجاب والقبول، وشروطه وهى: الصداق، الإعلان، الشهود، والولى.

• ومن أحكام الزواج العرفى:

ـ فماذا عن الزواج السرى أو الزواج العرفى كما يطلقون عليه؟

ـ **الجواب:** لابد أن نفرق بين الزواج السرى الذى استوفى الشروط والأركان التى وضعها الإسلام والشرع الحنيف لتكون معاشرة الرجل للمرأة معاشرة صحيحة، نكاحاً وليست سفاحاً، وبين الزنا الذى يريد أن يلبسه البعض عباءة الإسلام ويسمونه بغير اسمه ويصفونه بغير وصفه ورسمه، فيطلقون عليه «الزواج العرفى»، والزواج والعرف منه براء.

فالزواج السرى الذى اجتمعت فيه الشروط والأركان ولكنه لم يُعلن لظروفٍ ما، فهو زواج صحيح، وإن لم يُقيد، فالزواج السرى أو أى زواج إذا توافرت فيه أركان شروط الزواج، من الإيجاب والقبول، والمهر والإعلان والشهود والولى فهو زواج صحيح، سواء قُيد فى عقد أم لا، فهو من الناحية الشرعية صحيح إذا استوفى شروط وأركان الزواج وكان للأبدية وليس لوقت محدد مع ما يستتبع الزواج الشرعى من أحكام وتبعات.

يلجأ إليه البعض ـ بعدم الإعلان ـ لظروفٍ ما، إلا أنه صحيح فى ذاته، على خلاف بين أهل العلم فى وجوب الإعلان أو كونه مندوباً.

ـ **سؤال:** لقد انتشر فى بلادنا ـ مصر ـ خاصة فى الجامعة مسألة الزواج العرفى، وكذا هو منتشر بين كثير من الطبقات فى مصر، فماذا عما يسمونه بالزواج العرفى؟

ـ **الجواب:** إن الحديث عن تلك الصورة من الزنا التى فشت وطفحت بها كثير من الجامعات والتى يسمونها بـ «الزواج العرفى» له موضع آخر نبسط فيه الكلام، ولكن للصلة بينه وبين موضوع الكتاب نتطرق إليه على إيجاز فى محاولة لبيان حله من

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٤/ ٢١١).

حرمته، ولكن لابد أن نبين أولاً أن الناس يقعون فى خطأ حينما يطلقون على الزنا اسم «زواج» عرفى!.

فإنه أولاً: لابد من تحديد الألفاظ، فإطلاق البعض ـ على تلك الصورة من الزنا ـ الزواج «العرفى» خطأ، فالزواج العرفى: أى ما تعارف عليه الناس، كما تدع عليه لفظة «عرفى» المشتقة من «العُرف»، والناس فى بلاد الإسلام لم تتعارف على زواج «سرى» يعرفه الفتى والفتاة فقط ويجهله أهل الفتاة أو الفتى، هذا أولاً.

أما ثانياً: فهو فقده شرطاً هاماً من شروط صحة الزواج وهو «الولى»، وعليه فهو صورة من صور الزنا، وهو نكاح باطل إذ لم تتوفر له شروط الزواج الشرعى كاملة.

ـ كيف؟ وقد توفرت فيه أركان الزواج: الإيجاب والقبول، ثم شروط صحته: المهر «الشرعى» ـ ربع جنيه![1] ـ والشهود ـ شاهدين من زملاء الجامعة! أو الأصدقاء فى الرحلة![2] ـ والإعلان: وقد علم صديقى الجامعة، أو زملاء الرحلة بزواج فلان من فلانة؟

ـ **الجواب:** نعم ولكنه فقد شرطاً هاماً وهو الولى.

---

(١) لا حد لأقل المهر أو أكثره، ولا أدرى ما قيمة «ربع جنيه» يأخذه الطفل الصغير لشراء «بسكوته أو مصاصة»! يكون حداً أدنى للمهر، فيكون ثمن العقد «مصاصة ربع جنيه» وترضى الفتاة بهذه المهانة من أجل عيون الحبيب العاشق الولهان، رفقاً بنفسك أختاه، فالإسلام حفظ لك مكانتك ورفعها، فلا تحطى أنت من قدرك، وتهوى بنفسك وأسرتك إلى هاوية الزنا ـ والعياذ بالله تعالى ـ من أجل الحب الأول! ولو كان هذا صواباً ـ الزواج العرفى ـ ما كان سراً، وما خشيتى إطلاع أهلك وعلمهم به، ولا خشى معرفة أهله به، فإن الإثم ما حاك فى صدرك وخشيت أن يطلع عليه الناس، رفقاً بنفسك أختى المسلمة، واحذرى شبكة الصياد اللعين ـ الشيطان ـ ومن يتخذ سبيله سبيلاً.

(٢) كما هو مشاهد فى أفلام التلفاز ومسلسلاته، ترى الحبيبان وقد اتفقا على الزواج، ويأتى الرفض – أو لا يأتى – من الأسرة، فلا يجدا سبيلاً أمامهما «لتطويق» حبهما إلا بالزواج من «وراء» الأهل بالزواج العرفى، فيعلنا زواجهما فى رحلة! أو نزهة جماعية! ويحتال الشاب ويختلس الوقت فى «شقة» أحد أصدقائه وقد خلت من الأب أو الأم أو أهله، ليمارس مع «زوجته» حقه الشرعى كزوج، حتى إذا حملت وظهرت بوادر ثمرة هذا «الزواج» هرع الشاب والفتاة إلى الطبيب ليجهض ويقتل هذه الثمرة!!! لماذا؟ أليس هذا زواجاً اعتقدته فى نفسك أنت والفتاة، أليس من تبعات الزواج أن يتحمل الرجل ترة «استعمال حقه الشرعى» ـ من استطاع منكم الباءة ـ تكاليف وتبعات الزواج ـ فليتزوج ـ أن تراه مجرد زواج لممارسة الحق الشرعى فقط، لماذا إذا كنت =

ـ فما هى الأدلة على فساد النكاح بدون الولى

ـ **الجواب:** الأدلة كثيرة جداً ـ وليس هذا موضوع بسطها ـ ولكنى أسوق إليك بعض كلام أهل العلم حول صحة اشتراط الولى.

ـ أولاً: من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ **(النساء: ٢٥)**.

قال الإمام القرطبى فى تفسيره (١٤١/٥): أى بولاية أهلن وإذنهن.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ **(البقرة: ٢٢١)**.

قال الإمام القرطبى فى تفسيره (٧٣/٣): فى هذه الآية دليل بالنص على أنه لا نكاح إلا بولى.

وقال الطبرى (٣٧٩/٢): هذا القول من الله تعالى ذكره دلالة على أن أولياء المرأة أحق بتزويجها من المرأة.

= تحبها حقاً! لماذا لا تحافظ على حبيبتك فتراعاه حق رعايتها فلا يكون هذا الارتباط «الأبدى» شراً بينكما، تمهرها «ثمن مصاصة» ربع جنيه، على «ربع ورقة كراسة»! لماذا أختى المسلمة ترضين بهذه المهانة لك وقد رفع الإسلام شأنك، وجعلك «جوهرة» لا يمسها ولا يقربها إلا من يعرف قدرها وشرفها، ومن يتحمل كلفة الحفاظ عليها فلا يضيعها ولا يبخسها حقها.

هل أنت حقاً أخى المسلم تحب فتاتك ولا تستطيع فراقها ورفض الأهل ـ أهلك أو أهلها ـ الزواج والارتباط بمن تحب، هل يكون هذا ـ الزواج سراً وعرفياً ـ وهو تعبيرك عن حبك لها؟ إن تبخسها حقها؟ أن تمارس حقك الشرعى كزوج فى شقة أحد أصدقائك؟ أو فى حجرة بعيداً عن أعين أهلك وأهلها؟ ثم إذا ظهرت بوادر الحمل أسرعت بها لتجهضها، هل تضحى بولدك منها حتى لا «ينكشف» أمر زواجكما؟! هل تضحى بحياتها ـ فقد تموت حال الاجهاض ـ وتزعم حبك لها. هذا منك عجيب!

ـ هل هانت عليك نفسك أختاه لترضى بزواج سرى لا يعرفه أهلك، هل يكون هذا هو الإحسان إلى أمك وأبيك، هل هذه المكافأة التى تقدميها لأمك التى حملت وسهرت وعانت ما عانت، التى تنتظر أن تراك عروسة تشرف بها، هل هذا الإحسان لأبيك الذى ربى وكافح وجاهد من أجلك، هل يكون هذا رد الجميل؟ كيف رضيت أن يكون مهرك «مصروف طفل صغير»، كيف رضيت ألا تزفى زفاف الشريفات العفيفات؟ كيف رضيت بسكنى ساعة مع الزنا والفاحشة؟ كيف لك أن تضحى بولدك ثمرة هذا الزواج ـ الصحيح فى نظرك، الباطل شرعاً ـ ولا زلتى تظنين أنه يحبك، كيف سول لك الشيطان الأنسى صحة هذا الزواج، رفقاً بنفسك وأبيك وأمك ومجتمعك أختاه.

وقال ابن عطية (٢/٢٤٨): إن الولاية فى النكاح نص فى لفظ هذه الآية.

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ **(البقرة: ٢٣٢).**

وسبب نزول هذه الآية كما يقول معقل بن يسار: «زوجت أختاً لى من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله هذه الآية (فلا تعضلوهن) فقلت الآن أفعل يا رسول الله قال فزوجها إياه»(١).

- قال الإمام الترمذى بعد روايته للحديث: وفى هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولى، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل بن يسار.

ويقول الحافظ فى الفتح(٢) عند شرحه للحديث: وقد ذهب الجمهور إلى أن المرأة لا تزوج نفسها أصلاً.

- ومن السنة الشريفة قوله ﷺ: **«لا نكاح إلا بولى»**(٣).

وفى السنن عنه من حديث عائشة - رضى الله عنها - مرفوعاً: **«أيُّما امرأةٍ لم ينكحها الولى فنكاحها باطلٌ فنكاحها باطل فإن أصابها فلها مهرها بما أصاب منها فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى له»**(٤).

قال الترمذى حديث حسن، وفيها عنه: **«لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هى التى تزوج نفسها»**(٥).

---

(١) أخرجه البخارى (٩/١٨٣) والترمذى (٢٩٨١)، وأبو داود (٢٠٨٧).

(٢) انظر فتح البارى (٩/١٧٨).

(٣) صحيح: تقدم تخريجه.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٠٨٣) وابن ماجه (١٨٧٩)، والترمذى (١١٠٢)، والدارقطنى (٣/٢٢٠) بتحقيقى.

(٥) صحيح دون الشطر الأخير منه: أخرجه ابن ماجه (١٨٨٢) والدارقطنى (٣/٢٢٨)، والبيهقى (٧/١١٠).

قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: البغية هى التى تزوج نفسها.

وقال الإمام مالك - صاحب المذهب المالكى - وقد سئل عن المرأة تزوج نفسها أو تزوجها امرأة أخرى؟ قال: يُفرَّق بينهما، دخل بها أو لم يدخل[١].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل - صاحب المذهب الحنبلى - وقد سُئل عن امرأة أرادت التزويج فجعلت أمرها إلى الرجل الذى يريد أن يتزوجها وشاهدين؟

قال: هذا ولى وخاطب! لا يكون هذا، والنكاح فاسد[٢].

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى سفره العظيم «الأم»: فأى امرأة نكحت بغير إذن وليها فلا نكاح لها[٣].

فماذا عن قول الإمام أبى حنيفة؟

- **الجواب:** هذا هو ما اعتمده أصحاب القول بصحة الزواج العرفى، حيث قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بصحة الزواج دون ولى، وقد خالف فى هذا القول جمهور أهل العلم، ومن قبل السنة الصحيحة عن النبى ﷺ.

- كيف؟ وهو الإمام الأعظم وأحد الأئمة الأربعة؟

- **الجواب:** لا عجب، فما من أحد قال أن الإمام الأعظم أو غيره من الأئمة أو الناس عامة قد جمع أصول العلم وفروعه، وما غابت عنه سنة أو حديث من أحاديث النبى ﷺ، بل قال بعضهم وقد سُئل: أين العلم كله؟ قال: فى العالم كله، فما من أحد إلا وقد غابت عنه بعض السنة، بل ما من أحد من الأئمة الأربعة إلا وقد صح عنه الأخذ بالحديث وإن خالف مذهبه.

فهذا الإمام مالك يقول: ليس لأحد بعد رسول الله ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويُرد، إلا النبى ﷺ.

ويقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا فى رأيى، فكل ما وافق الكتاب

---

(١) انظر: البيان والتحصيل لابن رشد (٣٧٩/٤).

(٢) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابن هانئ (١٩٥/١).

(٣) انظر: الأم (١٣/٥).

والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل يقول: رأى الأوزاعى، ورأى مالك، ورأى أبى حنيفة، كله رأى، وهو عندى سواء، وإنما الحجة فى الآثار.

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: إذا صح الحديث فاضربوا بقولى الحائط.

بل وهذا الإمام أبو حنيفة يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبى.

قلت: وقد صح الحديث، وهو قوله ﷺ: **«لا نكاح إلا بولى»**[١].

- إذن فما هو الدليل الذى اعتمده الإمام فيما ذهب إليه؟

- **الجواب:** اعتمد الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى على قوله ﷺ: **«الثيب أحق بنفسها من وليها»**[٢].

وقد رد العلماء تأويل الإمام واعتماده إياه حجة فى صحة الزواج بدون ولى، بل وهذا أبو الحسن ومحمد بن يوسف وهما حملة علم الإمام أبى حنيفة قد خالفا أستاذهما وشيخهما فى مسائل عديدة عندما تبينت لهما السنة، وظهر لهما وجه الحق فيها، وقد روى الإمام الطحاوى فى «الشرح»[٣] عن محمد بن الحسن وأبى يوسف: أنه لا يجوز تزويج المرأة بغير إذن وليها.

وقال شراح الحديث كالإمام النووى فى شرح مسلم: «قوله: أحقُّ بنفسها: يحتمل من حيث اللفظ أن المراد أحق من وليها فى كل شىء من عقد وغيره كما قاله أبو حنيفة وأبو داود.

ويحتمل: أنه أحق بالرضا، أى: لا تزوج حتى تنطق بالإذن، بخلاف البكر.

وقد أفاض الإمام ابن حزم فى الرد فى كتابه «المحلى»[٥].

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه مسلم (٩/٢٠٥)، والترمذى (١١٠٨)، وأبو داود (٢/٩٨).

(٣) انظر: شرح معانى الآثار (٣/٧).

(٤) انظر: شرح مسلم للإمام النووى (٩/٢٠٣).

(٥) انظر «المحلى» (٩/٤٥٧).

ـ كما اعتمد أيضاً الإمام أبو حنيفة ما روى أن النبى ﷺ: «خطب أم سلمة فقالت يا رسول الله إنه ليس أحدٌ من أوليائى تعنى شاهداً فقال إنه ليس أحد من أوليائك شاهدٌ ولا غائبٌ يكره ذلك فقالت يا عمر زوج النبى ﷺ فتزوجها النبى ﷺ».

وهذا حديث ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٦/٢٩٥) والنسائى (٣٢٠٢) بسند ضعيف، فيه ابن عمر ابن أبى سلمة: مجهول.

كما تُعقب أيضاً بأن الله تعالى قال: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦)، كما أنه لم يكن أحد من أهلها حاضراً كما أخبرت هى، ويكفى ضعف الحديث كما تقدم فلا يُحتج به.

وهذا حال الإمام رحمه الله تعالى: يعتمد حديثاً ضعيفاً[1] ثم يبنى عليه أصولاً وفروعاً، كما يقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: أبو حنيفة يضع أول المسألة خطأ، ثم يقيس الكتاب كله.

قال ابن أبى حاتم: لأن الأصل كان خطأ فصارت الفروع ماضية على الأصل[2].

ـ **واحتج بعضهم بحديث رواه الطحاوى:** أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ زوجت حفصة بنت عبد الرحمن بن المنذر ابن الزبير، وعبد الرحمن غائب بالشام، فلما قدم عبد الرحمن قال: أمثلّى يُصنع به هذا ويُفتات عليه؟ ووكلت عائشة المنذر فقال: إن ذلك بيد عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: ما كنت أرد أمراً قضيته، فقرَّت حفصة عنده ولم يكن طلاقاً»[3].

وهذا متعقب بأنه موقوف، والمرفوع مقدم على الموقوف[4]، وهو أيضاً ليس

---

(١) والحق أن الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى مع جلالته وفقهه وعلمه إلا أنه كان ضعيف الحديث، ولا ينتقص هذا من قدره ويحط منه، فكما تقدم أن العلم كله فى العالم كله، وما من أحد إلا وتغيب عنه بعض السنة، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا واجعل القرآن العظيم حجة لنا لا علينا، آمين.

(٢) انظر: «آداب الشافعى» ومناقبه لابن أبى حاتم (١٧١).

(٣) أخرجه الطحاوى فى «الشرح» (٣/٨).

(٤) الحديث الموقوف: أى الموقوف على الصحابى، أى من قوله أو فعله، ولم يرفع إلى النبى ﷺ، أى لم يقل فيه الصحابى: قال رسول الله ﷺ: كذا وكذا، والمرفوع أى قوله ﷺ أو فعله أو إقراره.

صريحاً فى أنها - رضى الله عنها - أنها هى التى تولت التزويج، فعلها وكلت آخر، كما روى الطحاوى أيضاً: «أنها انكحت رجلاً من بنى أخيها جارية من بنى أخيها فضربت بينهما بستر ثم تكلمت حتى إذا لم يبق إلا النكاح أمرت رجلاً فأنكح، ثم قالت: ليس إلى النساء النكاح»[1]، والآثار فى هذا كثيرة جداً.

- وعليه فالزواج العرفى المفتقد لشرط الولى هو نكاح فاسد لا يصح كما تقدم كلام أهل العلم، وقد خالفهم الإمام أبو حنيفة[2] وتقدم الرد عليه.

- فما الذى يلجىء البعض إلى الزواج العرفى دون الشرعى أو الرسمى إذا توفرت له أسباب الزواج الشرعى؟

- **الجواب:** الأسباب كثيرة جداً، فمنها وأهمها: المغالاة فى الأمور وتكاليف الزواج، ومؤن الزواج كالشقة والأثاث وغير هذا، وقد يكون خوف الزوج من معرفة الزوجة الأولى - إذ يُشترط إخبار الزوجة الأولى وإعلامها عند إقدام الزوج على الزواج مرة ثانية (قانوناً وليس شرعاً!)، وإلا فالقانون يعطى الزوجة حق طلب الطلاق إذا تزوج زوجها بغيرها! مما يؤدى بدوره إلى هدم البيت الأول وتشتت الأولاد، وقد يكون خوف بعض النساء من (قطع) فقد المعاش، إذا كانت المرأة قد تزوجت من قبل ولها معاش عن الزوج المتوفى، أو معاش عن الأب أو الأم، أو خوف معرفة الناس بزواج الدكتور مثلاً من الممرضة، أو أستاذ الجامعة من طالبة، أو المدير من السكرتيرة، أو غير هذا

(١) أخرجه الطحاوى (٣/١٠) وعبد الرزاق وابن أبى شيبة (١٣٥/٤) وصححه الحافظ فى الفتح (١٨٦/٩).

(٢) ولا يقول قائل: نحن نأخذ برأى الإمام وهو أحد الأئمة الأربعة المتبعين سلفاً وخلفاً، نقول له: من اتبع الرخص عند أهل العلم وتتبعها فقد أخذ بالشر كله، هذا وقد تقدم بيان ما اعتمده الإمام والرد عليه، وبسط هذه المسئلة له موضع آخر، إنما أردت التنبيه فقط، ولمزيد من البيان فلينظر لزاماً: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٣٢) نيل الأوطار (١٤٣/٦)، سبل السلام (١١٧/٣)، فيض القدير (٣٧/٦) فتح البارى (١٨٧/٩) عون المعبود (٩٤/٦) شرح مسلم للإمام النووى (٢٠٥/٩) فقه السنة للشيخ سيد سابق (٨٣/٢) ورسالة «الزواج العرفى: باطل» للبطة، المدونة الذهبية للزواج العربى للمستشار أحمد كامل، عقبات الزواج وطرق معالجتها: عبد الله ناصح، المشكلات العملية فى قانون الأحوال الشخصية: أشرف مصطفى كمال وكيل أول نيابة القاهرة للأحوال الشخصية، الجزء الأول، أصول المرافعات الشرعية: المستشار أنور العمروسى، الزواج العرفى من النواحى القانونية والشرعية والاجتماعية: حامد الشريف المحامى، أحكام الأسرة فى الشريعة الإسلامية: الدكتور: زكريا البرى، الأحوال الشخصية: محمد أبو زهرة.

من الفوارق الاجتماعية والأدبية التى يخشى عليها، أو تهرباً من الخدمة العسكرية بقيد ولد واحد، أو فارق العمر بين الرجل والمرأة أو زواج المسلم بالذمية - وخشية معرفة أهلها والغضب من ارتباطها بمن هو على غير ديانتها، أو خوف نزع الأولاد من أحضان الأم بالحضانة إذا علم - الزوج السابق - بزواجها، أو التخفف من أعباء الزواج الشرعى ومؤنه كما تقدم إلى غير ذلك الكثير.

- وتبقى كلمة: فليس كل زواج سرى صحيحاً، وليس كل زواج عرفى صحيحاً.

- فماذا عن تعدد الزوجات؟

- قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾ (النساء: ٣)، وقال ﷺ: **«الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»**(١)، وكان عهد السلف الصالح التزوج بأكثر من واحدة، وكان بعضهم إذا ماتت زوجته لم يبت ليلة دون زوجة جديدة، فتعدد الزوجات مستحب وهو من هدى النبى ﷺ، وعليه سار السلف الصالح، ولكن فى زمن التلفاز تقوم الدنيا ولا تقعد إذا فكر الزوج - مجرد تفكير - فى «التعدد» جلست الزوجة «تعدد» فى البيت وبدأ التوعد له إن هو تزوج، وأخذت «تعدد» وتحتال له الحيل، وتدور المسلسلات من أولها إلى آخرها فى بيان الحيل النسائية التى تحول دون وقوع تلك «المصيبة» والتى ستهدم البيت السعيد وتفرّق شتات الأسرة، وكان لهذا التأثير السلبى على فكر ومعتقد كثير من نساء المسلمين.

يجرى هذا فى زمن تدفع فيه بعض الدول - غير المسلمة - المال لكل من ينجب مولوداً جديداً!! بينما نحن لازلنا نستورد منهم وسائل منع الحمل خشية الانفجار السكانى، وتنهال على رؤوس الناس الدعوة إلى الاكتفاء بزوجة واحدة، وولد واحد أو اثنين على الأكثر، ومن يتعدى هذا فالويل له كل الويل من وسائل الإعلام(٢).

---

(١) تقدم.

(٢) وفى أثناء كتابة هذه السطور تعرض على مشكلة تفكير زوج مسكين فكّر- مجرد التفكير - فى الزواج مرة ثانية، بالأمس مساءً يحدثنى أن زوجته تركت البيت إلى أهلها عند منتصف الليل رفضاً لهذا الأمر، تاركة له ثلاثة أولاد.

- ثم: وفى الصباح تكلمنى الزوجة هاتفياً تشكو إلىَّ زوجها وأنه يريد أن يهدم البيت نفسه، كيف؟=

ـ فماذا عن العيلة والفقر من جراء تعدد الزوجات والأولاد؟ وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣).

ـ قال الشافعى: أن لا تكثر عيالكم، فدل على أن قلة العيال أولى، قيل: قد قال الشافعى رحمه الله ذلك وخالفه جمهور المفسرين من السلف والخلف وقالوا معنى الآية ذلك أدنى أن لا تجوروا ولا تميلوا فإنه يقال عال الرجل يعول عولاً إذا مال وجار ومنه عوض الفرائض لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص، ويقال: عال بعيل عيلة إذا احتاج قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ (التوبة: ٢٨)، وقال الشاعر:

وما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل

وأما كثرة العيال فليس من هذا ولا من هذا ولكنه من أفعل يقال أعال الرجل يعيل إذا كثر عياله مثل ألبن وأتمر إذا صار ذا لبن وتمر هذا قول أهل اللغة.

قال الواحدى فى بسيطه ومعنى تعولوا تميلوا وتجوروا عن جميع أهل التفسير واللغة وروى ذلك مرفوعاً، روت عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ﷺ فى قوله: «ذلك أدنى ألا تعولوا» قال: «أن لا تجوروا»[1] وروى أن لا تميلوا، قال: وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدى وأبى مالك وعكرمة والفراء والزجاج وابن قتيبة وابن الأنبارى.

قلت: ويدل على تعين هذا المعنى من الآية وإن كان ما ذكره الشافعى رحمه الله لغة حكاه الفراء عن الكسائى أنه قال: ومن الصحابة من يقول عال يعول إذا كثر عياله، قال الكسائى: وهو لغة فصيحة سمعتها من العرب لكى يتعين الأول لوجوه:

= تقول: يريد أن يتزوج على، وأنا لم أقصر فى شأن من شئون البيت، أو فيما يتصل بحقوقه الزوجية، ولا فى تربية أولاده ورعايتى لأبيه المريض وأخته، فكيف يكون هذا جزائى؟، هل شعر منى بالتقصير فى شىء حتى يتزوج غيرى، لقد جرح كرامتى، لقد أهاننى، ماذا يقول الناس عندما يعلمون أن زوجى تزوج بأخرى! لقد فعلت معه كذا وكذا..

ـ وفى نهاية المكالمة التليفونية كانت الزوجة قد خرجت من بيت أهلها إلى بيت زوجها وأولادها والرضا بالزواج مرة ثانية، والحمدلله تعالى.

(١) أخرجه ابن حبان (٦/١٣٤) والصواب الموقوف.

- **أحدها:** أنه المعروف فى اللغة الذى لا يكاد يعرف سواه ولا يعرف عال يعول إذا كثر عياله إلا فى حكاية الكسائى وسائر أهل اللغة على خلافه.

- **الثانى:** أن هذا مروى عن النبى ﷺ ولو كان من الغرائب فإنه يصلح للترجيح.

- **الثالث:** أنه مروى عن عائشة وابن عباس ولم يعلم لهما مخالف من المفسرين وقد قال الحاكم أبو عبد الله: تفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع.

- **الرابع:** أن الأدلة التى ذكرناها على استحباب تزوج الولود وأخبار النبى ﷺ أنه يكاثر بأمته الأمم يوم القيامة يرد هذا التفسير.

- **الخامس:** أن سياق الآية إنما هو فى نقلهم مما يخافون الظلم والجور فيه إلى غيره فإنه قال فى أولها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء: ٣)، فدلهم سبحانه على ما يتخلصون به من ظلم اليتامى وهو نكاح ما طاب لهم من النساء البوالغ وأباح لهم منه ثم دلهم على ما يتخلصون به من الجور والظلم فى عدم التسوية بينهن فقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣)، ثم أخبر سبحانه أن الواحدة وملك اليمين أدنى إلى عدم الميل والجور وهذا صريح فى المقصود.

- **السادس:** أنه لا يلتئم قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فى الأربع فانكحوا واحدة أو تسروا ما شئتم بملك اليمين فإن ذلك أقرب إلى أن لا تكثر عيالكم بل هذا أجنبى من الأول فتأمله.

- **السابع:** أنه من الممتنع أن يقال لهم إن خفتم أن الا تعدلوا بين الأربع فلكم أن تتسروا بمائة سرية وأكثر فإنه أدنى أن لا تكثر عيالكم.

- **الثامن:** أن قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ تعليل لكل واحد من الحكمين المتقدمين وهما نقلهم من نكاح اليتامى إلى نكاح النساء البوالغ ومن نكاح الأربع إلى نكاح الواحدة أو ملك اليمين ولا يليق تعليل ذلك بعلة العيال.

- **التاسع:** أنه سبحانه قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ ولم يقل: وإن خفتم أن تفتقروا أو تحتاجوا ولو كان المراد قلة العيال لكان الأنسب أن يقول ذلك.

- **العاشر:** أنه سبحانه إذا ذكر حكماً منهياً عنه وعلل النهى بعلة أو أباح شيئاً وعلله عدمه بعلة فلابد أن تكون العلة مصادفة لضد الحكم المعلل وقد علل سبحانه إباحة نكاح غير اليتامى والاقتصار على الواحدة أو ما ملك اليمين بأنه أقرب إلى عدم الجور ومعلوم أن كثرة العيال لا تضاد عدم الحكم المعلل فلا يحسن التعليل به»[1].

- **هل صبغ المرأة لشعرها للتجميل أمام زوجها جائز؟**

- **الجواب:** لا حرج فيه، بل هو مستحب، على أن تتجنب السواد.

- **ما معنى قوله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»**[2].

- قال الإمام النووى رحمه الله تعالى: المراد فى الحديث أقارب الزوج وغير آبائه وأبنائه، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة ولا يوصفون بالموت، قال: وإنما المراد: الأخ وابن الأخ، والعم، وابن العم، وابن الأخت، وغيرهم ممن يحل لها التزوج به لو لم تكن متزوجة، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبهه بالموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبى[3].

- **قلت:** والمراد أن الموت أفضل للزوج والزوجة من الرضى بدخول أخ الزوج فى غياب الزوج، أو: احذروا هذا الأمر حذركم الموت، أو أن هذا يؤدى إلى وقوع الفاحشة بين أخ الزوج والزوجة مما يؤدى بدوره إلى وقوع حد الزنا للمحصنة وهو الموت، أو: إن الموت أفضل للحمو من الدخول على زوجة أخيه فى غيابه.

وهنا قد يقول قائل: ما هذا التعسف والتشكك، وتقول بعض الأمهات: «أخ الزوج لو وجد زوجة أخيه عارية لسترها بثوبه»!!، فلما هذا التعنت والتشكك، أنت تفتحون الباب بهذا لهذا.

- **نقول:** هذا الحديث الشريف ليس من وضعنا وليس هو نتاج عقولنا وتجاربنا، إنما هو حديث رسول الله ﷺ، الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، والذى خلق الخلق هو أعلم بهم وبنفوسهم، وهو الذى حذرنا من دخول أقارب الزوج على

(١) تحفة الودود (١١٥). (٢) أخرجه البخارى ومسلم.
(٣) فتح البارى (٩/٢٤٣).

الزوجة فى غياب الزوج - أأنتم أعلم أم الله - على لسان رسوله ﷺ، فوجب على المؤمن أن يقول: سمعنا وأطعنا، لا أن نقول كما قالت اليهود إخوان القردة والخنازير: سمعنا وعصينا، هذا ووسائل الإعلام المقروءة تخرج علينا فى كل يوم بقصص قتل الأخ لأخيه بعد اكتشاف علاقة الأخ بزوجة أخيه علاقة محرمة، وقصص عشق الصديق لزوجة صديقه والتآمر على قتله أصبحت تفوق الحصر.

- فالحذر الحذر أختاه من دخول أقارب الزوج أو أصدقائه فى غياب الزوج، وهو حق من حقوق الزوج على زوجته.

- فماذا إذا وقع الخلاق والشقاق بين الزوجين، إلى من يحتكمون، وقد جرت العادة بقص بعض الأزواج قصة خلافه مع زوجته إلى بعض أصدقائه (المقربين) والدعوة إلى فض تلك المشاحنات بالحديث إلى الزوجة ونحو هذا؟

- **أقول:** قد بين تعالى الطريق الذى يجب أن نسلكه عند وقوع الخلاف والشقاق بين الزوجين فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥).

- فعلى الزوج والزوجة إذا وقع الخلاف اللجوء إلى الحكمين، حكماً من أهله وحكماً من أهلها، وليس الصديق (المقرب) لتحكى له الزوجة مدى معاناتها مع زوجها، فيربت «الصديق» على كتف الزوجة، وتضع هى رأسها على كتفيه تبكى من سوء معاملة زوجها، ثم يأخذ هو دوره فى الشكوى! فيشكو إليها إهمال زوجته له، وكم كان يتمنى أن يتزوج امرأة فى مثل جمالها وعقلها وووووو، ثم يقع ما هو معلوم للخاصة والعامة، فالحذر الحذر أختاه، والحذر الحذر أيها الزوج من نبذ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فكما تزوجت على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ، فلتكن حياتك كلها مرجعها إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله ﷺ، فى الحب عند وقوع الشقاق نعوذ بالله تعالى من النفاق والشقاق.

- وهنا يجب أن ننبه إلى فصل النساء عن الرجال عند الزيارات العائلية وغيرها: فكثيراً ما نجد الرجل يصطحب زوجته فى زيارة إلى أحد أصدقائه للتعارف بين الزوجات، فتجلس النساء مع الرجال وتدور العيون، وينظر الرجل إلى زوجة صديقه

وقد «يتحسر» البعض من قلة جمال زوجته مثلما تتمتع به زوجة صديقه، فيقع الكره والبغض والكره منه لزوجته، أو تنظر هى إلى زوج صديقتها وتتحسر على كيفية معاملة هذا الزوج الحنون لزوجته وكيف يدللها ويتغزل بجمالها وحسن معاملته لزوجته، وكيف لا يقع هذا من زوجها.. إلى غير هذا مما هو معلوم للقريب والبعيد.

- هذا إلى وقوع الاختلاط المنهى عنه بين الرجال والنساء[1]، وإثارة الغيرة بين النساء حينما ترى هذه أن تلك ترتدى أجمل الثياب، وتضع فى أذنها القرط، وفى يديها من الذهب ما يزن كذا، وهذا زوجها الأنيق الحنون اللبق المرح الذى لا يأمر ولا يعلو صوته، خفيف الظل المثقف، وهذا... زوجى... وهذه ملابسى.



(١) قال أحد الحكماء: العفة حجاب يمزقه الإختلاط.

حق الزوج على زوجته

ـ فما هو حق الزوج على زوجته؟

ـ **الجواب:** لابد للمرأة أن تعلم عظيم فضل وحق زوجها عليها، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ **(النساء: ٣٤)**، وقال ﷺ في بيان حق الزوج على زوجته: **«لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد[١] لزوجها»[٢].**

ـ وقال ﷺ: **«والذي نفس محمدٍ بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتبٍ لم تمنعه»[٣].**

ـ وعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة فقال لي: أي هذه! أذات بعل؟ قالت: نعم، كيف أنت له؟ قالت: لا آلوه[٤] إلا ما عجزت عنه، قال: فانظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك»[٥].

ـ وجاء رجلاً بابنته إلى النبي ﷺ فقال: «هذه ابنتي أبت أن تزّوج، فقال: أطيعي أباك، أتدرين ما حق الزوج على زوجته؟ لو كان بأنفه قرحة تسيل قيحاً وصديداً لحسته ما أدت حقه»[٦].

ـ وقال ﷺ: **«المرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»[٧].**

---

(١) تنبيه: ذهب البعض إلى أن المراد هنا هو السجود المجازي أو الانحناء ونحوه، والحديث على ظاهره، والمراد السجود المعروف، وبيان هذا له موضع آخر.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي.

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١/٥٧٠)، وأحمد (٤/٣٨١)، والقتب: أي الرحل، وهو رحل صغير على قدر السنام.

(٤) أي لا أقصر في طاعته وتلبيتة ما يطلبه.

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي.

(٦) حسن: أخرجه الدارقطني (٣/٢٣٦) والبيهقي (٨/٢٩١).

(٧) حسن: أخرجه أبو نعيم (٦/٣٠٨).

- والمرأة راعية فى بيت زوجها: روى البخارى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته»**(1).

وقال ﷺ مبيناً حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان(2) عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون(3) ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن»**(4).

- إن أول حقوق الزوج على زوجته أن تعينه على طاعة ربه تعالى، فتهيئ له الجو المناسب للطاعة، ولا ترهقه بطلباتها عامة ووقت عبادته خاصة.

- ألا يطأ فراش زوجها من يكره بخيانة ونحوها.

- ألا تأذن فى بيته لمن يكره لقوله ﷺ: **«ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون»**.

وعند مسلم فى رواية أبى هريرة: «وهو شاهد إلا بإذنه» وهذا القيد خرج مخرج الغالب، وإلا فغيبة الزوج لا تقتضى الإباحة للمرأة بل يتأكد حينئذ عليها المنع لثبوت الأحاديث الواردة فى النهى عن الدخول على المغيبات أى من غاب عنها زوجها.

وقال النووى فى هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج بالإذن فى بيته إلا بإذنه وهو محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به أما لو علمت رضا الزوج بذلك فلا حرج عليها كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لهم سواءً كان حاضراً أم غائباً فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك وحاصله أنه لابد من اعتبار إذنه تفصيلاً أو إجمالاً.

(1) أخرجه البخارى (1996/5).

(2) عوان أى أسيرات عندكم، ومنه يؤخذ عدم قيام الزوجة بأى عمل إلا بعد إذن سيدها (الزوج) فلا تتصرف فى شئون حياتها إلا من بعد إذنه.

(3) فلا تخنه.

(4) صحيح: أخرجه الترمذى.

ـ قوله: «إلا بإذنه» أى الصريح وهل يقوم ما يقترن به علامة رضاه مقام التصريح بالرضا فيه نظر.

ـ وعليه فلا تُدخل من يبغض أو لا يرضى دخوله البيت: سواء أكان الأب أو الأخ أو أى من أقاربها إذا لم يرض زوجها بهذا.

ـ **تنبيه:** ولتكن إجابة الزوجة على من يطرق بابها من خلف الباب، ولا تفتحه إلا لمن تعرف أنه لا حرج فى رؤيتها أو دخول بيتها ومملكتها، لا أن تفتح لكل زاعق وناعق ممن يطرق بابها.

ـ ومن حقوق الزوج أيضاً:

ـ **خدمة المرأة زوجها:** وهو واجب على الزوجة لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ **(البقرة: ٢٢٨)**، وقال ﷺ وقد سأله أحدهم: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: **«أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت»**[١].

فبيّن تعالى أن للرجال على النساء كما للنساء على الرجال حق، فكما أن على الزوج العمل والكد وإطعام الزوجة والأولاد وهو فرض عليه لازم، على الزوجة حقوق، منها خدمة الرجل فى بيته وهو واجب كما تقدم، وليس هو على الاستحباب كما يقول البعض، كما أن خدمة المرأة أهل الزوج هو على الاستحباب وليس على الوجوب كخدمتها زوجها.

ويقول الإمام ابن القيم: «قال ابن حبيب فى «الواضحة»: حكم النبى ﷺ بين على بن أبى طالب رضي الله عنه وبين زوجته فاطمة ـ رضى الله عنها ـ حين اشتكيا إليه الخدمة فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة خدمة البيت وحكم على على بالخدمة الظاهرة، ثم قال ابن حبيب: والخدمة الباطنة العجين والطبخ والفرش وكنس البيت واستقاء الماء وعمل البيت كله.

وفى الصحيحين أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ أنها: «شكت ما تلقى فى يدها من الرحى فأتت النبى ﷺ تسأله خادماً فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته

(١) صحيح: أخرجه أبو داود.

قال فجاءنا وقد أخذنا مضجعنا فذهبت أقوم فقال مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى، فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبِّرا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين فهذا خيرٌ لكما من خادم»[1].

فاختلف الفقهاء فى ذلك فأوجب طائفة من السلف والخلف خدمتها له فى مصالح البيت وقال أبو ثور عليها أن تخدم زوجها فى كل شىء.

ومنعت طائفة وجوب خدمته عليها فى شىء وممن ذهب إلى ذلك مالك والشافعى وأبو حنيفة وأهل الظاهر قالوا لأن عقد النكاح إنما اقتضى الإستمتاع لا الإستخدام وبذل المنافع قالوا والأحاديث المذكورة إنما تدل على التطوع ومكارم الأخلاق فأين الوجوب منها.

واحتج من أوجب الخدمة بأن هذا هو المعروف عند من خاطبهم الله سبحانه بكلامه، وأما ترفيه المرأة وخدمة الزوج وكنسه وطحنه وعجنه وغسيله وفرشه وقيامه بخدمة البيت فمن المنكر والله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **(البقرة: ٢٢٨)**، وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ **(النساء: ٣٤)**، وإذا لم تخدمه المرأة بل يكون هو الخادم لها فهى القوامة عليه.

وأيضاً فإن المهر فى مقابلة البضع وكل من الزوجين يقضى وطره من صاحبه فإنما أوجب الله سبحانه نفقتها وكسوتها ومسكنها فى مقابلة استمتاعه بها وخدمتها وما جرت به عادة الأزواج.

وأيضاً فإن العقود المطلقة إنما تنزل على العرف والعرف خدمة المرأة وقيامها بمصالح البيت الداخلة وقولهم إن خدمة فاطمة وأسماء كانت تبرعاً وإحساناً يرده أن فاطمة كانت تشتكى ما تلقى من الخدمة فلم يقل لعلى لا خدمة عليها وإنما هى عليك وهو ﷺ لا يحابى فى الحكم أحداً، ولما رأى أسماء والعلف على رأسها والزبير معه لم يقل له لا خدمة عليها، وأن هذا ظلم لها بل أقره على استخدامها وأقر سائر أصحابه على استخدام أزواجهم مع علمه بأن منهن الكارهة والراضية وهذا أمر لا ريب فيه.

---

(١) متفق عليه.

ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة وفقيرة وغنية فهذه أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها وجاءته ﷺ تشكو إليه الخدمة فلم يشكها وقد سمى النبى ﷺ فى الحديث الصحيح المرأة عانية فقال: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم»** والعانى الأسير ومرتبة الأسير خدمة من هو تحت يده ولا ريب أن النكاح نوع من الرق كما قال بعض السلف النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته ولا يخفى على المنصف الراجح من المذهبين والأقوى من الدليلين[١].

ـ ألا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه: لقوله ﷺ: **«وألا تخرج من بيتها إلا بإذنه»**[٢] وقوله ﷺ: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم»**[٣]، والعانى هو الأسير، ولا يخرج الأسير من تحت يد سيده إلا بإذنه، وسواء أكان مدخول بها أم لازالت تعيش فى بيت أهلها ولم يُدخل بها بعد.

ـ ألا تضع المرأة ثيابها فى غير بيتها:

ولتحذر المرأة من وضع ثيابها فى غير بيتها لقوله ﷺ: **«ما من امرأة تضع ثيابها فى غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها»**[٤].

ـ ألا تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه:

روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: **«لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره»**[٥].

ـ **قال الحافظ: قوله: إلا بأذنه:** يعنى فى غير صيام أيام رمضان وكذا فى غير رمضان من الواجب إذا تضيق الوقت، قال النووى فى شرح المهذب وقال بعض أصحابنا يكره، والصحيح الأول قال فلو صامت بغير إذنه صح وأثمت لاختلاف الجهة وأمر قبوله إلى الله، قاله العمرانى، قال النووى ومقتضى المذهب عدم الثواب ويؤكد التحريم ثبوت الخبر بلفظ النهى وووروده بلفظ الخبر لا يمنع ذلك بل هو أبلغ لأنه يدل على تأكد الأمر فيه فيكون تأكده بحمله على التحريم.

---

(١) زاد المعاد (٥/٩٥) بتصرف.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) تقدم.
(٤) صحيح: أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه.

قال النووى فى «شرح مسلم»:

- وسبب هذا التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها فى كل وقت وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع ولا واجب على التراخى، وإنما لم يجز لها الصوم بغير إذنه، وإذا أراد الاستمتاع بها جاز ويفسد صومها لأن العادة أن المسلم يهاب انتهاك الصوم بالإفساد، ولا شك أن الأولى له خلاف ذلك أن لم يثبت دليل كراهته، نعم لو كان مسافراً فمفهوم الحديث فى تقييده بالشاهد يقتضى جواز التطوع لها إذا كان زوجها مسافراً فلو صامت وقدم فى أثناء الصيام فله إفساد صومها ذلك من غير كراهة وفى معنى الغيبة أن يكون مريضاً بحيث لا يستطيع الجماع.

وحمل المهلب النهى المذكور على التنزيه فقال: هو من حسن المعاشرة ولها أن تفعل من غير الفرائض بغير إذنه ما لا يضره ولا يمنعه من واجباته وليس له أن يبطل شيئاً من طاعة الله إذا دخلت فيه بغير إذنه، انتهى.

وهو خلاف الظاهر وفى الحديث أن حق الزوج أكيد على المرأة من التطوع بالخير لأن حقه واجب والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع[١].

- كما أن من حق الزوج على زوجه ألا تنفق من بيته شيئاً إلا بإذنه:

قال ﷺ: **«لا تنفق امرأة شيئاً من بيت زوجها إلا بإذن زوجها قيل يا رسول الله ولا الطعام قال: ذاك أفضل أموالنا»**[٢].

قال الإمام البغوى: أجمع العلماء على أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج شيئاً من بيت زوجها إلا بإذنه فإن فعلت فهى مأزورة غير مأجورة.

- وإذا وافق الزوج كان لها وله الأجر: فقال ﷺ: **«إذا تصدقت المرأة من بيت زوجها كان لها به أجرٌ وللزوج مثل ذلك وللخازن مثل ذلك ولا ينقص كل واحدٍ منهم من أجر صاحبه شيئاً له بما كسب ولها بما أنفقت»**[٣]، وهذا بعلم المرأة من أمر زوجها من حيث الإنفاق والتصدق، هو بالإذن العام منه فى الإنفاق، أو أن يكون لها مال خاص بها من إرثٍ ونحوه، أو أن يكون لها مال خاص من زوجها خاص بها.

---

(١) انظر فتح البارى (٩/٢٩٥).
(٢) حسن: أخرجه الترمذى.
(٣) صحيح: أخرجه الترمذى.

- **ألا تطلب الطلاق:** وهذه عادة تجرى على ألسنة الكثير من نساء المسلمين، فتجد إحداهن إذا طلبت من زوجها أمراً ما ولم يلبه لها يفاجأ الزوج بزوجه تطلب الطلاق! من غير ما بأس ولا عنت منه ولا شدة، ثم إذا لبى الزوج طلب زوجته فطلقها! جلست تندب حظها وسوء حاله، قال ﷺ: «**أيُّما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأسٍ فحرامٌ عليها رائحةُ الجنة**»[1].

- **أن تصبر على فقر الزوج:** ولها فى أزواج رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت لعروة: «إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلةٍ فى شهرين، وما أوقدت فى أبياتِ رسول الله ﷺ نارٌ، فقلت يا خالةُ ما كان يعيشكم قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائحُ[2] وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا»[3].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: «فما أعلم النبى ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ولا رأى شاةً سميطاً بعينه قط»[4].

- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب النبى ﷺ طعاماً قط إن اشتهاهُ أكله وإن كرهه تركه»[5].

- **ألا تؤذى زوجها لفظاً أو عملاً**، فلا تسفه له رأياً، ولا تنتقص له عملاً، قال رسول الله ﷺ: «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»[6].

- **ألا تهجر فراشه:**

روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[7].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى.
(٢) جمع نائح، وهى الشاة.
(٣) أخرجه البخارى ومسلم.
(٤) أخرجه البخارى.
(٥) أخرجه البخارى مسلم.
(٦) صحيح: أخرجه أحمد والترمذى.
(٧) أخرجه البخارى (١٩٩٣/٥) ومسلم.

ـ قوله: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه»: قال بن أبى حمزة: الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع ويقويه قوله: «الولد للفراش»[1]، أى لمن يطأ فى الفراش والكناية عن الأشياء التى يستحى منها كثيرة فى القرآن والسنة، قال وظاهر الحديث اختصاص اللعن بما إذا وقع منها ذلك ليلاً لقوله: «حتى تصبح»، وكأن السر تأكد ذلك الشأن فى الليل وقوة الباعث عليه، ولا يلزم من ذلك أنه يجوز لها الامتناع فى النهار وإنما خص الليل بالذكر لأنه المظنة لذلك، أهـ.

ـ وقد وقع فى رواية يزيد بن كيسان عن أبى حازم عند مسلم بلفظ: **«والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»**[2] فهذه الإطلاقات تتناول الليل والنهار[3].

وقال ﷺ: **«والذى نفسُ محمدٍ بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها ولو سألها نفسها وهى على قتبٍ لم تمنعه»**[4].

ـ وتأمل فعل أم طلحة ـ رضى الله عنها ـ وقد مات ولدها[5] فعن أنس رضي الله عنه قال: «مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء فقربت إليه عَشاء فأكل وشرب، فقال[6]: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم، قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب وقال تركتنى حتى تلطَّخْتُ ثم أخبرتنى بابنى، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لكما فى غابر ليلتكما، قال فحملت قال فكان رسول الله ﷺ فى سفرٍ وهى معه وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً فدنوا من المدينة فضربها المخاضُ

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم. (٢) أخرجه مسلم.

(٣) انظر فتح البارى (٩/١٩٤).

(٤) صحيح: أخرجه البزار وغيره.

(٥) مات ولدها! وليس غباً من أجل جلباب أو طعام فتهجر فراشه وتوليه قفاها، وتتحول حياة الزوج إلى عذاب دائم حتى يُقلع ويعود إليه عقله فيلبى.

(٦) أى: أنس رضي الله عنه.

فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ، قال يقول أبو طلحة إنك لتعلم يا ربِّ إنه يعجبنى أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل ، وقد احتبست بما ترى، قال: تقول أم سليم يا أبا طلحة ما أجدُ الذى كنت أجدُ انطلق فانطلقنا قال وضربها المخاضُ حين قدما فولدت غُلاماً فقالت لى أمى يا أنس لا يُرضعه أحدٌ حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ قال فصادفته ومعه ميسمٌ لما رآنى رسول الله ﷺ بعجوةٍ من عجوةِ المدينة فلاكها فى فيه حتى ذابت ثم قذفها فى فم الصبى فجعل الصبى يتلمظها قال فقال رسول الله ﷺ: انظرو إلى حب الأنصار التمر قال فمسح وجهه وسماه عبد الله»[1].



(١) أخرجه مسلم وغيره.

حــق الزوجــة

ـ إذن فما هى حقوق الزوجة؟

ـ الجواب: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ **(التحريم: ٦)**، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ **(طه: ١٣٢)**.

إن أول وأولى حقوق الزوجة بالوفاء هى تعليمها فرائض ربها[1]، وبيان حق ربها عليها، فإن هى عرفت حق الله تعالى عرفت حق زوجها عليها، وأول الحقوق بالوفاء لربها «الصلاة»، وهذا يعنى بدوره أنه لابد أن يكون الزوج مصلياً، وأن يأمر أهله بالصلاة، وهو مع أمره لهم بالصلاة دعوة إلى الصبر عليهن والاصطبار، فلا يدعو بغلظة أوشدة، بل يحبب إليها الصلاة، ويُعلِّمها أنه كما يحبها يريد أن يحبها الله تعالى ـ ولله المثل الأعلى ـ وأنه كما يريدها زوجة له فى الدنيا يريدها زوجة له فى جنة الله تعالى فى الآخرة، فلا يحبها دنيا ويهملها ويجحفها حقها آخرة!.

يقول ﷺ: **«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح فى وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء»**[2].

ـ هل هذا يعنى أن الزوجة التى لا تصلى يفرق بينها وبين زوجها؟

ـ الجواب: ذهب كثير من أهل العلم إلى تكفير تارك الصلاة كفراً أكبر أى يخرج من الملة، وعليه رتبوا الأحكام، فقالوا: إذا كان متزوجاً ـ ولا يصلى ـ يُفرَّق بينه وبين زوجته، فلا يحق للمرأة المسلمة المصلية أن تعاشر الكافر تارك الصلاة ـ والعكس ـ وقالوا: تارك الصلاة ـ إذا مات ـ لا يُغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين، ولا

---

(١) وقد تيسرت والحمد لله تعالى وسائل تعليم المرأة أمر دينها عن طريق «شرائط الكاسيت».

(٢) صحيح: أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وغيرهما.

ولاية لتارك الصلاة على ابنته المصلية عند الزواج، إلى غير ذلك من أحكام تارك الصلاة، فالأمر جد عظيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، والأولى بالفتاة إذا تقدم إليها الخاطب أن تسأله أول ما تسأله عن صلاته وعن صلته بربه كما تقدم بيانه.

- وماذا أيضاً من حق الزوجة على زوجها؟

- الجواب: قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **(البقرة: ٢٢٨).**

فبين تعالى أن للنساء على الرجال حق كما للرجال على النساء، قال ﷺ وقد سأله أحدهم: يا رسول الله: ما حقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت»[١]، فيطعمها مما يطعم - وترضى هى بما قسمه الله تعالى لهما من رزق - ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يقبح فعلها أو قولها، فيسفه رأيها وعملها، ولا يهجر إلا فى البيت.

- وقال ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمينٌ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[٢]، فالعدل مطلوب أخى المسلم، وكما تحب أن تعاملك زوجتك عاملها، فلا تطلب حقك وتأبى أن تعطيها حقها.

وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل قلت بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً**»[٣].

- قال الحافظ فى الفتح: لا ينبغى له أن يجهد بنفسه فى العبادة حتى يضعف عن القيام بحقها من جماع واكتساب واختلف العلماء فيمن كف عن جماع زوجته فقال مالك إن كان بغير ضرورة ألزم به أو يفرق بينهما، ونحوه عن أحمد والمشهور عند الشافعية أنه لا يجب عليه وقيل يجب مرة وعن بعض السلف فى كل أربع ليلة وعن

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود. (٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخارى (٥/١٩٩٥) ومسلم.

بعضهم فى كل طهر مرة.

- **ألا يهجر إلا فى البيت:** لقوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ **(النساء: ٣٤)**، وقوله ﷺ: **«ولا تهجر إلا فى البيت»**[١]، لا كما يفعل البعض بأن يهجر الفراش والبيت فترى البعض يخرج للسهر والسمر مع الأصدقاء تاركاً خلفه زوجته كما مهملاً، فيخرج ليمرح ويفرح حتى إذا عاد إلى بيته عاد بالوجه العابس، ومنهم من يهجر البيت إلى بيت أهله!!.

فالسنة أن الرجل إذا أراد هجر فراشه أو غرفته إلى غرفة أخرى أو مكان آخر فى البيت، لا الهجر بالكلية.

- مساعدة الرجل زوجته فى شئون البيت: وهو على الاستحباب:

● عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت كأحدكم يخيط ثوبه ويعمل كأحدكم»[٢]، وفى رواية: «كان يكون فى مهنة أهله تعنى خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[٣]، وفى رواية: «كما يصنع أحدكم يخصف نعلهُ ويرقعُ ثوبه»[٤]، وفى رواية: «كان بشراً من البشر يفلى ثوبه ويحلبُ شاتهُ ويخدم نفسه»[٥].

فلا حرج على الزوج أن يساعده أهله فى بعض شئون البيت، فيُعد لنفسه الطعام أو الشراب - سواء كانت الزوجة تشعر بالتعب أو المرض أم لا - فإن هذا العمل منه يُدخل على نفسها السرور وتشعر بحب زوجها لها واهتمامه بها والحرص على راحتها وسعادتها، ولا ينتقص هذا الفعل من «رجولة الرجل» بل يزيد من محبة زوجته له، وسيرى منها جزاء هذا أضعاف وأضعاف، فالمرأة «بئر» من الحنان والعطف والإحساس المرهف الجميل، فقط عليك أن تغترف الغرفة الأول منه وسينبع هذا البئر ويروى لك

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود.
(٢) أخرجه البخارى (١٠/٤٦١ - فتح).
(٣) السابق.
(٤) أخرجه أحمد.
(٥) أخرجه أحمد.

حياتك بكل عاطفة جياشة تتمناها.

ـ صبر الرجل وحلمه على زوجته:

ـ ولما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣٤)، دخل فى قوامة الرجل أنه الأكثر صبراً واحتمالاً وتؤدة وغير ذلك، فعلى الرجل أن يكون أكثر صبراً واحتمالاً من المرأة، وتأمل كيف كان بعض أزواج النبى ﷺ يهجرنه إلى الليل، وتحدث أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعن أبيها وكان بينهما أبو بكر رضي الله عنه ـ وكان قد دعاه ليحكم بينهما ـ فقال النبى ﷺ تكلمى أو أتكلم؟ فقالت: تكلم أنت، ولا تقل إلا حقاً! فلطمها أبو بكر حتى أدمى فاها وقال: أو يقول غير الحق يا عدوة نفسها! فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره! فقال النبى ﷺ: إنّا لم ندعك لهذا، ولم نُرِد منك هذا»[1].

ـ فتأمل حال أم المؤمنين وهى تشتكى ثم لا تجد إلا أن تستجير بالنبى ﷺ من أبيها! وهى ما استجارت به ﷺ إلا لعلمها برأفته وحبه وحنانه وشفقته ﷺ.

ـ وهى التى تقول يوماً للنبى ﷺ: أنت الذى تزعم أنك نبى؟!! فتبسم رسول الله ﷺ.

ـ كمن تقول لزوجها يوماً: أنت الذى تزعم أنك «ملتزم» بدين الله!! فليصبر وليحتمل وله فى رسول الله ﷺ القدوة والأسوة الحسنة.

ـ ألا يلوح لها بالطلاق:

ـ وهذا يعنى أن يحذر أمر الطلاق أن يقع منه، أو يذكره عند كل صغيرة وكبيرة تقع بين الزوجين، فالتلويح بالطلاق يُشعر المرأة أنها لم تعد تملك هذا البيت، وأنه لا حق لها فيه، وهى مجرد ضيف ثقيل سرعان ما يذهب عند أول مشاحنة بينها وبين زوجها، وكم زلزل التلويح بالطلاق بيوتاً، وآتى عليها وقوعه.

ـ ألا يطيل فترة غيابه عنها:

أما المدة التى للرجل الغياب فيها عن زوجته فنسوق هذه القصة التى رواها الإمام مالك فى الموطأ فقال: «بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرس المدينة، مر على بيت من بيوتات المسلمين فسمع امرأة من داخل البيت تنشد:

---

(١) أخرجه البخارى.

تطاول هذا الليل وازور جانبه	**وأرقنى أن لا ضجيع الاعبه**
الاعبه طوراً وطوراً كأنما	**بدا قمراً فى ظلمة الليل حاجبه**
يُسر به من كان يلهو بقربه	**لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه**
فوالله لولا الله لا شئ غيره	**لحرك من هذا السرير جوانبه**
ولكننى أخشى رقيباً موكلاً	**بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه**
مخافة ربى والحياء يصدنى	**وإكرام بعلى أن تنال مواتبه**

فسأل عمر رضي الله عنه قيل لها: إن زوجها غائب فى سبيل الله تعالى، فبعث إلى زوجها حتى أعاده إليها، ثم دخل على ابنته حفصة فسألها: كم تصبر المرأة على زوجها؟ قال: سبحان الله، مثلك يسأل مثلى عن هذا؟! فقالت: خمسة أشهر، ستة أشهر، فوقف عمر وقال لا يغيب رجل عن أهله أكثر من ستة أشهر.

ـ فماذا عن وصايا الزوجين؟

ـ **الجواب:** وصايا الزوجين كثيرة فمنها أولاً: وصية الأب ابنته عند الزواج:

وصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابنته فقال: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتاب فإنه يورث البغضاء «أى الكراهية»، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء.

ـ **ثانياً:** وصية أم ابنتها عند الزواج: خطب عمرو بن حجر ملك كندة أمَ إياس بنت عوف بن مسلم الشيبانى، ولما حان زفافها خلت بها أمها أمامة بنت الحارث فأوصتها وصية تبين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة، وما يجب عليها لزوجها مما يصلح أن يكون دستوراً لجميع النساء فقالت:

أى بنية: إنك فارقت الجو الذى منه خرجت، وخلَّفت العش الذى فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً، فكونى له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً، واحفظى لَه خصالاً عشراً تكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالخضوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله.

وأما التاسعة والعاشرة: لا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً، فإنه إن أفشيت سره أو خالفت أمره أوغرت صدره ولم تأمنى غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً.

- ثالثاً: وصية الزوج لزوجته: قال أبو الدرداء لامرأته ناصحاً لها: إذا رأيتنى غضبت فرضى وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب:

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سَورَتى حين أغضبُ

ولا تنقرينى نقركِ الدفَ مرةً ... فإنك لا تدرين كيف المُغَيبُ

ولا تُكثرى الشكوى فتذهب بالقوى ... ويأباك قلبى والقلوب تقلبُ

فإنى رأيتُ الحبَ فى القلبِ والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُ يذهبُ



ســلــوكــيات

- فماذا عن السلوكيات التى على العروسين التحلى بها فى بيت الزوجية لتكون الحياة التى يظللها الحب والود والسكن والرحمة كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

- **الجواب:** من المقرر أن «مركب» الحياة الزوجية تحتاج إلى مجدافى الرجل والمرأة معاً لتصل إلى بر الأمان والحب والوئام، وهذا يستلزم من الرجل والمرأة المشاركة الدائمة فى التعاون معاً، وألا يطلب طرف أن يأخذ دائماً دون أن يعطى، بل عليه أن يبادر هو بالعطاء ولا ينتظر الأخذ، بل يفعل ما يطيق وما يسمعه فى سبيل إسعاد الطرف الآخر والتخفيف عنه عناء الطريق الطويل، وعلى الرجل أن يكون أكثر احتمالاً بحكم تكوينه الجسدى وقوامته فيأخذ مجدافى المركب ليسير بها إلى شاطئ الحب والأسرة السعيدة، ولا تتركه المرأة يجاهد ويكد وهى تشاهد هذا دون أن تبادله الابتسامة وتعطيه اللمسة الحانية والكلمة الطيبة التى تجعله لا يشعر بألم أو تعب من وعثاء الطريق، فهى تجلس أمامه على طرف «المركب» كأميرة أو ملكة متوجة يأخذها أميرها ومليكها إلى جزيرة بعيدة عن أعين الذئاب فى الطريق وفى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ليعيشا معاً عمرهما الجميل، فلابد أن يراها الرجل فى أبهى صورها من ملبس وملمس وكلمة طيبة رقيقة حانية.

ولنعلم أن السلوكيات التى على العروسين التحلى بها كثيرة جداً ومنها: حسن العشرة، فأول هذه السلوكيات التى على الزوجين التحلى بها - حسن العشرة:

- فعلى العروس - الرجل والمرأة - أن يحسن كل منهما معاشر الآخر، وقد حث تعالى فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله ﷺ الزوج بحسن العشرة فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، وقال ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»**[١]، وقال ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم**

خلقا»[1].

- وقال ﷺ: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون**[3] **ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن»**[4].

- وقال ﷺ: **«كل شىء ليس فيه ذكر الله فهو (لغو) وسهو لعب، إلا أربع (خصال): ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشيه بين الغرضين**[5]**، وتعليم الرجل السباحة»**[6].

● ومن صور حسن المعاشرة أسوق إليك أيها الزوج الحبيب هذا الحديث الطيب الكثير الفوائد وآداب حسن المعاشرة لمن تدبره وتأمله، وفيه بعض ما تبغضه النساء فى الرجال، وبعض ما تحبه النساء فى الرجال فتأمله وزن نفسك مع أى فريق أنت، والحديث رواه البخارى ومسلم[7] عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت[8]: جلست إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً.

قالت الأولى: زوجى لحم جمل غثٌ على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل.

- تصف زوجها بأنه كلحم الجمل، وهو من أنواع اللحم غير المحببة إلى الناس، وهو من كونه لحماً مزهود فيه، فهو على رأس جبل عالٍ! وهذا الجبل لا سهل فيرتقى

(١) صحيح: أخرجه الترمذى والطحاوى، وتأمل قوله ﷺ ووصفه الزوجة بأنها أهل الرجل، فهى الأخت والأم والزوجة والقريبة.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى وغيره. (٣) فلا تخنه.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذى وابن ماجه وغيرهما.

(٥) الغرض: الهدف.

(٦) صحيح: أخرجه النسائى فى عشرة النساء.

(٧) أخرجه البخارى (١٩٨٩/٥)، ومسلم (١٨٩٨/٤).

(٨) أى تحدث النبى ﷺ وتقص عليه قصة النسوة، وفيه: حسن استماع الزوج إلى زوجته.

إلى اللحم المزهود، ولا هو بالحلم السمين فأتحمل مشقة صعود وتسلق الجبل.

قالت الثانية: زوجى لا أبثُّ خبرهُ إنى أخافُ أن لا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره.

ـ **تقول:** زوجى لا أنشر خبره، إنى أخاف إن أنا تحدثت عنه ألا أفيكم بيان معايب زوجى ومساوءه، ولكن... إن كنتُ أحدثكم عنه فيكفى أن أذكر عجره، والعجر: العقد التى تكون فى البطن واللسان، والبحر: العيوب، فتحدثت عن عيوبه الظاهرة والباطنة.

قال الخطابى: أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة، قال: ولعله كان مستور الظاهر ردىء الباطن.

قالت الثالثة: زوجى العَشَنَّقُ إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق.

ـ تصفه بأنه طويل مذموم الطول، أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله بغير نفع، وقد قال ابن حبيب: هو المقدم على ما يريد، الشرس فى أموره، وقيل: السيئ الخلق.

تقول: أنها إن ذكرت عيوبه فيبلغه طلقها، وإن سكتت عنده فإنها عنده معلقة لا زوج ولا أيم، فأشارت إلى سوء خلقه وعدم احتماله لكلامها إن شكت له حالها، وأنها تعلم أنها متى ذكرت له شيئاً من ذلك بادر إلى طلاقها، وأنها إن سكتت صابرة على تلك الحال كانت عنده كالمعلقة التى لا ذات زوج ولا أيم.

قالت الرابعة: زوجى كليل تهامة لا حرٌّ ولا قرٌّ ولا مخافة ولا سآمة.

ـ تصف زوجها بأنه لين الجانب، خفيف الوطأة على الصاحب، ويحتمل أن يكون ذلك من بقية صفة الليل، ثم وصفته بالجود ووصفته بحسن العشرة واعتدال الحال وسلامة الباطن، فكأنها قالت: لا أذى عنده ولا مكروه، وأنا آمنةٌ منه فلا أخاف من شره، ولا ملل عنده فيسأم من عشرته، فأنا لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل.

قالت الخامسة:

زوجى إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عمَّا عهد.

ـ تصفه بالغفلة عند دخول البيت على وجه المدح له[1]، وشبهته فى لينه وغفلته بالفهد، لأنه يوصف بالحياء وقلة الشر وكثرة النوم، أو تصفه أنه إذا دخل البيت وثب

(١) وخلق الغفلة عند الرجل خُلق حسن، فهو يتغافل عن بعض الأمور فى بيته، فلا يضيق =

على وثوب الفهد[1]، وإن خرج كان فى الإقدام مثل الأسد، وأنه يصير بين الناس مثل الأسد، أو تصفه بالنشاط فى الغزو، وقولها: ولا يسأل عما عهد: تمدحه بأنه شديد الكرم كثير التغاضى لا يتفقد ما ذهب من ماله[2].

ـ قالت السادسة:

زوجى إن أكل لفَّ[3] وإن شرب اشتفَّ[4] وإن اضطجع التفَّ[5] ولا يولج الكفَّ ليعلم البثَّ؟[6].

ـ تصفه بأنه أكول شروب نؤوم، إن أكل لا يبقى شيئاً من الطعام، والإشتفاف فى الشرب استقصاءه فإن شرب لا يبقى شيئاً من الشراب، وإن نام رقد ناحية، وتلفف بكسائه وحده وانقبض عن أهله إعراضاً، ولا يمد يده ليعلم ماهى عليه من الحزن فيزيله.

= الخناق على زوجه فى عمل كذا فى البيت، أو تنظيف كذا، وتأخيرها لفعل كذا كان قد أمر به من أمور البيت، فهو يتغافل فى بيته عن مثل هذه الأمور الصغيرة، ولا يكون كالضابط الحارس المتفقد لكل صغيرة وكبيرة فى البيت، حتى لا تكره الزوجة وجوده وتتحين خروجه.

(١) أى يُكثر من مغازلتها ومواقعتها كحال الفهد مع أنثاه إذا دخل عرينه.

(٢) فلا يتفقد المال عند عودته، ويسأل أين ذهب المال، فترى الزوجة وقد أعدت قائمة المصروفات بالدرهم والدينار والفلس، وأين ذهب وكيف ذهب ولماذا ذهب؟ حتى تقول الزوجة: أرى عمرى مع هذا الرجل قد ذهب! بلا عودة!!!.

(٣) ويقع فى هذا الكثير من الأزواج، فلا هو يسمى الله تعالى، ولا هو يأكل بيمينه، إنما باليدين! ولا هو يأكل مما يليه كما صح بذلك الحديث، إنما «تلف» اللقمة أرجاء الصحفة خشية هرب بعض الطعام وانفلاته من قبضته! ولا هو يضع اللقمه فى فم امرأته إتباعاً للسنة، ولا هو ينتظر الزوجة حتى تنتهى من إحضار الطعام وترتيبه، إنما ما إن يوضع الطعام أمامه حتى يبدأ الصراع والحرب الضروس بين اللقمة والأسنان والضروس، وهكذا تستبدل الزوجة صحفة تلو الصحفة، وهكذا إذا أكل لف.

(٤) فلا يسمى الله، ولا يشرب على ثلاث كما صح بذلك الحديث، وإنما يشتف الماء حتى نهايته، ثم تسمع جشاءً يرتج له المنزل!

(٥) يلتف فيبدو هو والغطاء كقطعة واحدة، وتجلس الزوجة بجواره تتحسر على ما بذلت من جهد فى إعداد الطعام والشراب وتهيئة الفراش! والتعطر والتزين لهذا الملتحف!

(٦) فلا هو يشكر على الطعام الجيد أو الشراب اللذيذ، ويشكر لها تعبها وجهدها ومعانتها، أو سأل عن حالها وصحتها، ومن باب أولى فهو لن يسأل عن صلاتها وتقربها إلى ربها.

- **قالت السابعة:** زوجى غياياءُ[1] أو عَيَايَاءُ[2] طباقاءُ[3] كل داءٍ له داءٌ شجَّكِ أو فلَّكِ أو جمع كلاً لك.

- تصفه بالحماقة، كأنه فى ظلمه من أمره، وأنه عيى اللسان[4] لا يهتدى إلى مسلك، ووصفته بثقل الروح وأنه كالظل المتكاثف الظلمة الذى لا إشراق فيه، وتقول أن كل شىء تفرق فى الناس من المعايب موجود فيه، وتصفه بسوء المعاملة لأهله، إن ضربها فإما أن يشجها أو يكسرها أو يجمع لها الاثنين.

- **قالت الثامنة:** زوجى المسُّ مسُّ أرنبٍ والريحُ زرنبٍ.

- تمدح زوجها بأنه لين الخلق، وحسن العشرة، فهو فى ريح ثيابه، كالزرنب، وهو نبات طيب الريح، وفى لين كلامه ولطف حديثه وحلاوة طباعه كالأرنب فى لين الملمس.

- **قالت التاسعة:** زوجى رفيعُ العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النادِ.

- وصفته بطول البيت وعلوه وكرمه، أو بنسبه الرفيع، طويل السيف مما يدل على شجاعته وإقدامه، وهو مع ذلك سخى كريم الأضياف، فرماد البيت كثير من كثرة الأضياف، وهو مع هذه كله زعيم قومه فى ناديهم القريب من البيت.

- **قالت العاشرة:** زوجى مالكٌ وما مالكٌ مالكٌ خيرٌ من ذلك له إبلٌ كثيراتُ المبارك قليلاتُ المسارح وإذا سمعن صوت المزهر أيقنَّ أنهنَّ هوالكُ.

- تصفه بالكرم والثروة وكثرة القرى والاستعداد له، والمبالغة فى صفاته، والتقديم له بالسؤال للتنبيه على عظم شأنه، فقولها: وما مالك؟ تعظيم لأمره وشأنه، وأنه خير مما أشير إليه من الثناء والمديح كله على الأزواج السابق ذكرهم، فمالك هذا له إبل كثيرة، دائمة البروك بالحظيرة انتظاراً لقدوم الضيف، ولهذا الرجل علامة وإشارة بينه وبين أهله أو خدمه، فإذا نزل بهم الضيف، أعطى الرجل الإشارة بالمزهر، دلالة

(١) أو هو غبى الفهم والمنطق.

(٢) أى تجمعت فيه أمراض العالم شماله وجنوبه، شرقه وغربه.

(٣) يعنى إذا أراد جماعى أطبق على كالسور الذى يقع على أصحابه، أو كالبيت ينهدم على أهله، فلا يقدم بالقبلة أو باللمسة او الكلمة.

(٤) ثقيل اللسان.

لإعداد الطعام - فلا يسمع الضيف ندائه بإعداد الطعام فيتحرج - وقد اعتادت الإبل عند السماع الملاهى أن توقن بالهلاك وهو النحر، ليقدم لحمها طعاماً لضيوفه، وهذا غاية الكرم.

- **قالت الحادية عشرة:** زوجى أبو زرع، وما أبو زرع؟ أناس من حلىٍّ أذنى، وملأ من شحم عضدى، وبجَّحَنِى فبجحت إلى نفسى، وجدنى فى أهل غنيمةٍ بشق، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنقٍّ، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنحُ.

أم أبى زرع، فما أُمُّ أبى زرعٍ؟ عكومها رداحٌ، وبيتها فساحٌ.

ابنُ أبى زرع، فما ابنُ أبى زرع؟ مضجعه كمسلِّ شطبةٍ ويُشبعهُ ذراعُ الجفرة.

بنت أبى زرع، فما بنت أبى زرع؟ طوع أبيها، وطوع أمِّها، وملءُ كسائها، وغيظُ جارتها.

جاريةُ أبى زرع، فما جارية أبى زرع؟ لا تثبت حديثنا تبثيثاً، ولا تنقِّثُ ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً.

قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخضُ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمَّانتين، فطلقنى ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شرياً، وأخذخطيًا، وأراح علىَّ نعماً ثرياً، وأعطانى من كل رائحة زوجاً، وقال: كلى أم زرع وميرى أهلك، قالت: فلو جمعت كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع».

- قولها «أناس من حلى أذنى» أى حلانى بأنواع الزينة التى تعلقن بأذنى.

- قولها «وبجحنى فبجحت إلى نفسى: أى: سرنى وفرّحنى بحسن معاملته فعظمت نفسى فى عينى، أو عظمنى ورفع من شأنى فعظمت نفسى فى عينى، حتى شعرت بأن أميرة الأميرات، رغم أنه:

- وجدنى فى أهل غنيمة بشق... أى: وجدنى فى أهل فقراء، ليس لهم من الغنم إلا قليل، فانتشلنى من هذا الحال فجعلنى فى أهل الثراء مع الخيل والإبل والزرع والخدم والدجاج وسائر الأنعام.

- فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح: أى أتكلم فلا يقبح قولى أو يسفهه، وعندما أنام فلا يوقظنى أحد حتى استيقظ من نفسى، وإذا شربت ارتويت من الشراب.

ثم هى بعد أن وصفت زوجها انتقلت بالثناء إلى أمه وابنه وابنته بل حتى إلى جاريته، وهذا إنما يدلك على مدى تعلق هذه المرأة بزوجها، فهى لم تكتف بمدح الزوج حتى اتبعت هذا بالثناء على أمه (حماتها)! تصفها بأنها؟ سمينة الجسم واسعة البيت، وابنه: هادئ الطباع قليل الطعام، وابنته: سمينة كأمها، وهى طوع أمر أبيها وأمها، وهى غيظ جارتها: أى جيران أبيها وأمها، أو غيظ جارتها: أى أن زوج البنت كان متزوجاً عليها فكانت هى أفضل أزواجه - جارتها - إليه، ثم إليكم أيضاً وصف جارية وخادمة أبى زرع: فهى كتومة لا تنشر خبر بيتنا والحديث عنه - هذه الجارية أو الخادمة وليست الزوجة! - ولا هى تهمل أمر طعامنا فهى ليست بالمبذرة، أو ليست بالتى تسرق من ثمن طعامنا عند شرائه، وهى مع هذا كله نظيفة، تحافظ على نظافة بيتنا!!!.

ثم أخذت بالعود مرة أخرى فى بيان حال أبى زرع، تقول: خرج زوجها ذات يوماً - لعله كان غاضباً، فرأى امرأة جميلة معها ولدان يشبهان البدر فى الجمال، والفهد فى الحيوية والنشاط، يلعبان بثديى أمهما، اللذين يشبهان الرمانتين، تقول: فطلقنى ونكحها، تقول: فتزوجت بعده رجلاً سوياً شريفاً، أعطانى كل ما أريد من أنواع النعم، ولم يبخل على بشىء، وقال لى: تمتعى وأعطى أهلك ما تشائين من أنواع الخيرات، تقول: فلو جمعت كل شىء أعطانيه هذا الزوج الثانى ما بلغ أصغر آنية أبى زرع، وذلك لشدة حبها وعظم الخير الذى كان عند زوجها الأول[1].

- قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: **«كنتُ لك كأبى زرع لأم زرع»** هذه رواية البخارى ومسلم، وفى رواية للطبرانى: «كنت لك كأبى زرع لأم زرع، لكن لا أطلق النساء».

- **ومن صور حسن المعاشرة أيضاً:** إشاعة المرح والسرور والبهجة والتلطف مع الزوجة، روى البخارى[2] عن عروة عن عائشة قالت: «رأيت النبى ﷺ يسترُنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا التى أسأمُ فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو».

- وعن الصديقة بنت الصديق عائشة - رضى الله عنها - أيضاً قالت: «خرجت

(١) انظر فتح البارى (٩/١٦٣).

(٢) أخرجه البخارى (٥/١٩٩١).

مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدُن فقال للناس تقدموا فتقدموا، ثم قال لى تعالى حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عنى حتى إذا حملتُ اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه فى بعض أسفاره فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك»(١).

ـ وعنها أيضاً ـ رضى الله عنها ـ قالت: «كنت أشربُ وأنا حائضٌ ثم أناوله النبى ﷺ فيضعُ فاهُ على موضع فىَّ فيشرب وأتعرَّقُ العرق وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاهُ على موضع فىَّ»(٢).

ومن السلوكيات التى على الزوج التحلى بها أيضاً:

ـ ألا يطرق أهله ليلاً:

روى البخارى عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال: «كان النبى ﷺ يكره أن يأتى الرجل أهله طرُوقاً»(٣)، وعنه أيضاً ﷺ أن النبى ﷺ قال: **«إذا قدم أحدكم ليلاً فلا يأتينَّ أهله طروقاً حتى تستحدَّ المُغيبةُ وتمشط الشعثة»**(٤).

قال أهل اللغة: الطروق بالضم المجئ بالليل من سفر أو من غيره على غفلة ويقال لكل آت بالليل طارق ولا يقال بالنهار إلا مجازاً.

وقال بعض أهل اللغة: أصل الطروق الدفع والضر وبذلك سميت الطريق لأن المارة تدقها بأرجلها وسمى الآتى بالليل طارقاً لأنه يحتاج غالباً إلى دق الباب وقيل أصل الطروق السكون ومنه طرق رأسه فلما كان الليل يسكن فيه سمى الأتى فيه طارقاً.

ـ وقوله ﷺ فى رواية أخرى صحيحة عن جابر رضي الله عنه: **«إذا طال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً»**، وفيه التقييد فيه بطول الغيبة، أى يشير إلى أن علة النهى إنما توجد حينئذ فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، بخلاف من يخرج نهاراً إلى عمله ثم يعود ليلاً، وإنما المراد من طالت غيبته فلا يطرق أهله ليلاً بدون تنبيه خشية أن تقع عينه

(١) صحيح: أخرجه النسائى فى العشرة وأحمد وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخارى (٥/٢٠٠٨).

(٤) السابق ومسلم.

على ما يكره من عدم النظافة ونحوها مما قد يسبب له النفرة، والشرع الحكيم إنما يحرض على الستر، وقد وقع فى بعض الروايات: «أن يخوّنهم أو يلتمس عثراتهم».

- فعلى الزوج عند عودته من العمل مثلاً ألا يهم على أهله ليلاً فيفتح عليها الباب «بالمفتاح» دون الاستئذان والتوطئة بدق «الجرس» مثلاً لئلا يرى منها ما يكون سبباً فى نفرته منها، أو يطلع على عورة منها لا تريد منه أن يراها.

وفى حديث الإسراء والمعراج هذا الأدب اللطيف فى الاستئذان ويظهر جلياً فى دق جبريل عليه السلام باب السماء الأولى طلباً للصعود والدخول، ثم تكرر هذا الأمر فى كل سماء، وسؤال الملائكة الطارق فيرد باسمه ثم سؤالهم عمن معه وهكذا... وفى هذا من الحكم والأدب ما على المسلم من تأمله وتدبره[١].

- ومن السلوكيات التى على الرجل التحلى بها أيضاً: مراعاة غيرة النساء

- روى أنس قال: «كان النبى ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التى النبى ﷺ فى بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة[٢] فانفلقت فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة[٣] ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كُسِرَتْ[٤] صحفتها وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت»[٥].

- ففى هذا الحديث التنبيه إلى عدم مؤاخذة الغيراء لأنها فى تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذى أثارته الغيرة.

وأصل الغيرة غير مكتسب للنساء لكن إذا أفرطت فى ذلك بقدر زائد عليه تلام وضابط ذلك ما ورد فى الحديث الآخر عن جابر بن عتيك الأنصارى رفعه: «إن من

---

(١) انظر السراج الوهابى فى شرح حديث الإسراء والمعراج لكاتب هذه السطور. ط: مكتبة العلم.

(٢) وفيه عدم ترك أو رمى الطعام إذا وقع على الأرض.

(٣) تأمل هذا التواضع والمشاركة من الرسول ﷺ.

(٤) وفى هذا بيان لحِل «العوض»، وبطلان قول البعض بحرمة العِوض.

(٥) السابق.

الغيرة ما يُحِبُّ الله منها تعالى ومنها ما يبغض الله تعالى، ومن الخيلاء ما يحب الله تعالى ومنها ما يبغض الله تعالى، فأما الغيرة التى يحب الله تعالى فالغيرة فى الريبة، وأما الغيرة التى يبغض الله عز وجل فالغيرة فى غير ريبة، والاختيال التى يحب الله عز وجل اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذى يبغض الله عز وجل الخيلاء فى الباطل»[1].

ـ وهنا ننبه «الرجال» الذين تهاونوا فى أجساد نسائهم فأصبحت مرتعاً لأعين الذئاب فى كل مكان، فى الطريق، فى العمل، فى وسائل الإعلام، حتى دخل العرى والتهاون «بالعِرض» بيوت المسلمين - إلا من رحم الله - حتى يرى «الرجل» زوجته تجلس أمام «شقتها» مع جارتها وقد ارتدت ما يكشف كتفيها وبعض صدرها، وساقيها، أو تجالس أصدقاء الزوج ـ فى الزيارات! ـ وقد تعرى صدرها أو ظهرها بعد أن تعرت هى من أوامر ربها، حتى صارت «الدياثة» هى العرف السائد فى بيوت وشوارع المسلمين، حتى أصبحت صاحبة النقاب هى «العفريت» الذى تهدد به بعض الأمهات أبنائها الصغار! وغداً «الرجل» يرى ابنته تخرج إلى «الدراسة» أو العمل وهى ترتدى «الجينز أو الاستريتش» وقد بدت عورتها ومفاتن جسدها لكل لذى عينين، تخرج الفتاة بهذا الزى ويراها الأب وهو يحتسى كوب «الشاى» ولا يتحرك فيه ساكناً! بل وصل الأمر ببعض الآباء بضرب ابنته إذا شعر الأب بتحول فى حياة ابنته من التبرج إلى الالتزام بشرع ربها وستر عورتها! وقد نسى الأب قول النبى ﷺ: **«كُلُّكُمْ راع وكلكم مسئول عن رعيته»** الحديث، وغاب عن الأب فى دنيا الناس أنه سيقف يوماً بين يدى رب السموات والأرض ليسأله عن تلك الذنوب التى تحملها هو وابنته بخروجها متبرجة ـ وهو يجلس يحتسى شاى الصباح! ـ فكل نظرة على المتبرجة بذنب تتحمله هى ومن تركها تخرج بهذا التبرج والسفور ـ وغاب عن الأب والزوج قوله ﷺ: **«لا يدخل الجنة ديوث»**[2] وهو الذى يقر السوء فى أهله!.

لهذا وجب على الزوج التنبيه واستنفار الغيرة فيه على أهل بيته، روى البخارى عن سعد بن عبادة أنه قال: «لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (١/٥٣٠) وأبو داود (٣/٥٠) والنسائى.

(٢) صحيح: أخرجه الطيالسى (١/٨٩) وغيره.

فقال النبى ﷺ أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير منّى»[١].

وعن عبد الله عن النبى ﷺ قال: **«ما من أحد أغيرُ من الله من أجل ذلك حرَّم الفواحش وما أحدٌ أحبُّ إليه المدح من الله»**[٢].

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«يا أمة محمد والله ما من أحد أغيرُ من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»**[٣].

وعن عروة بن الزبير عن أمة أسماء أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس شىء أغير من الله عز وجل»**[٤].

ـ ومن أبواب حسن العشرة أيضاً: النهى عن الضرب المبرح:

ـ قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ **(النساء: ٣٤)**، وقال ﷺ: **«فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا»**[٥].

يقع كثير من الأزواج فى خطأ عظيم وهو تعد حدود الله عز وجل فى مراتب تأديب النساء، فيبدأ أحدهم ما يبدأ بالضرب، وقد أرشد تعالى عباده المؤمنين إلى كيفية تأديب المرأة التى تخاف نشوزها، فبدأ تعالى بموعظة الزوجة وتخويفها عذاب الله عز وجل إن هى عصت زوجها، وأنه جنة المرأة أو نارها، وأنه لو كان لأحد أن يسجد لأحد لسجدت المرأة لزوجها من فرط طاعته عليها، وأصبحت هذه الموعظة ببيان مدى حبك لها، وليكن أمامك قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ **(المؤمنون: ٩٦)**، وقوله ﷺ: **«لا تكسر القوارير»**[٦]، والمراد بالقوارير: جمع قارورة وهى الزجاجة، والمراد: النساء، وإنما شبههم ﷺ بالقوارير: أى الزجاج: لرقتهن وضعفهن ولطفهن.

---

(١) أخرجه البخارى (٥/٢٠٠٢). (٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم. (٤) السابق.

(٥) صحيح: أخرجه الترمذى وابن ماجه وأبو داود.

(٦) أخرجه البخارى ومسلم بنحوه.

فإن هى لم تتعظ وتثب إلى رشدها انتقل الزوج إلى المرحلة الثانية فى التأديب وهى «الهجر فى الفراش» فيهجر الرجل زوجته فى فراشها ويوليها قفاه، أو يهجر حديثها إظهاراً لغضبه.

فإن عادت إلى حظيرة الطاعة فبها ونعمت، وإلا انتقل إلى المرتبة الثالثة وهى الضرب لقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾، وقوله ﷺ فى حديث عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فذكر حديثاً طويلاً وفيه: «فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح»[1] الحديث، وفى حديث جابر الطويل عند مسلم «فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح»[2] أى غير مؤلم[3]، وروى البخارى عن عبد الله بن زمعة عن النبى ﷺ: **«لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها فى آخر اليوم»**[4].

- فضرب النساء لا يباح مطلقاً بل فيه ما يكره كراهة تنزيه أو تحريم، فهو ضرب تأديب وليس ضرب العبد أو الأمة أو ضرب التعذيب، وليحذر الوجه.

وقد جاء النهى عن ضرب النساء مطلقاً فعند أحمد وأبى داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم من حديث إياس بن عبد الله بن أبى ذباب: «لا تضربن إماء الله فجاء عمر إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله قد ذئر النساء على أزواجهن فأمر بضربهن فضربن، فطاف بآل محمد ﷺ طائفُ نساءٍ فلما أصبح قال لقد طاف الليلة بآلِ محمدٍ سبعون امرأة كل امرأةٍ تشتكى زوجها فلا تجدون أولئك خياركم»[5]، وله

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى وابن ماجه وأبو داود.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) كان ﷺ إذا ضرب ضرب بالسواك! أما أزواج اليوم فلا يكفى أحدهم (شجرة السواك) وإنما يلجأ بعضهم إلى ضرب الزوجة تارة بالعصا الغليظة - وتارة بـ «الخرطوم» وتارة بكل ما أوتى من قوة ذراع وأرجل! وكأنه يتعامل مع عبد من عبيد عصر الجاهلية الأولى، ومما يؤسف له أن إعادة ضرب الزوجات متفشية جداً لدى الكثير من الأزواج، والمرأة تقول: أن الرجل حين يضرب زوجته يقوم ببناء جدار عظيم بينه وبينها، يصبح من الصعب جداً هدم هذا الجدار، تشعر بإهدار كرامتها واستهانة زوجها بها مما يؤدى فى النهاية إلى مفترق الطرق بينهما، إلى الطلاق.

(٤) أخرجه البخارى (١٩٩٧/٥).

(٥) صحيح: أخرجه الدارمى وابن حبان (٣١٩/١)، والنسائى فى الكبرى (٣٧١/٥) وغيرهما.

شاهد من حديث ابن عباس فى صحيح ابن حبان وآخر مرسل من حديث أم كلثوم بنت أبى بكر عند البيهقى.

- وقوله: «ذئر» بفتح المعجمة وكسر الهمزة بعدها راء أى نشز بنون ومعجمة وزاى، وقيل معناه غضب واستبد، قال الشافعى: يحتمل أن يكون النهى على الاختيار والأذن فيه على الإباحة ويحتمل أن يكون قبل نزول الآية بضربهن، ثم إذن بعد نزولها فيه.

- وفى قوله: «أن يضرب خياركم: دلالة على أن ضربهن مباح فى الجملة ومحل ذلك أن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليه فيه طاعته، فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل لما فى وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة فى الزوجية إلا إذا كان فى أمر يتعلق بمعصية الله وقد أخرج النسائى فى الباب حديث عائشة: «ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له ولا خادماً قط ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا فى سبيل الله تعالى أو تنتهك حرمات الله فينتقم لله»[1].

- فالزوج لا يلجأ إلى الضرب إلا بعد أن يستنفد السبل والمراتب التى بينها تعالى فى كتابه، وكلما ابتعد الزوج عن الضرب كان له أفضل، وقال ﷺ: **«علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فانه أدب لهم»**[2].

قال ابن الأنبارى، لم يرد الضرب به لأنه لم يأمر بذلك أحداً، وإنما أراد ألا ترفع أدبك عنهم[3].

- **ومن السلوكيات أيضاً:** أن يتأدب الرجل بأدب خلع الحذاء عند ولوجه بيته فى المكان المخصص له.

- أن يتأدب بأدب وضع ملابسه عند خلعها فى مكانها المخصص لها، كى لا يرهق زوجته بكثرة الأعمال فى البيت.

- كما على الزوج أيضاً أن يعرف حقوق وواجبات أهل عروسه، فيكون فى استقبالهما بالابتسامة والترحيب ومجالستهم.

---

(١) انظر فتح البارى (٩/٣٠٣) بتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه الطبرانى.

(٣) انظر: فيض القدير للمناوى (٤/٣٢٥).

ـ ومن السلوكيات أيضاً التى على الزوج أن يتحلى بها فى بيته:

ـ الحذر مما يقع فيه كثير من الأزواج حيث ترى بعضهم وقد ظن أنه بزواجه فهو صاحب البيت ومالكه وكأنه يعيش فيه وحده، فلا تراه زوجه إلا وهو رث الثياب – ما دام دخل البيت!!! ـ ولا تشم منه إلا أقذر ريح! سواء كان جالساً أم قائماً![1].

ـ ترخيم اسم الزوجة: عن أبى سلمة إن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «قال رسول الله ﷺ يوماً: يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ»[2].

ـ ومن السلوكيات أيضاً: أن يذّرك الرجل زوجه بأنها أجمل هدية قدمتها له فلانة حين عرضتها عليه، وأنها أجمل من دخل حياته، وأنه سعيد بهذا الزواج ونحو هذا.

ـ أن يطعمها: بأن يضع اللقمة فى فيها ـ وله فيها أجر ـ أثناء الأكل، وأن يكثر من المزاح[3] والابتسام خفيف الظل، أثناء الطعام، «ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً»، أخرجه مسلم.

ـ ومن السلوكيات أيضاً: ما يفعله بعض الأزواج بمحادثة زوجته من عمله ليطمئن عليها، وما أجمل أن يحدثها فى الهاتف بعد خروجه من البيت أو فى عمله أو قبل عودته فيقول لها: أحبك...، وما أروع هذه الكلمة وأوقعها عند الزوجة، وما أجمل هذا الفعل أيضاً من الزوجة لزوجها.

---

(١) من فساء وضراط وجشاء، بل إنى أعرف أحدهم يستحى أن «يقضى حاجته» فى بيته!

(٢) أخرجه صحيح البخارى (١٢٧٤/٣) ومسلم (١٨٩٦/٤).

(٣) وهنا ننبه: إلى مزاح البعض من الأزواج مع نسائهم «سخيفاً» قد يؤدى فى بعض الأحيان إلى «الطلاق!» نعم إلى الطلاق، كمن كان يمزح مع زوجته ـ وكانت سمينة ـ ويقول: زوجتى لو دخل الحرامى لجلست عليه حتى يختنق ـ تفطسه ـ فجرح الزوجة أيما ألم وجرح، وكان الطلاق!، ومنهم من يقول: أنا مجوز راجل ما يتخاف عليها، وهذا كسابقه! ومن النساء من تمزح مزاحاً يعلوه السخرية وإن كانت لا تعى هذا، كمن قالت لزوجها ـ وكان نحيفاً ـ ده مفيهوش نفس!!، ومنهم من تشعره بضعفه جنسياً مزاحاً بدون قصد منها.

والمراد: أن يكون الزوج على حذر حتى فى مزاحه مع زوجته فيحافظ على مشاعرها الرقيقة، فلا يضاحكها بما يجرح شعورها، فهى كالغشاء الرقيق الذى يتأثر بصغير الأمور من حب أو كره، وكذا الزوجة لتكن على حذر من مزاح الزوج بما يؤلمه أو يحط منه.

- ومن من يعود إلى بيته ومعه هديته: زهرة، شيكولاته، مصاصة! نعم مصاصة، فقط تشعر الزوجة أنك تتذكرها دوماً، علبة حلوى، شىء تحبه الزوجة ويعرف الزوج هذا منها، إلى غير ذلك، فسبل التعبير عن حبك لزوجتك وأنها معك دائماً وتفكر فيها دوماً كثيرة، فقط أطرق الباب، وستجد أضعاف هذا من زوجتك.

ومن السلوكيات أيضاً: تزين الرجل لزوجته: فعلى الرجل أن يتزين لأهله كما يحب أن تتزين هى له[1]، وقد كان ﷺ يتزين لأهله، وكان من خير زينته السواك، كما سئلت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - عما كان يبدأ به ﷺ عند دخوله بيته؟ قَالَتْ: بالسِّوَاكِ[2].

وقد قال وتعالى: **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨)**، وقال ﷺ: **«إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال»**[3]، فكما أن للمرأة أن تتزين لزوجها، على الرجل أيضاً أن يتزين لزوجه، وكما يحب منها أن تستحم وتمشط شعرها وتتطيب ونحو هذا قبل الجماع، فعليه أيضاً مثل هذا، فكما يريد أن لا يشم منها إلا أطيب ريح، فلها أيضاً مثل ذلك، فعليه أن لا تشم منه إلا أطيب ريح، وكما يريد منها ألا يراها فى ثياب رثة، فلها أيضاً وعليه أن لا تراه فى ثياب رثة، وقد روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال: إنى لأتزين لإمراتى كما تتزين لى.

• سلوكيات الزوجة:

ومن السلوكيات التى على المرأة التحلى بها فى البيت:

- تحريم إفشاء سر الإفضاء:

وليحذر الزوجان من إفشاء أسرارالجماع كما يجرى على ألسنة كثير من الشباب غير الملتزم بدينه من التفاخر والتباهى بما يجرى بينه وبين أهله وأنه ظل يمارس العملية الجنسية فترة كذا وكذا! لقوله ﷺ: **«إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم**

(١) ومثل هذا هو من باب «عامل الناس كما تحب أن يعاملوك».

(٢) أخرجه مسلم، فيتفقد الرجل ثغره، وكذا المرأة.

(٣) أخرجه مسلم، وانظر: شرح الاسم فى كتاب «القول الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى» ط: مكتبة العلم، الطبعة الثانية.

القيامة الرجل **يُفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرَّهَا»**[1]، وعن أسماء بن يزيد - رضى الله عنها - : «أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعودٌ عنده، فقال لعله رجلاً يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأةً تخبر بما فعلت مع زوجها فأرمَّ القومُ فقلت إى والله يا رسول الله إنهن ليقلن، وإنهم ليفعلون، قال: فلاتفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقى شيطانةً فى طريق فغشيها والناس ينظرون»[2].

ففى هذا بيان حرمة نشر وإفشاء أمور الاستمتاع ووصف تفاصيله، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة، وقد قال ﷺ: **«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[3]، وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها أو تدعى عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك فلا كراهة فى ذكره.

- ومما يؤسف له أن ظاهرة إفشاء أسرار الجماع أصبحت فاشية وظاهرة بين كثير من النساء، حتى إذا اجتمع بعضهن فلا يكون الحديث إلا عن الجماع، وما ترتديه كل منهن لزوجها عند الجماع، وتروى هذه، وتحكى تلك، ماذا ترتدى وماذا تفعل؟ وفى هذا استثارة لمن لا تملك مثل ما تملك المتحدثة من ملابس، مما يثير الضغائن بين النساء وأزواجهن، بل وصل الأمر ببعضهن أن يكون الحدث عن مدة فترة الجماع، فتروى هذه أن زوجها يعاشرها فترة كذا، وتلك تتباهى أن زوجها أشد منه وأقوى إذا تكون معاشرته لها تستمر فترة كذا، مما يجعل بعضهن يسئن الظن بأزواجهن وأنهم غير كفء لهن!! وما يجعل المرأة اللعوب تنظر إلى زوج تلك الذى يطيل فترة الجماع كذا وكذا فترمى شباكها عليه فتكون قد جنت على نفسها براكش.

- فالحذر الحذر أختاه من نشر وإفشاء سر الجماع بينك وبين زوجك حتى تحفظى عليك بيتك وزوجك.

- عدم إستقبال الرجل بعد عودته من عمله بـ «دخول الحمام»!!!:

فإن بعض من النساء يقعن فى هذا الخطأ الفاحش، وذلك حينما تستقبل الزوجة

(١) تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد.

(٣) أخرجه البخارى (٥/ ٢٢٤٠)، ومسلم (١/ ٦٨).

زوجها بعد عودته من عمله بتزيين نفسها، فتبدأ أول ما تبدأ بدخول الحمام لقضاء حاجتها!!!!، ثم الاستحمام.. إلخ، مما يؤدى إلى نفور الرجل، خاصة إذا كانا يعيشان فى مكان غير متسع، فيشم الرجل من المرأة ما يكره، فينفر منها.

وإنما عليها «قضاء حاجتها» والتزين لزوجها قبل موعد عودته إلى البيت، فيرى منها أول ما يرى عند ولولجه بيته أجمل ما يريده من زوجته.

- التحذير من كفران العشير:

روى البخارى عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما -: «قال خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم سجد ثم قام فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع ثم سجد ثم انصرف، وقد تجلت الشمس فقال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم فاذكرواالله، قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك هذا ثم رأينك تكعكعت فقال إنى رأيت الجنة أو أُريت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا لم يا رسول الله قال بكفرهن قيل ان يكفرن بالله، قال يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قطٌّ»[1].

- العشير: أى الزوج، من المعاشرة، وهذا هو حال المرأة إذا أحسنت إليها الدهر كله، قولاً وفعلاً، ثم أنت لم تلب لها طلباً من ملبس أو مأكل أو تنزه ونحو هذا، قالت: ومتى رأيت منك الخير منذ زواجنا، ومتى كنت حانياً رقيقاً شفيقاً جواداً، هذه هى حياتى معك: شقاء وعناء منذ أول ليلة من زواجنا التعيس.

- ويرتبط بالسابق: الحذر من ذكر المرأة مساوئ ومعايب الزوج عند الشجار أو

(١) أخرجه البخارى (١٩٩٤/٥)، ومسلم (١٥١٢).

الخلاف والشقاق، له أو لغيره، وهذا الفعل من الزوجة يوغر صدر الرجل جداً، فلتكن منه المرأة على حذر.

ـ وماذ إذا كان الزوج بخيلاً؟

وأما إذا كان الزوج بخيلاً فلزوجته أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وولدها أن كان لها ولد، فقد روى البخارى أن هند امرأة أبى سفيان جاءت يوماً إلى رسول الله ﷺ فقالت له: إنَّ أبا سفيان رجل شحيحٌ فأحتاج أن آخذ من ماله قال خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف(١).

ـ فكيف تظهر المرأة غضبها؟

ـ إن للمرأة فى إظهار غضبها من زوجها أنواعاً وطرقاً شتى، فمنهم من تحيل حياة زوجها جحيماً لا يطاق، تارة بالصوت وتارة بالفعل، أو تجمع كلاً له!! ومنهن من تهجر الفراش، ومنهن من تهجر البيت كله مخلفة وراءها كل «فضاء» فى حياتها وبيتها، ومنهن من تشتكى الجارات والجيران..

ولك أن تتأمل عمل أم المؤمنين عائشة فى بيان وإظهار غضبها: قال رسول الله ﷺ لعائشة يوماً: **«إنى لأعرف غضبك ورضاك، قالت: قلت: وكيف تعرف ذاك يا رسول الله؟ قال: إنك إذا كنت راضية قلت بلى ورب محمد وإذا كانت ساخطة قلت لا وربِّ إبراهيم، قالت: قلت: أجل لست أهاجر إلا اسمك»**(٢).

ـ ففيه استقراء الرجل حال زوجته من فعلها أو قولها، والعمل على إصلاح ما بينه وبينها ليعود الحب والوئام إلى حياتهما، وتأمل قول أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ التى لم تهجر البيت أو الفراش أو تفعل كذا وكذا من فعل نساء المسلمين اليوم، إنما فقط كانت تهجر اسم النبى ﷺ إلى اسم إبراهيم عليه السلام!.

ـ ولكن الزوج صبوراً حليماً عند غضب الزوجة أو تدللها!!.

وللزوجة أسوق إليها هذا الحديث الطيب: عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما غرت للنبى ﷺ على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها، وما رأيتها قط»، وتقول أيضاً: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخارى ومسلم.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

فعرف استئذان خديجة[1] فارتاح لذلك فقال: اللهم هالة بنت خويلد[2] فغرت، فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر فأبدلك الله خيراً منها»[3].

- فماذا عن الزوجة التى لا تحمد زوجها، مما يؤدى إلى وقوع كثير من المشاكل بين الزوجين؟

- الجواب: أسوق للزوج هذا الحديث الشريف: عن عائشة قالت: «لما نزل عُذرى من السماء[4] جاءنى النبى ﷺ فأخبرنى بذلك فقلت نحمد الله عز وجل لا نحمدُكَ[5]، وليعلم الزوج أنه لا توجد امرأة كاملة الخصال والأوصاف، فإنما خلقت المرأة من ضلع أعوج، وإن أعوج الضلع أعلاه، فإن أنت ذهبت تقيمه كسرته وكسر المرأة طلاقها، وإذا أردت أخى الحبيب «فاطمة» فكن أنت «علياً»، وقد قال ﷺ: **«لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها آخر»**[6]، وقد تعالى: **﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦).**

فكم من خلق طيب كريم فى زوجتك، إن ذهبت تحصيه وجدته يفوق ما تنقمه منها، وكفاك أنك تجد المصرف الحلال لشهوتك، وكفاك وضع رأسها على كتفيك وصدرك، وكفاك أن تجد منها اللمسة الحانية الرقيقة، وكفاك أنها من تقوم على شئون بيتك وشئونك، وكفاك...، وكفاك، وكفاك.

قال بعضهم

من ذا الذى ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

وقال آخر:

من ذا الذى ترضى سجاياه كلُّها ... كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه

(١) أى: يشبه إستأذان خديجة رضى الله عنها.

(٢) أى: اللهم اجعلها هالة بنت خويلد.

(٣) متفق عليه، وفى رواية: والله ما بدلنى الله خيراً منها.

(٤) فى قصة حادثة الإفك.

(٥) صحيح: أخرجه مسند أحمد (٦/٣٠).

(٦) أخرجه مسلم.

وقال آخر:

أرى كل إنسان يرى عيب غيـره ويعمى عن العيب الذى هو فيه

فيرى الزوج «القذلة» فى عين زوجته، ويغفل عن «الخشبة» فى عينه!!!.

وللزوجة أقول: قال ﷺ: **«لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه»**[1].

- بماذا تنصح كل زوج ليستديم محبة زوجته له، غير ما تقدم من سلوكيات؟

- الجواب: أقول له: هناك أموراً كثيرة

١ - أكثر من مغازلة زوجتك فى البيت - خاصة فى الشهور الأولى، فإن ذكريات الأيام والشهور الأولى ستُطبع فى ذاكرتها إلى الأبد، وبها من أجلها تتحمل الزوجة الكثير والكثير.

ومغازلة الزوجة: تارة تكون بأن تمتدح ملبسها ومأكلها ومشربها، وتارة إذا دخلت لتعد لك الطعام - مثلاً - اذهب خلفها واحتك بها من خلفها مزاحاً، وتارة بمغازلتها بالكلام الفاحش فى أثناء النهار دون أن تكون هناك معاشرة جنسية، وتارة بالنظر إلى مفاتنها ومدحها، إلى غير ذلك.

وهناك من الأزواج من تكون له ولزوجه «كلمة سرّ! أو إشارة أو علامة اتفقا عليها كناية عن الجماع!!!» - فى أيام الزواج الأولى - فما أن يقول الزوج - مازحاً معها - فى حضور الأهل مثلاً - إلا ويضحك الزوجان معاً، ولا يدرى الحضور - مثلاً - عما يحدثا، والمراد: أن هناك وسائل شتى لإشاعة جو المرح وبيان حب الرجل وزوجته.

٢ - لا تنسى السؤال عن صحتها يومياً[2].

٣ - لا تنم إلا بعد أن تمسك يدها وتتحدثا معاً ولو قليلاً، فهناك من يحرص على ألا ينام - وجد الجماع أم لا - إلا بعد ان يمسك بيد زوجته - وقد ناما على ظهرهما - ويتحدثا قليلاً، وإن لم يكن الزوج يفعل هذا تفعله الزوجة(٣) حتى

(١) صحيح: أخرجه النسائى فى «العشرة».

(٢) ولا تكن كالزوج الذى قيل فيه فى حديث أم زرع المتقدم: «ولا يولج الكف ليعلم البث».

(٣) والصواب أن تبدأ بها الزوجة وتعلمه زوجها حتى «يتعود» هذا قبل النوم، فهى «الأم» أى التى تجمع الحنان والحب والود وتبدأ به.

يكون أحد الطقوس المعمول بها دوماً قبل النوم، وهذا مما يزيد جداً فى زيادة الحب والارتباط بين الزوجين.

٤ ـ لا تنسى شكرها ـ بالكلمة أو باللمسة ـ على ما تعانيه فى أعمال البيت.

٥ ـ تأدب فى الحديث معها، مبتدئاً كلامك بـ «لو سمحتِ» منتهياً بـ «جزاك الله كل خير» أو «شكراً»، فإنه إذا كان هذا حديثك مع زميلتك فى العمل أو صديقك، فالزوجة أولى بهذا.

٦ ـ لا تنسى قبلة الصباح قبل الخروج إلى العمل، وقبلة المساء عند النوم.

٧ ـ ضع القواعد فى بداية الحياة الزوجية التى تسيرا عليها معاً دون إجحاف لها، ككيفة النقاش واحترام كل طرف رأى الطرف الآخر، وعدم ارتفاع الأصوات عند النقاش، وإذا ارتفع صوت طرف خبا صوت الطرف الآخر، ومتى يبدأ النقاش وكيف، ومتى لا يكون هناك نقاش، كيفية التعامل مع الأهل والزيارات.

٨ ـ أخرج معها إلى التنزه كلما استطعت هذا.

وللزوجين:

٩ ـ لتكن غاية كل منكما إسعاد الآخر.

١٠ ـ لا تجعلا نهاركما يمر بجفاء، دون أن يتخلله الحب والغرام.

١١ ـ ليتساهل كل طرف أمام قرينه.

١٢ ـ لا يكرر أحدكما طلباً رفضه الآخر من قبل.

١٣ ـ لا تكررا حديثاً عن مشاحنة أو شقاق كان، حتى لا تعيدا الأحزان والمضايقات.

١٤ ـ لا تتقابلا إلا والابتسامة تعلو الوجه(١).

١٥ ـ لا تغضبا معاً فى وقت واحد، ولتكن أنت ـ صاحب القوامة ـ أكثر صبراً واحتمالاً، ولا تنسى أنك تتحدث إلى حبيبتك وزوجتك.

---

(١) ويكفيك قوله ﷺ فى الحديث الصحيح «وتبسمك فى وجه أخيك صدقة»، فالزوجة أحق بهذه البسمة لها من صديق أو زميلة العمل، وزوجك أختاه أحق من تهديه ابتسمتك الرقيقة.

١٦ ـ استمع إليها وإلى حديثها، وإياك من تسفيه رأيها، أو الاستهانة بعقلها، ولك في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة كما تقدم في حديث أم زرع، وكما استمع إلى رأى زوجته عند النحر.

١٧ ـ الحذر من مرض «الخرس الزوجى» بعد الزواج، وهذا المرض كثيراً ما يصيب الرجال بعد الزواج مما يؤدى بكثير من الزيجات إلى الموت بمرض «السكتة الكلامية»!!.

ـ **قاعدة هامة:** وهذه قاعدة هامة جداً لو وضعها كل زوج موضعها لوجد فيها الراحة الزوجية التى يفتقدها الكثير من الأزواج، وهى: أن يتعامل الزوج مع زوجته على أنها لم تزل بعد الخطيبة لا الزوجة ومن المقرر أن ـ أكثر الخطاب ـ فترة الخطبة وزمانها يحاول جاهداً أن يُظهر أفضل وأحسن ما يتحلى به، وأن «يتكلف»[1] بعض الأخلاق وإن لم يكن يتخلق بها، فترى بعضهم لا يستطيع ـ مثلاً ـ أن يتحمل مداعبة طفل، ولكنه عند وجوده فى بيت خطيبته تراه يلاعب الأطفال ويلعب معهم ويضاحكهم كطفل صغير، فيرسم البسمة على وجه خطيبته، وترى فيه الزوج العطوف على الأطفال المحب لهم ـ وإن كان الأفضل والأولى أن يكون الخاطب على سجيته ولا يتكلف من الأخلاق ما ليست فيه حتى لا يدخل فى باب الغش والخداع ـ والمراد: أن الرجل إذا تزوج تراه يكون فى بيته رث الهيئة قبيح المنظر، تشم منه زوجته الريح غير الطيبة، يصاب كما يقال بـ «الخرس الزوجى» فتراه وقد أهمل الحديث مع زوجته، وأهمل مداعبتها ومغازلتها – وقد ذهب منه «إذا دخل فهد» وقد كان هذا شغله الشاغل من قبل، بينما تراه خارج بيته يضحك مع أصدقائه ويمازحهم، فإذا عاد إلى بيته حمل الهموم وذهب الضحك والمزاح ادراج الرياح ودخل بيته بالوجه العابسة وقلة الحديث والسؤال عن حال الزوجة وصحتها «فلا يولج الكف ليعلم البث».

ـ فماذا عن طاعة المرأة زوجها، إذا طلب منها مالا يقره الشرع من عدم ارتداء الحجاب الشرعى مثلاً، والخروج متبرجة سافرة، أو مجالسة أصدقائه أو أى فعل أو قول يخالف الشرع؟

الجواب: اعلمى أختاه أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

(١) وفى هذا التكلف نوع غش للزوجة، فلتتأمل.

ـ هذا ومن الأخطاء التى تقع فيها بعض النساء: نعتها لصديقة أو جارة لزوجها كأنها يباشرها، روى البخارى عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنَّهُ ينظر إليها»(١).

الجواب: لفظ الحديث كما جاء عند الإمام البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: «خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو فطر إلى المُصلى فمرَّ على النساء فقال يا معشر النساء تصدقن فإنى أريتكن أكثر أهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصاتِ عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قالَ أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تصم قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها»، هذا لفظه وشرحه ﷺ للحديث.

ويظن الكثير من الرجال أن: «النساء ناقصات عقل ودين» يعنى أن النساء مجموعة من البله الأغبياء المفرِّطات فى أمور دينهن، فيتعامل الرجل مع المرأة من هذا المنطلق الغريب، فلا يعتب عليها إذا أمرها بأمر شرعى فلم تأتمر به، أو تتهاون فى صلاتها وحجابها ومعاملاتها مع جاراتها دون حدود شرعية وأصول دينية، فترى الكثير من الرجال يتهاون فى الأمور الشرعية مع زوجته بدعوى أن النساء ناقصات عقل ودين.

ـ وترى فريق آخر يتعامل مع المرأة وكأنها طفل صغير لا عقل له، فيتهاون بعقل المرأة وتفكيرها ورأيها، واضعاً رأيها فى ذيل القائمة، حتى يقول لزوجه «انتى هتعملى رأسك برأسى»! لا تضعى عقلك مساوياً لعقلى!، ولم يتذكر أنه حين تقدم لخطبتها اشترط أن تكون الفتاة التى سيرتبط بها تصغره بسنوات خمس أو عشر أو أكثر أو أقل، وأنها مع هذا الفارق فى السن بينهما إلا أنها استطاعت أن «تحتوى» عقل الرجل وتسايره وتتعامل مع هذا العقل الذى يفوقها سناً وخبرة وتعاملاً مع الناس، استطاعت أن تكون على قدم المساواة مع هذا العقل، وأُعجب الخاطب وقتها بعقل فتاته ونظرتها الثاقبة، وعقلها الذى احتوى عقله وسايره وعايشه، ثم ما لبث بعد الزوج أن استهان بعقلها ونظرتها واستهان بزوجته أيما استهانة، وهذه الاستهانة بعقل المرأة إنما هو سهم قاتل يغرسه الرجل فى قلب المرأة دون أن يدرى، فلتكن على حذر أخى المسلم من

---

(١) أخرجه البخارى (٢٠٠٧/٥).

أن تستهين أو تحط من قدر زوجتك فى حديثك معها أو عنها.

- ويكفى فى بيان قدر المرأة وشرفها قوله ﷺ: **«النساء شقائق الرجال»**[1]، وقوله ﷺ: **«من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة، فقال له: واثنتين يا رسول الله؟ قال: واثنتين»**[2]، وكفاها شرفاً أن من قتل دون الدفاع عن شرفه وعرضه كان شهيداً، قال ﷺ: **«من قتل دون أهله فهو شهيد»**[3]، وكفاها شرفاً أن أول المؤمنين برسول الله ﷺ كانت امرأة وهى أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها -، وكفاها شرفاً أن أول شهداء الإسلام كانت امرأة وهى «سمية» زوج عمار بن ياسر، وكفاها أن النبى ﷺ نحر بناء على رأى زوجه، إلى غير ذلك الكثير من الأحاديث التى تبين فضل المرأة وكرامتها وإكرام الإسلام لها.

يقول واثلة بن الأسقع: إن من يمن المرأة - يعنى البركة - تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾

(الشورى: ٤٩)

ومن طريف ما روى: أن أميراً عربياً يكنى أبا حمزة، تزوج امرأة، وتمنى أن تلد له «ذكراً» فولدت له بنتاً، فهجر منزلها لشدة غيظه، فصار يأوى إلى بيت آخر، فمر بخبائها يوماً، فسمعها تداعب ابنتها قائلة:

ما لأبى حمزة لا يأتينا	**يظل بالبيت الذى يلينا**
غضبان أن نلد البنينا	**ليس له من أمرنا ماشينا**
وإنما نأخذ ما أعطينا	**ونحن كالأرض لزارعينا**

ننبت ما قد زرعوه فينا

وما أن سمع أبا حمزة هذا منها، حتى أخذه الحنان إليها وإلى ابنته ودخل بيته يقبلهما.[4]

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (١/١٩٠) وأبو داود (١/٦١)، والبيهقى (١/١٦٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى الأدب (١٤).

(٣) صحيح: أخرجه الشاشى (١/٢٥١).

(٤) انظر: البيان والتبيين (١/١٨٦)

فماذا عن الزواج فى بيت الأهل سواء كان بيت أهل الزوجة أو الزوجة؟

- وصية أوصى بها كل زوج يبدأ حياته الزوجية فى بيت أهله أو أهلها، وليكن له ولزوجه بيتهما الخاص بهما، وإن كان قليل الأثاث والمساحة، إلا أنه سيجنبه الكثير من المشاكل التى تنشأ من زواجه فى بيت أهله أو أهلها، فإن كان أهل بيت أهل العروس مفتقدين للوعى الدينى والالتزام بحلال الله وحرامه فإن الزوج سيعانى أشد المعانة، خاصة إذا كان أهل العروس شديدى المعاملة فلن يستطيع الزوج حينئذٍ أن تكون له الكلمة العليا على زوجه ونحو هذا مما هو معروف ومشهور، وإن كان أهله مثل ذلك فكذلك، وإن كان أحدهم يلتزم بشرع الله وحلاله وحرامه فسيعانى الزوج أيضاً فى دخوله وخروجه بل وحتى جلوسه مع أهله، وسيجد الحرج الشديد من هذا، وإذا كان أهله مثل ذلك فكذلك، خاصة إذا كان له أخوة يدخلون ويخرجون مما هو معروف ومشهور، ولذلك فإنى أنصح كل زوج أن يكون له بيته المستقل وإن كان قليل الأثاث والمساحة، إلا أنه أفضل له بكثير من زواجه فى بيت أهله أو أهلها.

- هل يجوز كذب الرجل على زوجته؟

- **الجواب:** نعم يجوز، للرجل أن يكذب على زوجه فى إصلاح ما بينهما ودوام العشرة بينهما، كأن يقول لها: أنت أجمل من رأت عينى - على قلة جمالها مثلاً - أنت كذا وكذا، أو الوعد بتلبية طلبها لكذا وكذا إن يسر الله تعالى له جاء به، يريد دوام الحب والمعاشرة بينهما.

- روى مسلم عن أم كلثوم قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ رخص فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث: «الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول فى الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها».

- إذن هل يجوز كذب المرأة على زوجها؟

- **الجواب:** فى إظهار الود لزوجها كما سبق عند الرجل، فتقول له أنت أجمل من رأت عينى - على قلة وسامته مثلاً - فلا تعصى الله تعالى فتخون زوجها - عياذاً بالله تعالى - ثم تكذب عليه! فالمرأة التى تكذب على زوجها فى كل صغيرة وكبيرة، لا يأمن الرجل جانبها، لتحذير النبى ﷺ من الكذب كما روى البخارى ومسلم، قال: **«إن**

الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» فالمرأة التى تتخذ الكذب وسيلة للخروج وعمل ما يحلو لها فإنها للحديث تصبح فاجرة، ولا يرضى الرجل أن يعاشر فاجرة عياذاً بالله تعالى، وكم هدم الكذب بيوتات كثيرة.

- ما هى مواصفات فتى الأحلام؟

- **الجواب:** يختلف وصف فتى الأحلام باختلاف الفتاة، فمنهن من ترى أن فتى أحلامها صاحب الشهادة العليا، ومنهن من تراه صاحب المال دون النظر إلى «المؤهل» الدراسى، ومنهن من ترى فتى أحلامها اللبق خفيف الظل، ومنهن من تراه الوسيم دون النظر إلى المال أو المؤهل الدراسى، إلى غير ذلك، فكل فتاة لها مواصفات تختلف عن مثيلاتها من الفتيات.

- وكيف أعرف أن هذا الفتى هو فتى الأحلام الذى يسعدنى إن أنا ارتبطت به؟

- **الجواب:** لا سبيل لكِ إلى هذا، فأنىّ لكِ معرفة فتى الأحلام، أمن خلال الهاتف[1]؟! أم من خلال الجامعة؟! أم من خلال الجيرة؟! وهل أباح لكِ الشرع مثل هذا التعارف، فلا سبيل إلى معرفة فتى الأحلام إلا أن يتقدم إلى خِطبتك، فالمرأة «جوهرة» مكنونة، و «درة» غالية لا يطلع عليها إلا من يعرف قدرها وعزها وشرفها، والمقياس كما تقدم هو مدى تمسك هذا الخاطب بدينه وبما أمره به الشرع الحنيف.

- فكم من فتى غرَّ الفتيات ملبسه وحسن حديثه ومعسول كلامه، فى الهاتف أو مدرج الجامعة أو لكونه جار لها، ثم هو عند الزواج كسراب فى صحراء لا وجود له.

- هل هناك ما يسمى بالزوجة النكدية؟

- **الجواب:** نعم، والزوجة النكدية هى نكدية بنكد زوجها عليها! وإلا فما من زوجة ترضى بتعاسة بيت الزوجية، وترفض أن ترفرف أجنحة السعادة والحب على عشها.

---

(١) تنبيه هام: دعوة إلى كل فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتجنب ما وسعها الهاتف، فما أكثر الأحلام التى تكسرت على سماعة التليفون، وما أكثر الأعراض التى انتهكت بعد لقاء من حديث التليفون، وما أكثر الحياء الذى ذهب مع كلمات التليفون، فالحذر الحذر يا أختاه من كيوبيد التليفون.

- والزوج النكدى؟

- الجواب: كذلك لا يوجد زوج يأبى أن تكون حياته الزوجية سعيدة هادئة، إنما يتحول إلى الزوج النكدى «بنكد» زوجته عليه!.

- عند تعريفك ألفاظ النكاح والتزويج تعرضت - فى الهامش - إلى بيان الفرق بين لفظتى النكاح والزواج، وربطاً بهذا البيان اللطيف فأنا عندما أقرأ فى كتاب الله تعالى فأجده تارة يصف الزوجة بأنها «زوجة» وتارة بأنها «امرأة» فهل هناك فرق بينهما.

- الفرق بين الزوجة والمرأة:

لا تجد فرقاً يُذكر بين لفظ «الزوج» و «المرأة» فى كتب الفقه، بينما تجد القرآن العظيم قد فرَّق بينهما، فاستعمل لفظ «الزوج» فى حق أهل الإيمان ولفظ «المرأة» فى حق أهل الشرك والكفران.

وأما الأزواج فجمع زوج وقد يقال زوجة والأول أفصح وبها جاء القرآن[1]، قال تعالى: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)، وقال تعالى فى حق زكريا عليه السلام: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

ومن الثانى قول ابن عباس - رضى الله عنهما - فى عائشة - رضى الله عنها -: «إنها زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة»[2].

وقال الفرزدق:

وإن الذى يبغى ليفسد زوجتى كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقد يجمع على زوجات وهذا إنما هو جمع زوجة وإلا فجمع زوج أزواج، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ (يس: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (الزخرف: ٧٠).

وقد وقع فى القرآن الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفرداً وجمعا كما تقدم.

وقال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)،

---

(١) لم يأت فى القرآن لفظ «زوجة» إنما هو من اصطلاح الفقهاء.

(٢) أخرجه البخارى (٦/ ٢٦٠).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ ﴾ (الأحزاب: ٥٩).

- والإخبار عن أهل الشرك بلفظ المرأة:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (المسد: ١ - ٤)، وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ (التحريم: ١٠)، فلما كانتا مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة وقال في فرعون: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ (التحريم: ١١) لما كان هو المشرك وهي مؤمنة لم يسمها زوجاً له.

وقال في حق آدم: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)، وقال للنبي: ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، وقال في حق المؤمنين: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ (البقرة: ٢٥).

فقالت طائفة منهم السهيلي وغيره إنما لم يقل في حق هؤلاء الأزواج لأنهن لسن بأزواج لرجالهم في الآخرة ولأن التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين فجرد الكافرة منه كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط.

ثم أورد السهيلي على نفسه قول زكريا ﷺ: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم: ٥)، وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (الذاريات: ٢٩).

وأجاب بأن ذكر المرأة أليق في هذه المواضع لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة فذكر المرأة أولى به لأن الصفة هي الأنوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجاً.

قلت: ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الأزواج أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان أو المتساويان ومنه قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ (الصافات: ٢٢).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أزواجهم أشباههم ونظراؤهم، وقاله الإمام أحمد أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير: ٧)، أي قرن بين كل شكل

وشكله فى النعيم والعذاب، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى هذه الآية: الصالح مع الصالح فى الجنة والفاجر مع الفاجر فى النار، وقاله الحسن وقتادة والأكثرون.

وقيل زوجت أنفس المؤمنين بالحور العين وأنفس الكافرين بالشياطين وهو راجع إلى القول الأول.

قال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (الأنعام: ١٤٣)، ثم فسرها: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام: ١٤٣)، فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد، ومنه قولهم: زوجا خف وزوجا حمام، ونحوه.

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى قطع المشابهة والمشاكلة بين الكافر والمؤمن، قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (الحشر: ٢٠)، وقال تعالى فى حق مؤمنى أهل الكتاب وكافرهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران: ١١٣)، وقطع المقارنة سبحانه بينهما فى أحكام الدنيا فلا يتوارثان ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه فكما انقطعت الوصلة بينهما فى المعنى انقطعت فى الاسم فأضاف فيها المرأة بلفظ الأنوثة المجرد دون لفظة المشاكلة والمشابهة.

وتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن ومعانيه ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ المرأة دون الزوجة تحقيقاً لهذا المعنى والله أعلم.

وهذا أولى من قول من قال إنما سمى صاحبة أبى لهب امرأته ولم يقل لها زوجته لأن أنكحة الكفار لا يثبت لها حكم الصحة بخلاف أنكحة أهل الإسلام فإن هذا باطل بإطلاقه اسم المرأة على امرأة نوح وامرأة لوط مع صحة ذلك النكاح.

وتأمل هذا المعنى فى آية المواريث وتعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ (النساء: ١٢)، إيذاناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب فلا يقع بينهما التوارث.

وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين[1].

(١) جلاء الإفهام للإمام ابن القيم (٢٢٩).

نخلص مما سبق أن القرآن أوقع اسم «المرأة» إذا كانت مسلمة متزوجة بكافر، أو كافرة متزوجة بمسلم، أو يكون مشركين.

وزاد بعضهم على ما سبق أن القرآن أوقع اسم «المرأة» إذا شابت الحياة الزوجية ما يعكر صفوها، بأن تكون «المرأة» عاقراً، أو يحدث بين الزوجين خلاف وصل إلى الطلاق أم لا.

ومن الأول قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ (الطلاق: ١)، وهى جمع امرأة، وجمع زوج أزواج كما تقدم بيانه.

فمن الأول قول زكريا ﷺ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم: ٥)، رغم كونهما مسلمين، إلا أن الحياة الزوجية لا تسير فى مسارها الطبيعى لكونها عاقراً، فأوقع القرآن عليها لفظ «المرأة»، ومثله: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (آل عمران: ٤٠)، قول زكريا ﷺ فى موضع آخر، ثم تأمل الوصف القرآنى بعد أن رزقه الله تعالى الولد قال تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، ولم يقل: امرأته، فتأمل.

ومن الثانى: وهو أن تشوب الحياة الزوجية ما يعكر عليها صفوها من خلاف وشقاق كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ (النساء: ١٢٨)، فهذه خمسة وجوه فى إيقاع اسم «المرأة» فى كتاب الله تعالى.

ـ فإن قيل: فماذا تفعل فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ (التحريم: ١)؟ فقد أطلق تعالى لفظ «الزوج» على «المرأة» مع وجود الخلاف والشقاق؟ وقوله ﷺ لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ (الأحزاب: ٣٧)، مع وجود الخلاف؛ وقول عزيز مصر كما أخبر تعالى عنه: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ (يوسف: ٢١)؟

الجواب:

ـ الأول: أن الخلاف القائم ليس خلافاً دائماً، إنما كان خلافاً وقتياً لم يستمر كثيراً كما جاء فى كتب السير والتاريخ.

- **أما الثانى:** فهو من باب التفاؤل بألا تستمر الخلافات وأن تسير الحياة الزوجية فى مجراها الطبيعى.

- **والثالث:** إن امرأة العزيز كانت عاقراً كما أخبر عنها القران قولها: ﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ (يوسف: ٢١).

وبعد ما تقدم لك أن تتأمل هذه الآيات البينات:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ (يوسف: ٥٢)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ (القصص: ٩)، وقوله تعالى: ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ (هود: ٨١)، وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الحجر: ٦٠)، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ (النمل: ٢٣)، ونحو هذا فى كتاب الله تعالى.

● **قلت:** وقد يأتى اسم «المرأة» لبيان الجنس كما فى قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ (القصص: ٢٣)، وقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، هذا والله أعلم بمراده.

- **فهل من فرق بين لفظتى البعل والزوج؟**

- **الجواب:** كما استخدم القرآن الكريم منهجاً خاصاً فى استعمال لفظتى: البعل والزوج، ويبدو للوهلة الأولى أن لا فرق بينهما، ولكن القرآن المعجز قد فرق بينهما كما سترى بفضل الله تعالى وحده.

فالقرآن الكريم استخدم لفظ «البعل» بدلاً من «الزوج» إذا شابت الحياة الزوجية ما يعكر عليها صفوها من خلاف قد يصل بالحياة الزوجية إلى حد الانفصال، أو أن تكون «الزوج» عاقراً كما تقدم فسماها «امرأة».

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ (النساء: ١٢٨)، فلما وقع الخلاف بين الزوجين أوقع تعالى اسم «المرأة» على الزوج - كما تقدم - وأوقع اسم «البعل» على الرجل.

وكقوله تعالى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

- يرد على هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٢)، فأوقع تعالى اسم «الزوج» وليس «البعل» مع وجود الخلاف.

- والجواب: قالوا: إن هذا في مقام الطلاق الرجعي، والله أعلم بمراده.

❀ ❀ ❀

المقدمة فى العلاقة الخاصة
بين الرجل والمرأة

كثر النقاش والجدال حول موضوع ما يسمى بالثقافة الجنسية، وانقسم الناس فى التعامل مع هذه الثقافة إلى مؤيد ومعارض، وخطورة الكلام فى هذا الموضوع أنه يكون مادة للإشارة وتحريك كوامن فى النفوس، ونحن فى غنى عن ذلك وخصوصاً الشباب.

وإن كان الكلام حول هذه الأمور فى دائرتنا الإسلامية محاصر غالباً، وصاحبِهُ متهم، والخلط شائع بين من يقصد من تناول هذه الأمور إشاعة الفاحشة فيظهر هذا فى أسلوبه ولحن قوله، ومن يقصد سبر غور الظواهر ودراسة المشكلات وتقويم الحلول النافعة للناس.

لقد توارثنا تصوراً خاطئاً مؤداه أن خلق الحياء يمنع المسلم من أن يخوض فى أى حديث يتصل بأمور الجنس، وأيضاً على اجتناب التعرض لأى أمر من هذا القبيل، سواء بالنسبة متى إذا اشتدت حاجتنا إلى سؤال، أم بالجواب إن طُلب منا الجواب، أو حتى بالمشاركة فى مناقشة هادفة وجادة.

غير أن التربية الخاطئة جعلت من الجنس ـ حتى ولو كان فى الحلال ـ أمراً ربما يكون مستقذراً، فى حين أن الجنس فى ديننا وثقافتنا وحضارتنا شىء آخر، فلا هو بالدنس، ولا الخطيئة التى تتطلب التوارى والخجل، إذا كان فى مؤسسة الزواج الشرعية، بل هو نشاط مرغوب فيه ومحبب إلى النفس التى خلقها الله وزيّن لها حب الشهوات، وجعل سرور الإنسان فيها عظيماً، ولذلك يوجهه إلى الصورة التى يكتمل فيه ذلك الإمتاع فى صورته الصحية والفطرية والاجتماعية الصحيحة.

وهذه المعرفة وتلك الثقافة لها أثر مهم فى السعادة الزوجية ونمو الحب، واستقرار العلاقات، ومن ثم نشوء أسر متماسكة، يظلها الحب والود والسكن، وتشتد الحاجة اليوم أكثر من أى وقت مضى إلى إعفاف حقيقى وكامل للزوج والزوجة، فى

زمن زادت فيه الفتن وكثر فيه الفساد.

وأهمية هذه المعرفة اليوم تزداد بصورة مطردة، حيث ينهل الكثير من المسلمين - وللأسف - معلوماتهم فى هذا المجال من الصور والقنوات التى تبث العهر والضياع، من خلال إعلام موجه لإفساد البشرية، وتحويل الصورة التى رسمها القرآن بين الرجل والمرأة - والتى هى ارتقاء بتلك العلاقة - إلى مستوى يليق بالإنسان، ويجعلها واحة للسكن والمودة والرحمة، ومعان جميلة، ودافئة وسامية، فى حين يهبط بها هؤلاء إلى مستوى من البهيمية والحيوانية والشذوذ، إلى دركات لا يعلمها إلا الله.

فكان لابد أن يعرف الناس ما لهم وما عليهم فى هذا الموضوع وفق الضوابط الشرعية بعيداً عن الإسفاف، والتزام منهج الحياء والتعريض الذى يغنى عن التصريح الذى يخدش الحياء.

والحقيقة أن العلاقة الجنسية الناجمة داخل مؤسسة الزواج الشرعية مصدر للسعادة إذا مورست على الوجه الذى يجلب السعادة، ونظراً لاختلاف الرجل والمرأة فى التركيب النفسى والعضوى، اختلفت حاجات كل منهما فى إشباع تلك الرغبة والوصول إلى لحظة سعادة حقيقية.

والكثير من الرجال لا يعلم كيف تحب المرأة وكيف تصل إلى درجة مقبولة من الارتواء التى يحصل بها تمام العفاف والرضا، وكذلك النساء قد لا تعلم ماذا يريد الرجل، وكيف يوفق كل منهما رغبته مع الآخر عند التعارض.

والحقيقة أن هذه الأمور تحتاج إلى معرفة وفن، معرفة من أهل الدين فيما يحل ويحرم، وحدود هذه المتعة، وكذلك علماء النفس الذين تكلموا وأظهروا ما يحبه الرجال وما تحبه النساء.

❀ ❀ ❀

ومن أبـــواب الجماع

● **فماذا عن أحكام الجماع؟** وهلا شرحت لنا قول الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ **(البقرة: ٢٢٣)**؟ على أن يكون الشرح وافياً يوافق العصر الحديث ومستجداته، فإنّا دائماً إذا قرأنا شرح هذه الآية أو شرح حديث عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - لا نفهمه جيداً لاستعجام بعض ألفاظه علينا، مع افتقاد الشرح الذى يوافق هذا العصر ومستجداته.

- **الجواب:** أما عن أحكام الجماع فهى كثيرة جداً، نحاول أن نأتى على بعضها، وذلك لأهميتها، وجهل الكثير بها مما يؤدى إلى تعثر الحياة الزوجية، بل ربما يؤدى بها إلى مفارق الطريق، وكما يُقال: «المشاكل الزوجية تبدأ من الفراش» أى أن أكثر المشاكل أو أن منشأ جُلّ المشاكل الزوجية هو الفراش، فمتى كان الفراش سعيداً كانت الحياة الزوجية سعيدة، وكما يقال: «فتش عن المرأة» أقول: «فتش عن الفراش» عند حدوث المشاكل الزوجية، فى عالم أصبح فيه الكل مشغول بعضوه التناسلى، والبحث عن سبل إشباع الغريزة الجنسية، فى زمن التلفاز والفيديو والدش والإنترنت، فى زمن انتشار العرى فى كل مكان (فى الطريق، فى المواصلات، فى العمل، فى وسائل الإعلام المرئية منها والمقروءة) فى زمن سيطرة الأفلام على عقول الناس وتحول الناس من اتخاذ القدوة الصالحة من سيرة النبى ﷺ وصحابته الكرام وتابعيهم وتابعى التابعين، إلى اتخاذ القدوة من أصحاب العهر والفسق والمطربين والمطربات والممثلين والممثلات.

فى هذا الزمن (زمن الغربة) والتغريب والتجهيل التعليمى، وقصر التعليم الدينى على مدارس ومعاهد قليلة بعينها، حتى أصبح التعليم العام هو الهدف والمراد، وتغييب أمور الفقه والطهارة والحيض والغسل ونحوها، والتى تتطرق بدورها إلى الحديث عن مس العورة مثلاً للرجل والمرأة، وأحكام هذا، والحيض والزواج وآدابه وأحكامه فى مراحل التعليم الهام، حتى أصبح هذا الأمر غير مطروق بالمرة لدى أكثر الشباب والفتيات - وهى سياسة غربية بذرت بذورها وها هى تجنى ثمرتها اليوم - واستتبع هذا

الجهل بها، ووضعها فى قائمة المحظورات والممنوعات، والحياء من الحديث عنها وفيها «والممنوع مرغوب» حتى ذهب الكثير إلى تعلم تلك الأمور بطريقة خطأ، عن طريق المجلات الجنسية، ثم شرائط الفيديو، ثم الدش! وأخيراً الإنترنت، كل هذا بحثاً عن ذلك العالم الخفى الذى يجهله الكثير من الشباب والفتيات مع حصول الكثير على أعلى الشهادات والدرجات العلمية!، بينما كان هذا الأمر مدروساً مطروقاً لدى السلف، حتى أصبحت المعلومات - اليوم - لدى الكثير مغلوطة خيالية! بينما لم نر هذا فيمن سبق، بل كان عندهم العلم الشرعى بمثل هذه الأمور، ولذا لم نجد فى سيرتهم «خطف الفتيات واغتصابهن، من أجل نشوة لحظات، تودى بصاحبها - والعياذ بالله تعالى - إلى الإعدام! فالممنوع دائماً مرغوب، من أجل هذا وغيره نرد العود إلى كتب من سبق فيما يتصل بالمعاشرة الزوجية، وفنون الفراش، والمداعبة والملاعبة و«الأشكال» التى قد يراها البعض فى أفلام الجنس المبثوثة عبر شبكة الإنترنت أو الفيديو أو الدش، متعجبين من ذلك الكم من الأشكال وفنون الجنس، والتى أخذها الغرب من مخطوطات العرب وكتبهم سرقة وانتحالاً، وما أكثر ما يفعله الغرب من فنون الجنس والاستمتاع وهو مدون فى كتب من سبق، فهى دعوة إلى كل من يوسوس له شيطانه بمشاهدة تلك الأفلام الخبيثة (للتعلم) أن يعلم أن فى كتب من سبق غنىً عن مشاهدة تلك الأفلام أو التعلم منها، وسيجد فيما يأتى من كلماتهم ما يشفى غليله، ويحقق مأربه.

- **فنقول:** أولاً لابد وأن نعلم أن قوله تعالى: **﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾** (البقرة: ٢٢٣)، على إطلاقه، فالزوجة كل الزوجة مباحة للزوج - والرجل كل الرجل مباح للزوجة - له أن يأتيها كيفما شاء وقتما شاء، ففى قوله تعالى: **﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾** للكيفية وليس للزمن، وله أن يستمتع بها - وتستمع به - كيفما شاء دون حظر أو قيد، له أن يستمتع بها - وتسمتع به - كيفماء شاءا، وتأمل قول الشافعى رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن حكم النكاح فى الدبر[1]: «فأما التلذذ بغير إيلاج الفرج بين الإليتين وجميع الجسد فلا بأس به إن شاء الله تعالى».

فهذه الآية الكريمة تفتح الباب أمام الزوجين وتضع أمامها كل سبل الاستمتاع، وهى تغلق الباب أمام الكثير من الأسئلة التى تلح وتعن لكثير من الأزواج، هل له أن

(١) سيأتى إن شاء الله تعالى.

يفعل كذا أو يستمتع بالطريقة كذا، إلى غير ذلك الكثير والكثير مما يطرحه الأزواج.

وكذا فى قوله ﷺ وقد سئل عن أحكام الحيض: «اصنعوا كل شىء غير النكاح» وفى رواية: «إلا الجماع»[١] يعطى الزوجان حق الاستمتاع كل الاستمتاع، ولم يأت مخصص ليخصص أو يحرم أو يحظر نوع استمتاع إلا فى قوله ﷺ: **«اتق الدبر والحيضة»**[٢].

فهذا هو التخصيص الوحيد الذى خصص أوقيد كيفية الاستمتاع أو زمانه، أما الكيفية ففى قوله ﷺ: **«اتق الدبر»** وأما الزمان ففى قوله ﷺ: **«واتق الحيضة»** فإذا اتق الزوج مكان الدبر وزمن الحيضة له أن يصنع ما يشاء كيفما شاء وقتما شاء.

وإنما قدمت هذه المقدمة حتى لا يخرج علينا أدعياء العلم[٣] ومدعي الفضيلة[٤]!

---

(١) سيأتى. (٢) سيأتى.

(٣) بالتحريم.

(٤) بعدم جواز الكلام فى مثل هذا الشأن أو بهذه الكيفية، وقد تحدث فيها رسول الله ﷺ، ومن بعده ابن عباس - رضى الله عنهما - ومن بعدهما الأئمة، كما سيمر بك إن شاء الله تعالى، فمن أراد تعقيباً فليعقب وليستدرك على رسول الله ﷺ ثم على ابن عباس ثم على الإمام الشافعى ومالك وأبى حنيفة وابن القيم والقرطبى وغيرهم، وكفى مدعى الفضيلة «نظرة سريعة» على أفلام السينما والمسرحيات وما فيها من ألفاظ يندى لها الجبين، وتلميحات يتلمحها الصغير قبل الكبير، ولا معترض، وكفى نظرة سريعة على «أفيشات الأفلام» وكفى «نظرة سريعة» على إعلانات التلفاز وفتياته الحسناوات العاريات، وكفى إعلانات «الشامبو والصابون» وكأن الإعلان لن يأتى بثمره إلا إذا تكشف كتف وذراع وصدر الفتاة، وكفى نظرة على أغانى «الفيديو كليب» لتشاهد السوءات والأرداف والحركات الخليعة التى قد لا يجدها أكثر الرجال فى زواجتهم، وكفاهم «نظرة عابرة» أيضاً على إعلانات الصحف المقروءة والتى تزين صفحاتها العاريات «وليس شبه العاريات» ولا معترض، واضرب لك مثالاً واحداً، ففى جريدة «الجمهورية» وهى إحدى الجرائد القومية (٢٠٠١/٤/٥) إعلان مجلة شاشتى، وانظر صورة الغلاف!، وكيف أن تعرض ملابس للمرأة الداخلية فى «الفترينات»! ولا أدرى كيف ترضى المرأة بهذا.

هذا بخلاف من يخرج على الناس وهو يغنى: «أشهد أن لا امرأة إلا أنت»!!!.

ولا حرج! فقد أصبح الدين مرتعاً للجميع دون سؤال أو حساب - إلا من رحم الله - كما نشرت جريدة «المساء» الأسبوعية فى عددها الصادر بتاريخ (٢٠٠١/١٢/١٠) أن مطرباً سعودياً يغنى آيات قرآنية!! وما الحرج فى هذا! وفى نفس الأسبوع تخرج مجلة «روزاليوسف» بعنوان يقول: «لا طاعة لوزير فى معصية القانون»!

بتحريم ما أحل الله تعالى للزوجين من الاستمتاع، وعلى كل من «يفتى» بتحريم ما فليأتنا بدليله إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، وها أنا أسوق إليك بعض ما قاله أهل العلم فى هذا الشأن العظيم، كالإمام الشافعى والإمام مالك وأبى حنيفة وابن حزم والقرطبى وابن القيم وغيرهم كما سيمر بك إن شاء الله تعالى بعض كلماتهم، وأقدمه بحديث النبى ﷺ بعد قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)

فللرجل أن يأتى امرأته كيف شاء مقبلة ومدبرة، مجبيه[1] وعلى حرف[2]، قائمة وجالسة وقاعدة، على أن يحذر الدبر والحيضة.

ففى الصحيحين عن جابر ؓ قال: «كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وفى لفظ مسلم: «إن شاء مجبيه وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك فى صمام واحد»[3].

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «كان هذا الحىُّ من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم فى العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أسترُ ما تكون المرأة فكان هذا الحىُّ من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحىُّ من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجلٌ منهم امرأةً من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرتهُ عليه وقالت إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا

= هذا هو حال إحدى المجلات التى لا شغل لها سوى محاربة الإسلام وإلصاق التهم بأهل اللحية، وهذه (عقيدتى) بتاريخ (٢٠/٣/٢٠٠١) تنشر مقالاً للدكتور عبد العظيم رمضان يقول فيه: الخلفاء الراشدون: علمانيون! مانعى الزكاة على عهد أبى بكر ؓ ليسوا مرتدين! لم يصح من الحديث الشريف والسنة النبوية سوى أحد عشر حديثاً! (انظر: رسالة أمثالنا الشعبية، لكاتب السطور، ط: مكتبة العلم؟).

(١) مجيبة: أى على وجهها، وقال عياض: المتجبية تكون على وجهين: أحدهما: أن تضع يديها على ركبتيها وهى قائمة، منحنية على هيئة الركوع، والآخر: تنكب على وجهها باركة.

(٢) على حرف: أى على جنب.

(٣) أخرجه البخارى (١٥٤/٨) ومسلم (١٥٦/٤).

فاجتنبنى حتى شرى[1] أمرهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى ذلك موضع الولد[2].

ـ تقدم قولك أن هناك كتب ومخطوطات قد دونت فى السابق تتحدث عن فنون الجماع وأشكاله، فلا مثّلت لنا بأمثلة؟

ـ **الجواب:** قبل ضرب الأمثلة يلزم أن ننبه أولاً أن الكتب التى تتحدث عن الجنس أو فنون الجماع كانت منتشرة مشتهرة لدى من سبق، وتحدث العلماء والفقهاء فى مسائل الجنس وفنونه، والكل كان يمارس الجنس زواجاً أو بملك اليمين (الإماء)، وكثرت الأسئلة حوله، فدون بعضهم كتباً تصول وتجول فى هذا الفن، وتمحو الجهل وتنشر الثقافة الجنسية، فكانت تتحدث عن أحوال الرجال والنساء حال الممارسة الجنسية، أو تصف لهم الأدوية المتعلقة بالقوة الجنسية، أو تصف أخلاق الرجال المحببة لدى النساء، أو تتحدث عن أنواع وطرق الممارسة، وقد تصدى بعض العلماء بعدهم لمثل هذه الكتب، إما للغتها الفاضحة، أو لألفاظها التى قد تخدش الحياء، إلا أن الجميع اتفقوا على نبذ الجهل الجنسى لدى الأزواج.

ـ وكان ممن كتب فى هذا الفن والباب: أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا[3]، فصنف كتباً أسماه (رجوع الشيخ إلى صباه فى القوة على الباه) بإشارة من السلطان سليم خان، وقد دافع عن كتابه بقوله: «ولم أقصد بتأليفه كثرة الفساد، ولا طلب الإثم، ولا إعانة المتمتع الذى يرتكب المعاصى ويستحل ما حرم الله تعالى، بل قصدت به إعانة من قصرت شهوته على بلوغ أمنيته فى الحلال، الذى هو سبب لعمارة الدنيا بكثرة النسل»[4].

ـ ومنهم أبو عبد الله محمد بن النفزاوى قاضى تونس[5]، وله كتاب (الروض العاطر فى نزهة الخاطر) والذى أشار الوزير محمد بن عوانة الزواوى عليه بتصنيفه، وله رسالة أيضاً بعنوان «تنوير الوقاع بأسرار الجماع».

(١) اشتهر وانتشر.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١/٣٧٧) وغيره.

(٣) المتوفى سنة (٩٤٠).

(٤) وأقول مثل مثل ما قال.

(٥) المتوفى سنة (٧٢٥).

- ونلاحظ أن الدافع وراء تأليف الكتابين «السلطان والوزير» مما يلقى بظلاله إلى مدى اهتمام العامةوالخاصة بتلك المسائل.

- **منهم أيضاً**: نعمة الله الجزائرى[1]، وله رسالة (الأيك).

- **ومنهم أيضاً**: أبو الفرج الأزرق، وله رسالة بعنوان «تسهيل المنافع فى الطب والحكمة».

● أشكال الجماع:

- وللجماع أشكال كثيرة يجهلها كثير من الأزواج، وقد تشكو بعض النساء من مرور السنوات ولا يتغير شكل الجماع عند الرجل مما يصيب المرأة بنوع من الملل والرتابة فى العملية الجنسية، وتُفتقد المتعة عندها، وقد تقدم الحديث عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - فى بيان بعض أشكال الجماع، ولا حرج فى بيان وشرح هذه الأشكال بنوع تفصيل وبيان، فإنه إذا لم يجد الشاب والزوج المسلم شرح هذا الحديث وتفصيله فى كتاب إسلامى فأين يجده؟ وأين يسأل الشاب المسلم المقبل على الزواج الذى يجهل مثل هذه الأمور، الذى يصون نفسه عن «الدش» والمجلات والأفلام الجنسية، أنىّ لهذا الشاب أو الزوج أن يعرف مثل هذه الأمور؟

- وهذه طائفة من أقوالهم فى هذا الشأن، والتى تشرح الأشكال المتقدمة فى حديث عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما -، فمما قالوا[2]:

- **قالوا**: فأول ذلك وهو الباب العام الذى تستعمله أكثر الناس ومنهم من لا يعرف غيره، وهو الإستلقاء، وهو أن تستلقى المرأة على ظهرها وترفع رجليها إلى صدرها ويقعد الزوج بين فخذيها مستوفزاً قاعداً على أطراف أصابعه ولا يهمز على بطنها بل يضمها ضماً شديداً ويقبلها ويمص لسانها[3] وبعض شفتيها فيها ويسله - يخرجه - ويدفعه، ولا يزال فى رهز[4] ودفع حتى يفرغا.

- **الثانى**: ومن الإستلقاء أيضاً: أن يضع الزوج فخذيه الواحد بين فخذيها ويجامعها.

---

(١) المتوفى سنة (١١١٢).

(٢) وقد تصرفت فى بعض النصوص بحذف الكلمات الإباحية.

(٣) روى أحمد فى مسنده أن النبى ﷺ: «كان يُقبّل أم المؤمنين عائشة ويمص لسانها».

(٤) الرهز: أى الاهتزاز.

ـ الثالث: أن تستلقى المرأة ويضع رجليها على كتفيه ثم يدخل الزوج يده تحت فخذيها ويجامعها ويشبك أصابعه.

ـ الرابع: أن يجامعها ورجلاها مبسوطتان للأمام ـ أو لأعلى ممسكاً بركبتيها مضمومتين ـ وتضع إحدى قدميها على الأخرى.

ـ الخامس: أن تستلقى المرأة ثم تضع باطن قدميها على صدره وتجمع يديها فى قفاه فتجذبه إليها حتى تنثنى هى فتصير ركبتها ملتصقة بصدره وذكره فى فرجها.

ـ السادس: أن تستلقى المرأة وتبسط إحدى رجليها فيجلس الزوج على فخذها المبسوط وترفع رجلها الأخرى منصوبة إلى أعلى ما استطاعت.

ـ السابع: أن تستلقى المرأة ثم تضع قدمها على خاصره الزوج ويأخذ هو عنقها إليه.

ـ الثامن: أن يستلقى الزوج على ظهره ويثنى ركبتيه قليلاً ثم تأتى هى فتجلس على ذكره وظهرها إليه وقد فرّجت بين فخذيها ووضعتهما خارج فخذيه وتستند بيديها من وراء ويد الزوج على خصرها ليساعدها، فتقوم عنه وتنزل.

ـ التاسع: وهو كالسابق إلا أن المرأة تفرج بين فخذيها وتضع باطن قدميها على أعلي ركبتى الزوج.

ـ العاشر: وهو أن تضع المرأة تحت عجيزتها[1] مخدتيين حتى يرتفع حرها[2] ثم يجلس الزوج على صدرها وظهره مقابل وجهها، ثم تأخذ المرأة إبهامى رجليها بيديها وتجذبهما إلى نفسها جذباً شديداً نحو رأسها حتى يصير الزوج جالساً على رجليها، فإنها إذا رفعت رجليها رفعاً عظيماً برز فرجها كلها، فيوجل الرجل إيره[3] فيها وهو يشاهد عجزها، وهذا مما يزيد فى قوة شهوته.

ـ الحادى عشر: وهو أن تنام المرأة بصدرها على شىء مرتفع يصل إلى وسطها (كالمكتب مثلاً)، ثم ترفع إحدى رجليها عليها وتقف على الأخرى، ويجامعها الزوج وهو من خلفها، فى محل الجماع.

ـ الثانى عشر: وهو يستلقى الزوج على ظهره ويمد ساقيه مداً مستوياً، ثم تأتى المرأة

---

(١) أردافها.

(٢) فرجها.

(٣) أى: ذكره.

فتجلس على فخذيه وبطنه متربعة وتولجه فيها مع الحركة للأمام والخلف، يميناً ويساراً.

- **الثالث عشر:** وهو أن يستلقى الزوج كالسابق، ثم تأتى المرأة فتجلس على الذكر، كجلوسها لقضاء الحاجة، ثم تفعل كالسابق.

● فى القعود:

الأول: وهو أن تقعد المرأة والزوج متقابلين متواجهين ثم يحل الرجل سراويل المرأة بيده ويخليه فى خلخالها ثم يلفه ويرميه فوق رأسها على رقبتها، فتبقى مثل الكرة ثم تستلقى على ظهرها، فيبقى فرجها ودبرها متصدرين، ثم يجامعها.

الثانى: وهو أن يقعد الزوج ويمد رجليه مداً مستوياً، وتأتى المرأة مواجهة له فتجلس على أفخاذه ويُدخل إيره فيها.

الثالث: أن يتربع الزوج ويقيم إيراه وتقعد المرأة عليه ووجهها إليه وفمها إلى فمه ويرشف ريقها أو يقبل عينيها وأذنيها ويضمها إليه.

الرابع: أن يقعد الزوج ويمد رجله الواحدة مستوية والأخرى قائمة وتأتى المرأة فتقعد عليه وهى مستديره بوجهها وتمد رجليها وقائمة عنده قاعدة عليه.

● فى الاضطجاع:

الأول: أن تضطجع المرأة على جنبها الأيسر وتمد رجليها مداً مستوياً وتدير وجهها إلى ورائها ويأتيها الزوج من خلفها ويلف ساقه على فخذها ويمسك صدرها بيده، وتحت بطنها بيده الأخرى.

الثانى: أن تنام المرأة على جنبها الأيسر وتمد رجليها مداً مستوياً وتدير وجهها إلى ورائها، ثم تجعل فخذيه بين فخذيها ويحكه بين شفريها ثم يولجه فيها.

الثالث: أن تضطجع المرأة وتدير وجهها ويضطجع الزوج خلفها ورجله الواحدة مثنية والأخرى بين فخذيها.

الرابع: أن تضطجع المرأة على الجنب الأيمن وتمد رجليها مداً جيداً والزوج كذلك على إحدى فخذيه والأخرى بين فخذيها ويبل إيره ويحكه حكاً جيداً إلى أن يحس بالإنزال فيطبقه قوياً.

الخامس: أن تنام المرأة وتمد رجليها والزوج كذلك على جنبه الأيمن ويخالف بين رجليها ثم يوجله فيها فإذا قارب الإنزال يخرجه قليلاً ثم يولجه فيها.

السادس: أن يتكئ الزوج على جنبه الأيسر وتتكئ المرأة على جنبها الأيمن وتضع عجزها فى حجر الزوج وتجعل رجلها الشمال من فوق ورجلها اليمنى من تحت إبطها الأيسر ويولجه إيلاجاً عنيفاً.

● فى الانبطاح:

الأول: ترقد المرأة على وجهها وتمد رجليها مستوياً ويجلس الزوج على فخذيها ثم يولجه فيها.

الثانى: ترقد المرأة على وجهها ثم تثنى ركبتها الواحدة إلى صدرها وترفع عجزها جيداً ويأتيها من خلفها.

الثالث: تلصق خدها بالفراش ويأتى الزوج فيمسك خصرها ويولجه فيها.

الرابع: تنبطح على وجهها وينبطح الزوج عليها ويجعل ساقه بين ساقيها ويده فى خصرها والأخرى فى بطنها وفمه فى فمها.

الخامس: تنبطح على وجهها وترفع عجزها - وتلصق صدرها بالأرض تارة، وتارة ترفعه - ويأتى الزوج فيجلس من خلفها ويولجه فيها، ويمسك رؤوس أكتافها تارة، وذوائب شعرها بقوة تارة وبرفق أخرى، وتارة يقبل فمها، وتارة يضرب على مؤخرتها فيزيد من إثارتها، وتارة أعلى مؤخرتها ليعجل بإنزالها.

● فى الانحناء:

الأول: تنحنى المرأة على أربع كأنها راكعة ثم يأتى الزوج فيمسك بيده اليمنى خاصرتها اليمنى واليسرى باليسرى ويجذبها بخواصرها قليلاً قليلاً.

الثانى: أن تنحنى المرأة على ركبتيها ويلزمها الزوج من خلف وتلتفت إليه وتعطيه لسانها يمصه[1] ثم تقبض إيره وتولجه.

---

(١) ومص لسان الرجل زوجته - والعكس - مما يزيد فى شهوة الرجل والمرأة ويؤدى إلى انتعاظ الذكر، ويزيد فى شهوتها.

الثالث: تنحنى المرأة على الفراش بصدرها وركبتيها على الأرض ثم يأتى الزوج من خلفها ويجامعها.

الرابع: تنحنى المرأة وتلصق بطنها بفخذيها ويجامعها زوجها ويمسك ذوائبها.

الخامس: تنحنى المرأة وهى قائمة حتى تمسك المرأة بأصابع قدميها ويأتى الزوج من خلفها ويولجه فيها.

السادس: تنحنى المرأة على أربع وتفتح ساقيها ويدخل الزوج ساقه الواحدة بين فخذيها ويمد الأخرى وراءه.

السابع: تنحنى المرأة على أربع وتشبك على صدرها وتضم ركبة وتمد أخرى ويأتيها الزوج.

● فى القيام:

الأول: أن تقوم المرأة والزوج فيضم كل منهما صاحبه إلى صدره ضماً شديداً ثم تتعلق المرأة به وتمد يدها فتأخذ إيره وتريقه بريقها وتولجه فى فرجها إيلاجاً حسناً بلطافة وهو مع ذلك يمر فى أعكانها ونهودها وتقبله، وترفع إحدى رجليها وتمكنه من نفسها.

الثانى: أن تقوم المرأة وظهرها إلى الحائط فيأتيها الزوج فيرفع إحدى رجليها حتى تبقى أعلى منه ويبين فرجها ويدخله بين أفخاذها ويسند فخذها الواحد على الحائط.

الثالث: أن تقوم المرأة على قدميها وتستند إلى الحائط دائرة بوجهها إليه وتبرز عجيزتها حتى يبدو ما بين رجلها ويأتيها الزوج ويمسك بيده اليمنى صدرها ويده اليسرى على بطنها.

الرابع: أن تقف المرأة والزوج وجهاً لوجه ويقبلها ويمص لسانها، ثم يرفع الرجل إحدى رجليها إلى خصره ثم يولجه فيها، ثم يرفع رجلها الأخرى على خصره الثانى ويديه تمسك بخواصرها، أو تحت إليتها، ويديها على رقبته.

الخامس: أن تجعل وجهها إلى الحائط وتبرز عجيزتها وتستند على الحائط بيدها وتفتح ساقيها ويقف الرجل بين ساقيها ويأتيها.

السادس: أن تقف المرأة وظهرها إلى الحائط ويقف الرجل ووجهه إليها ثم يثنى ركبتيه ويلصقهما بالحائط والمرأة بينهما، ثم تُخرج المرأة رجليها خارج ركبتيه ثم تجلس عليهما فيجامعها وهى على تلك الحالة[1].

فهذه بعض أقوالهم فى أشكال الجماع، وقد تصرفت فيها بالتقديم والتأخير، بالزيادة أو النقصان، والحذف للألفاظ الفاضحة والتى قدتخدش الحياء، وسيأتى بعض ما ورد فى كتبهم فى ثنايا الكلمات الآتية، مع الإشارة وإسناد كل قول إلى قائله، هذا وليختر الزوج مما تقدم ما يناسبه، ولا يتقيد بهذه الأشكال فقط بل له أن (يبتكر) ويجدد من حياته الجنسية، وكلما جدد الرجل فى العملية الجنسية دفع الملل والرتابة عنها[2].

- فإن قيل: لِما كل هذه الإطالة وكان يكفيك التلميح دون التصريح كما فى بعض كتب الفقه ونحوها؟

- الجواب: تقدم أن البعض إذا قرأ شرح الآية أو الحديث استعجمت عليه بعض ألفاظه، ولا يفهم منها معنى وتفسير «مجبية» أو «مدبرة» أو «مقبلة» أو «من دبرها فى قُبلها».

- فإن قيل: إنما نخاف عليك أن يقال أن هذا الكلام لا يحق له أن يحتويه كتاب إسلامى، وأولى به كتب الجنس؟

- الجواب: أقول: إذن هى دعوة لكل شاب يلتزم بدين الله تعالى قد صان نفسه عن «الدش» وأفلام الجنس أن يشترى تلك الكتب الجنسية (المصورة أو المرسومة، التى عجت بها الأرصفة) ليتعلم منها فن المعاشرة الجنسية عند إقدامه على الزواج! فهل يقول هذا قائل؟، وهل كانت كتب الفقه كتب جنس وقد حوت مثل هذا الكلام وأكثر، وهل كان الإمام الشافعى أو القرطبى أو ابن القيم أو الإمام مالك والإمام الأعظم وغيرهم ليسودوا كتبهم بمثل هذا الكلام إلا لحاجة الناس إليه، وما اتهمهم أحد بأن كتبهم جنسية!، إلا أنها منثورة فجمعت بعضها فى مكان واحد لحاجة الكتاب إليه وصلته به.

(١) عاملات النساء لأحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠) بتصرف، والروض العاطر للقاضى النفزاوى.

(٢) ولا أقول أن على الزوج أن يقوم بكل تلك الأشكال أو يتقيد بها، ولا يعنى أن من يقوم بها كلها أو بعضها قوى أو ضعيف جنسياً.

- فإن قيل: إننا لم نر مثل هذا فى كتب من تكلم فى أحكام الزواج والزفاف من المعاصرين:

- **الجواب:** ولذلك عزف الشباب عن شراء مثل تلك الكتب التى عجت بها المكتبات وطفحت بها الأرصفة، وإذا ابتاع أحدهم كتاباً يتحدث عن أحكام الزواج لم يجد فيه ما يشفى غلته من بحث مستفيض فى هذا الأمر، وكم عانينا من مشكلات منشأها الفراش والجهل بهذا الفن فى الحياة الزوجية، وقد تقدم بيان من ألف فى هذا الشأن ممن سبق، وتقدمت بعض كلماتهم.

هذا وافتقاد البعض للثقافة الجنسية، واعتبار أن المسألة الجنسية من المسائل التى لا يجب الخوض فيها، واعتبارها من المناطق المستورة المحرمة عند الكثير، فلا يجب الاقتراب منها، واستحياء الزوجين الرجل والمرأة (خاصة) من الحديث فى هذه المسألة، والخجل من الإفصاح عن المشكلة الجنسية عندهما أو أحدهما، ومحاولة التكتم عليها، فيظهر التوتر فى العلاقة الجنسية بين الزوجين، وتظهر بعض المشاكل على السطح دون الخوض فى المسألة الجنسية بينهما، كل هذا وغيره أدى بدوره إلى سقوط الزوجين فى شباك الطلاق دونما أن يفصح أحدهما عن السبب الأصلى للمشكلة (فن الجنس) سواء كان للحرج أو لفقد الثقافة الجنسية.

● الله يعلم إنى استمعت إلى الكثير والكثير من شكاوى الرجال والنساء الزوجية، وأكثرها أو جلها منشأها الفراش والحياة الجنسية بين الزوجين، وهو ما حدا بى إلى الحديث بهذه الكيفية[1]، وأنا لا أرى حرجاً فى هذا، وقد تقدم حديث عبد الله بن

---

(١) كما أن من أهم الدواعى إلى الكتابة بهذه الكيفية والإتيان ببعض كلمات من سبق فى الشأن ما يعانيه الكثير من أهل العلم، أو من يتوسم الناس فيهم هذا، فيطرح الرجل السؤال على الشيخ أو الداعية - أو هاتفياً - فيتصبب وجه الشيخ عرقاً خجلاً وحياءً - ولم يرد فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما، أن أحداً من الصحابة أو بعضهم تصبب وجه عرقاً فضلاً عن النبى ﷺ وهو يشرح الآية، وإنما نشأ هذا من السور المضروب حول هذه المسائل «والأمية الدينية» حتى إذا تكلم فيها بعضهم اتهم فى دينه!، وكم عانينا من هذه الأمور وكم من حرج وقع فيه البعض، وكم تهمة الصقت ببعضهم، لأن شرح آية أو حديث أو أجاب السائل بنوع تفصيل - والسائل إنما يسأل لحياته وسعادته وحفاظاً على بيته وأسرته، كما لم نجد حرجاً وقع فيه بعض الأئمة ممن تحدثوا فى مثل هذه الأمور - كالإمام مالك فى جوابه عن النخر، وأبى الحسن بن القطان وابن عباس فى الضرب على فرج المرأة وغيرهما كما مرا بك، فلذلك وغيره أردت أن أغلق باب الحرج =

عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى بيان شرح الآية[1]، إلا انى زدت الأمر بياناً وتفصيلاً من كتب من تكلم فى هذا الشأن.

ـ وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة مستفرشاً لها بعد الملاعبة والقبلة وبهذا سميت المرأة فراشاً كما قال ﷺ: «**الولد للفراش**»[2] وهذا من تمام قوامية الرجل على المرأة كما قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ (النساء: ٣٤)، وكما قيل:

إذا رمتها كانت فراشاً يقلنى وعند فراغى خادم يتملق

وقد قال تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال فإن فراش الرجل لباس له وكذلك لحاف المرأة لباس لها فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر، وفيه وجه آخر وهو أنها تنعطف عليه أحياناً فتكون عليه كاللباس قال الشاعر:

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباساً[3]

أردأ أشكال الجماع:

● وأردأ أشكاله أن تعلوه المرأة ويجامعها على ظهره، وهو خلال الشكل الطبيعى الذى طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى، وفيه من المفاسد أن المنى يتعسر خروجه كله فربما بقى فى العضو منه فيتعفن ويفسد فيضر، وأيضاً فربما سال إلى الذكر رطوبات من الفرج، وأيضاً فإن الرحم لا يتمكن من الاشتمال على الماء واجتماعه فيه وانضمامه عليه لتخليق الولد، وأيضاً فإن المرأة مفعول بها طبعاً وشرعاً، وإذا كانت فاعلة خالفت مقتضى الطبع والشرع، وكان أهل الكتاب إنما يأتون النساء على جنوبهن على حرف ويقولون هو أيسر للمرأة، وكانت قريش والأنصار تشرح النساء على أقفائهن فعابت اليهود عليهم ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

= الذى يقع فيه بعضهم بهذه الكلمات التى تشفى علة الرجل والمرأة وتنأى بالجميع عن السؤال، فسيرى فى هذا الكتاب إجابة كل سؤال يرد عليه.

(١) ولا يكاد يمر على يومان أو أكثر إلا وأجد السؤال (من الحرفى أو أستاذ الجامعة أو المقدم على الزواج) حول تفسير الآية أو الحديث مكتوباً أو مسموعاً.

(٢) تقدم. (٣) زاد المعاد: (٢٤٩/٤).

وفى الصحيحين عن جابر قال: «كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وفى لفظ للإمام مسلم: «إن شاء مجبية وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك فى صمام واحد»[1].

والمجبيه المنكبة على وجهها، والصمام الواحد الفرج، وهو موضع الحرث والولد[2].

فماذا إذن عن مقدمات الجماع؟

قال تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣): قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى: (وقدموا لأنفسكم) أى: بالقبلة واللمسة والكلمة والمداعبة، وفى حديث أم زرع تقول إحداهن: «زوجى عياياء طبقاء» ومما قيل فى تفسير «طبقاء»: أن زوجها كان يأتيها كالبيت يقع مطبقاً على أهله دون تقديم بالقبلة أو اللمسة أو الكلمة.

ذكر الهندى من المحادثة والمزاح فقال: «الجماع بلا مؤانسة من الجفا، فإنه يجب على الرجل أن يتحلى بالفضيلة التى خصه الله بها وزينه بكمالها فى النكاح ليتميز عن البهائم وينفرد عنها ويباينها فى انهماكها عليه، وتهجمها فى فعله، فلو لم يكن فى المحادثة والمزاح إلا هذه الفضيلة لوجب استعمالها، فكيف وهما يزيلان الخجل ويبسطان بشرة الوجه ويبعثان الأنس، وفيهما ما هو أجلّ من ذلك وهو أن الإنسان إذا مد يده إلى من يريد الدنو منه وهو مخاطب له وذاك مستمع له كان أنقص لحيائه وأنفى للخجل عن صاحبه، لاشتغال فكرته بما يورده عليه من الخطاب، ولأنه غير مخلى مع فكرته فتتوفر على تأمل ما يدعى له، والتفقد لما يراد منه فيستحى لذلك ويخجل، وهذا أمر ليس بصغير الفائدة[3].

ـ القبلة بريد الجماع:

واعلم أن القبلة أول دواعى هذه الشهوة والنشاط وسبب الإنعاظ والانتشار، ولاسيما إذا خلط الرجل ما بين قبلتين بعضة خفيفة وقرصة ضعيفة واستعمل المص

(١) أخرجه البخارى (١٥٤/٨) ومسلم (١٥٦/٤).

(٢) زاد المعاد (٢٥٤/٤) بتصرف.

(٣) علامات النساء لأحمد بن سليمان.

والنخرة والمعانقة والضمة، فهنالك تتأجج الغلمتان وتتفق الشهوتان وتلتقى البطنان وتكون القبل مكان الاستئذان، واستدلوا بالطاعة على حسن الانقياد والمتابعة، وذلك أن السبب فى شغف الإنسان بالتقبيل إنما هو لسكون النفس إلى من تحبه وتهواه، فلذلك قالوا: القبلة بريد الجماع.

وقالوا أن ألذ القبل قبلة ينال فيها لسان الرجل فم المرأة، ولسان المرأة فم الرجل، وذلك إذا كانت «المرأة» نقية الفم طيبة النكهة، فإنها تدخل لسانها فى فم الرجل فيجد بذلك حرارة الريق وتسرى تلك الحرارة والتسخين إلى ذكر الرجل وإلى فرج المرأة فيزيد ذلك شبقهما وغلمتهما ويقوى شهوتهما، فيزداد لونهما صفاءً وحسناً.

وقيل أن ذلك الريق والحرارة يتحفان الجسم ويزيدان فيه كزيادة الزرع المزروع فى الأرض الزكية ويروى من الماء العذب بعد العطش.

وقيل: إن المنفعة فى التقام «الزوج» لسان «الزوجة» شد عصب الباه وكثرة وزيادة فى شبق «زوجه» وغلمتها وانتشارها.

وقال آخر: أن المنفعة فى التقام «الزوج» لسان «زوجه» وشده ومصه إياه وعضه عليه أن يصيب لسان «الزوج» نداوة وحرارة فتتحدر تلك النداوة والحرارة من لسانه إلى إيره، وتنتفع المرأة بهذا الصنع كانتفاع الرجل بالنساء وعشقه لهن، فإنه يدعوه إلى إفراط الشهوة وشدة الشبق وغلبة الحرص إلى أن لا يرضى بالتقبيل دون أن يدخل لسانها فى فمه ثم يمص ريقها، ولا يرضى حتى يشم جرها[1] ويدخل لسانه فيه[2].

قالوا: التدبير فى الجماع على وجهين: أحدهما: علوى والآخر سفلى.

فأما العلوى: فالمعانقة والتقبيل والعض والمص والغمز.

وأما السفلى: إدخال الأصابع فى الفرج وجس ما حوله، وكذلك فى السُّرة وتغدغه أعلى الفخذين.

(١) فرجها.

(٢) السابق، وقال القرطبى فى تفسيره (٢٣٢/١٢): وقد قال «أصبغ» من علمائنا: «يجوز له أن يلحسه بلسانه، وفى «كشاف القناع» (١٨٩/٥): «وليس لها أى الزوجة استدخال ذكره وهو نائم فى فرجها بلا إذنه لأنه تصرف فيه بغير إذنه، ولها أى الزوجة لمسه وتقبيله بشهوة ولو نائماً، وقال القاضى يجوز تقبيل فرج المرأة قبل الجماع، ويكره بعده لتعذره إذن».

وقال الحكيم: لا تجامع امرأتك أول ما تلقيها، بل رَبِّضْها ساعة ولاعبها وشمها واحضنها، فإنك إن فعلت هذا حين الإلقاء كان ذماً ونقصاً.

- فائدة: قالوا: أما محل التقبيل فالخدان والشفتان والعينان والجبهة والعجز والصدر والثديان.

وأما موضوع الشم: فطرف المنخرين، وحوالى العينين، وباطن الأذنين، والسرة وباطن الفرج فالخاصرتان.

وأما موضع العض: فالودجان والأذنان وباطن الشفة والأرنبة والجبهة.

وأما موضع الحك بالأظفار: فباطن القدمين وباطن الفخذين، والساعدين وفيما بين السرة والفرج، ولا يفعل ذلك إلا بامرأة بطيئة الإنزال.

وأما المص: فشفتها وأعلى وجنتها وموضع خالها وحوالى ثدييها ولا يفعل ذلك إلا وهى مفرجة الرجلين فإن ذلك أسرع لإنزالها[1].

فما هى الأحوال التى يُستطاب فيها الجماع؟

- أما الأحوال التى يستطاب فيها الجماع: فاعلم أن للنساء أحوالاً توافق الرجال مجامعتهن فيها ولها فضل على سائر الأوقات، قال علماء الباه: أن أوفق الأشياء للنساء الجماع عند السقم، فإن فيه صلاحاً لأجسامهن ومدواة لها وهو أشد لهن ملائمة من الحقن وأخلاط الأدوية الشافية، وهو يكسب المرأة زيادة فى العمر، ومنها أن يجامع المرأة إذا فزعت بأمر دهمها ترتاع له فيسكن عند ذلك ويزول.

وقال أصحاب علم الباه: إذا طهرت النفساء وتنظفت مما تجد عند الولادة فاعجل بمواقعتها فإنه أصلح لها وأصح لنفسها ولما تعبت وجاهدت فى ولادتها وأنفع، وفى صحتها أبلغ وأنجح.

زعمت الهند أن «المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسنها وأدق وأعتق صبحة عرسها وأيام نفاسها وفى البطن الثانى من حملها».

---

(1) علامات النساء لأحمد بن سليمان المتوفى سنة (٩٤٠)، بتصرف.

فما هى أنفع أوقات الجماع[1]؟

ـ **أنفع أوقات الجماع:** وأنفع الجماع ما حصل بعد الهضم وعند اعتدال البدن فى حره وبرده ويبوسته ورطوبته وخلائه وامتلائه، وضرره عند امتلاء البدن أسهل وأقل من ضرره عند كثرة الرطوبة أقل منه عند اليبوسة وعند حرارته أقل منه برودته وإنما ينبغى أن يجامع إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ولا فكر فى صورة ولا نظر متتابع ولا ينبغى أن يستدعى شهوة الجماع ويتكلفها ويحمل نفسه عليها وليبادر إليه إذا هاجت به كثرة المنى واشتد شبقه.

وليحذر جماع العجوز والصغيرة التى لا يوطأ مثلها والتى لا شهوة لها، والمريضة، والقبيحة المنظر، والبغيضة، فوطء هؤلاء يوهن القوى ويضعف الجماع بالخاصية، وغلط من قال من الأطباء: إن جماع الثيب أنفع من جماع البكر وأحفظ للصحة، وهذا من القياس الفاسد حتى ربما حذر منه بعضهم، وهو مخالف لما عليه عقلاء الناس ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة.

ـ وفى جماع البكر من الخاصية وكمال التعلق بينها وبين مجامعها وامتلاء قلبها من محبته وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره ما ليس للثيب، وقد قال النبى ﷺ لجابر: **«ألا تزوجتها بكراً تلاعبك وتلاعبها وتضاحكك وتضاحكها»**[2]، وقد جعل الله سبحانه من كمال نساء أهل الجنة من الحور العين أنهن لم يطمثهن أحد قبل من جعلن له من أهل الجنة وقالت عائشة للنبى ﷺ: **«أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرا قد أكل منها ووجدت شجراً لم يؤكل منها فى أيها كنت ترتعُ بعيرك قال فى الذى لم يرتع منها تعنى أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها»**[3].

وجماع المرأة المحبوبة فى النفس يقل إضعافه للبدن مع كثرة إستفراغه للمنى وجماع البغيضة يحل البدن ويوهن القوى مع قلة استفراغه وجماع الحائض حرام طبعاً وشرعاً فإنه مضر جداً والأطباء قاطبة تحذر منه[4].

---

(١) ومن أنفع أوقات الجماع ما كان بعد الاستيقاظ من النوم خاصة بعد صلاة الفجر.

(٢) أخرجه البخارى (٢٠٠٨/٥)، ومسلم (١٧٦/٤).

(٣) تقدم. (٤) انظر: زاد المعاد (١٤٩/٤).

هل هناك جماع ضار؟

ـ **الجواب:** نعم «الجماع الضار نوعان: ضار شرعاً وضار طبعاً، فالضار شرعاً: المحرم وهو مراتب بعضها أشد من بعض والتحريم العارض منه أخف من اللازم كتحريم الإحرام والصيام والاعتكاف وتحريم المظاهر منها قبل التكفير وتحريم وطء الحائض ونحو ذلك ولهذا لا حد فى هذا الجماع.

وأما اللازم نوعان: نوع لا سبيل إلى حله البتة كذوات المحارم فهذا من أضر الجماع وهو يوجب القتل حداً عند طائفة من العلماء كأحمد بن حنبل رحمه الله وغيره.

والثانى ما يمكن أن يكون حلالاً كالأجنبية فإن كانت ذات زوج ففى وطئها حقان حق لله وحق للزوج فإن كانت مكرهة ففيه ثلاثة حقوق وإن كان لها أهل وأقارب يلحقهم العار بذلك صار فيه أربعة حقوق فإن كانت ذات محرم منه صار فيه خمسة حقوق فمضرة هذا النوع بحسب درجاته فى التحريم.

وأما الضار طبعاً فنوعان أيضاً: نوع ضار بكيفيته كما تقدم، ونوع ضار بكميته كالإكثار منه فإنه يسقط القوة ويضر بالعصب ويحدث الرعشة والفالج والتشنج ويضعف البصر وسائر القوى ويطفئ الحرارة الغريزية ويوسع المجارى ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية.

وأنفع أوقاته ما كان بعد انهضام الغذاء فى المعدة وفى زمان معتدل لا على جوع فإنه يضعف الحار الغريزى ولا على شبع فإنه يوجب أمراضاً شديدة ولا على تعب ولا إثر حمام ولا استفراغ ولا انفعال نفسانى كالغم والهم والحزن وشدة الفرح.

وأجود أوقاته بعد هزيع من الليل إذا صادف انهضام الطعام ثم يغتسل أو يتوضأ وينام عليه وينام عقبة فتراجع إليه قواه وليحذر الحركة والرياضة عقبة فإنها مضرة جداً»[1].

فما هى مضار الجماع؟

ـ اعلم يرحمك الله أن مضرات الجماع كثيرة قيدنا هنا ما دعت إليه الحاجة وهى: النكاح واقفاً يهدّ الركائب، ويورث الرعاش، والنكاح على جنب يورث عرق النسا،

(١) زاد المعاد (٢٥٤/٤) بتصرف.

والنكاح على الفطر قبل الأكل يقطع الظهر، ويقلل الجهد ويضعف البصر، والنكاح في الحمام يورث العمى ويضعف البصر، وتطليع المرأة على الصدر حتى ينزل المنى وهو ملقى على ظهره يورث وجع الصلب ووجع القلب، وإن نزل شيء من ماء المرأة في الإحليل أصابه الأرقان وهي الثقلة، وصد الماء عند نزوله يورث الحصى ويعمل الفتق، وكثرة الحركة وغسل الذكر بقوة عاجلاً بعد الجماع يورث الحمرة، ووطء العجائز سم قاتل من غير شك.

وكثرة الجماع خراب لصحة الأبدان، لأن المنى ينزل من خلاصة الغذاء كالزبد من اللبن، فإذا خرج الزبد فلا فائدة في اللبن ولا منفعة، والمتولع به يعنى النكاح من غير مكابدة لأكل المعاجين والعقاقير واللحم والعسل والبيض وغير ذلك يورث له خصائل:

الأولى: تذهب قوته.

الثانية: يورث له قلة النظر إن سلم من العمى.

الثالثة: يربى له الهزال.

والرابعة: يربى له رقة القلب، إن هرب لا يمنع وإن طارد لا يلحق وإن رفع ثقلاً أو عمل شغلاً يعلى في حيله.

وتدبير ابن آدم ومنافعهم ومضراتهم مجموعة على سبيل الاختصار في هذه الأبيات:

توقَّ إذمـا شـئت إدخـال مطعم	**على مطعم من قبل فعل الهـواضم**
وكل طعـام يعجـز السن مضغـه	**فـلا تبـتلعه فـهـو شـر المطاعم**
ولا تشـربن على طعـامك عـاجـلاً	**فـتـقـود نفسك للبلى بزمـايم**
ولا تحبس الفضلات عند اجتماعها	**ولو كنت بين المرهفـات الصـوارم**
ولاسيـمـا عند المنام فـدفـعـهـا	**إذا مـــا أرت الـنوم الـزم لازم**
وجـدد على النفس الدواء وشـربه	**ومـــا ذاك إلا عند نزول العظائم**
ووفـر على النفس الدمـاء لأنها	**لصـحـة الأبدان أشـد الدعـائم**
ولا تك في وطء الكواعب مـسرفـاً	**فإسـرافنا في الوطء أقوى الهوادم**

فــفــى وطئنـا داء ويكفـــيك أنه لماء حـــيـــاة مـــورق فى الأراحم

وإياك إياك العــجــوز ووطئــهــا فــمـــا هـى إلا مـــثـل سم الأراقم

وكن مــســتــحــمــاً كل يومــين مــرة وحــافظ على هذى الخـصــال وداوم

بـذاك أوصـــاك الحـكيم بيـــادق أخو الفضل والإحسان خير الأعاجم[1]

❀ ❀ ❀

(١) الروض العاطر للنفراوى.

فهل هناك فوائد للجنس؟

ـ نعم، يخطئ كثير من الناس عند ظنهم أنه لا يتأتى من الجنس إلا الضرر فقط، ولا فائدة فيه، كيف وقد شرع الله تعالى الجماع؟! وهو تعالى إنما يُشرِّع لعباده ما فيه مصلحتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة، وقد دخل الجنس معامل التحاليل وخضع للتجارب والفحوصات فى محاولة من العلماء للبحث عن فوائد الجنس، ولقد خرجت علينا التحاليل والأشعات تبين لنا ما هى فوائد الجنس المتعددة، وما أغرب ما كشفت عنه الأبحاث: يقول الدكتور مايكل كريجليانو الأستاذ بكلية طب بنلسفانيا عن العملية الجنسية: أنها نوع من التمارين الرياضية، ويصف كل حركة على حدة، وكيف أنها حركة عضلية مفيدة، ويقول: إن مجموعة هذه الحركات هو بمثابة جهد رياضى ممتع، ويمثلها بالأهرامات، وكيف إذا نظرنا إلى كل حجر من أحجار الأهرامات منفرداً على حدة لن ينبهر به الرائى، ولكن إذا نظرنا إليها نظرة شاملة كاملة انبهرنا بهذا التنظيم وغمرنا الإعجاب.

يقول الدكتور مايكل: إن من يمارس الجنس ثلاث مرات أسبوعياً بصفة منتظمة: يحرق (٧٥٠٠) سعر حرارى كل عام، وهو ما يعادل المشى مسافة (٧٥) ميلاً!.

وهذا هو سرّ تسمية الفرنسيين للحظة النشوة بـ «الموت الصغير» قالوا: لأنه يؤجل الموت الكبير ويطيل العمر، بعكس الاعتقاد السائد بين الناس أن الجنس يعجل بالشيخوخة والمرض والضعف، وذلك لأن الجنس يقلل من نسبة الكوليسترول قليل الكثافة والذى يمثل خطراً على الشرايين، وهو ـ الجنس ـ يكثر من نسبة الكوليسترول العالى الكثافة، فهو الميزان الذى يعالج النسبة بينهما.

ويقول الدكتور كارين دونهاى بكلية طب جامعة نورث ويسترن: إن أى نوع من الجهد البدنى يسبب زيادة فى هرومون «التستيسترون» والجنس ليس استثناء من ذلك وهذا الهورمون يساعد مساعدة فعالة فى بناء العظام والعضلات، بعكس ما يظنه الكثير أن للجنس آثاره الجانبية على «العظام» وخاصة «المفاصل»!.

وهذا «الهرمون» إذا زاد بالممارسة الجنسية عند المرأة فإنه يحمى القلب ويحافظ على أعضائها التناسلية ويؤدى إلى حيوية الأعضاء عامة ونشاط الدورة الدموية عندها! بل وهو يخفف من الألم المصاحب للدورة الشهرية!.

ويقول الدكتور بفرلى وهيبل الأستاذ المساعد بكلية التمريض جامعة روتجرز: توجد دلائل كثيرة على أنه أثناء الجنس تنطلق مواد فعالة تُسمى «قاتلى الألم»! وفى لحظة النشوة تزداد درجة إحتمال الجسم للألم، كما أن الجنس يساعد على تخفيف ألم المفاصل[1]! والصداع! وقال البعض عن تخفيف الجنس للصداع: أن «مواد الإندروفين» ومخففات الآلآم التى تنطلق أثناء الجماع هى المسئولة عن تخفيف الصداع، وقال بعضهم: إن الدم المتدفق أثناء الجماع وسرعته هى التى تخفف الضغط عن المخ وهو المسئول عن تخفيف الصداع!.

وقالوا: ليس صحيحاً أن الجنس هو المسئول عن ألم البروستاتا، بل العكس هو الصحيح، ففى لحظة النشوة تضغط العضلات المحيطة بالبروستاتا عليها وكأنها تعصرها عصراً لتفرغها من السائل الذى سيصاحب السائل المنوى! فهو - الجنس - عامل مساعد لتحسن عمل البروستاتا وليس إضعافها.

إلى غير ذلك الكثير مما كشفه العلم الحديث عن أثر الجنس فى حياة الناس وفوائده الكثيرة.

• هل هناك أمور يستحسن الأخذ بها عند الجماع؟

- فوائد عند الجماع:

- «اعلم يرحمك الله أنك إذا أردت الجماع عليك بالطيب، وأن تطيبتما جميعاً كان أوفق لكما[2]، ثم تلاعبها بوساً ومصاً وتقبيلاً وتقليباً فى الفراش ظهراً وبطناً حتى تعرف أن الشهوة قد قربت فى عينيها[3]، ثم تدخل بين أفخاذها، وتولج أيرك فى فرجها وتفعل، فإن ذلك أروح لكما جميعاً وأطيب لمعدتك.

---

(١) وليس كما يقال أنه يؤدى إلى ألم المفاصل وتعبها.

(٢) والطيب من السحر المباح الذى يغفل عنه كثير من الأزواج.

(٣) أى أخذت فى الزوغان، وكأنها تدمع.

قال بعضهم: إذا أردت الجماع الق المرأة إلى الأرض ولزها إلى صدرك مُقبّلاً فيها ورقبتها مصاً وعضاً وبوساً فى الصدر والبزازيل والأعكان والأخصار[١]، وأنت تقبلها يميناً وشمالاً، إلى أن تلين بين يديك وتنحلّ، فإذا رأيتها على تلك الحالة أولج فيها أيرك، فإذا فعلت ذلك تأتى شهوتكما جميعاً.

وذلك مما يقرب الشهوة للمرأة، وإذا لم تفعل ذلك لم تنل غرضاً ولا تأتيها شهوة، فإذا قضيت حاجتك وأردت النزول فلا تقع قائماً ولكن انزل عن يمينك برفق.

ولا تشرب عند فراغك من النكاح شربة من ماء السماء فإنه يرخى القلب، وإن أردت المعاودة فتطهرا جميعاً فإن ذلك محمود، وإياك أن تطلعها فوقك، فإنى أخاف عليك من مائها ودخوله فى إحليلك، فإن ذلك يورث المرض[٢]، ولا تصدن الماء فإن ذلك يورث الفتق والحصى، والحذر بعد الجماع من شدة الحركة، فإنها مكروهة، ويستحب الهدوء ساعة، وإذا أخرجت الذكر من الفرج فلا تغسله حتى يهدأ قليلاً، فإذا هدأ فاغسل عينه برفق رفقاً، ولا تكثر غسل ذكرك ولا تخرجه عند الفراغ من الجماع فتدلكه وتغسله وتفركه، فإن ذلك يورث الحمرة[٣].

ـ وصية أم لابنتها:

ـ أوصت أم ابنتها ـ قد جفاها زوجها وملّها وهجر فراشها ـ : «إنى أوصيك بوصية إن قبلتها سعدت، قالت: وما هى؟ فقالت: انظرى إن هو مد يده إليك فانخرى واشخرى[٤] واظهرى له إسترخاء وفتوراً.

---

(١) المراد جسم المرأة كلها أعلاه وأسفله.

(٢) وهذه الصورة من الجماع تستلذ بها المرأة جداً، ولكن لا تكثر منها وكن على حذر مما تقدم.

(٣) الروض العاطر للنفراوى.

(٤) وهذا الخلق تفتقده كثير من النساء، والشخير والنخير بلطافة وبصوت خافت مما يثير الرجل ويزيد فى شهوة الرجل وغلمته، وفى «كشاف القناع» (١٩٤/٥): «وقال أبو الحسن بن القطان فى كتاب أحكام النساء لا يكره نخرها للجماع ولا نخره، وقال الإمام مالك بن أنس: لا بأس بالنخر عند الجماع، وأراد سفها فى غير ذلك، يعاب على فاعله» اهـ. قلت: فها هو الإمام مالك على جلالته يتحدث فى أدق أمور الجماع، والمراد أنه لا بأس فى نحز الرجل أو المرأة عند الجماع، ومن فعل ذلك فى غير موضعه فقد يوصف بالسفه.

وإن قبض على جارحة من جوارحك فارفعى صوتك عمداً وتنفسى الصعداء وبرّقى أجفان عينيك، فإذا أولج إيره فأكثرى الغنج[1] والحركات اللطيفة، واعطيه من تحته رهزاً[2] موافقاً لرهزه، ثم خذى يده اليسرى فأدخلى حرفها بين اليتيك، وضعى رأس إصبعه الوسطى على باب إستك، ثم تحركى من تحته، ثم أعيدى النخير والشخير، فإذا أحسست بإفضائه فاضبطيه وعاطيه الرهز من أسفل بنخر وزفير، وأظهرى من الكلام الفاحش المهيّج للباه ما يدعو إلى قوة الإنعاظ، والصقى بطنك إلى بطنه وترافعى إليه.

وإن دخل عليك يوماً وهو مغموم فتلقيه فى ثوب رفيع مطيّب يُظهر بدنك من تحته، ثم اعتنقيه[3] والزميه وقبليه ودغدغيه واقرصيه وعضيه برفق، وشمى صدره، وتقاصرى[4] تحت إبطيه، والصقى نهديك بجسده وأكثرى النخير، وخذى يده وأدخليها فى كمك، وضعيها على بطنك، ثم ارفعيها إلى سنبلة صدرك، إلى بين ثدييك، ودعيه يدغدغهما، ثم أنزليه إلى بطنك، ومرّى بها على سرتك وخواصرك، ثم انزليها إلى فرجك، ودعيه يلعب به كلعبك بإيره، حتى تتجامع حركته وتهيج شوته، ثم أدخلى حرفها بين اليتيك، فإن شعرت منه بالشهوة فبادرى إلى الفراش واستلقى على ظهرك واكشفى بطنك وفرجك وأبرزى له عجيزتك، واضربى بيدك على فرجك[5] وعلى ردفك[6] فإنه لا يملك نفسه ولا يهوى شيئاً غير مقاربتك.

وعليك يا بنية بالماء فتنظفى به وبالغى فى الإستنظاف، وكونى أبداً معدة له متى رأيته نظر إليك أو قبّلك فافعلى ما أوصيتك به.

---

(١) الكلام بالصوت الخافت الناعم.

(٢) الرهز: الاهتزاز.

(٣) اعتناق المرأة للرجل من الخلف والصاقها ثدييها بظهره مما يزيد فى شهوته.

(٤) أى: تجنبى.

(٥) عن سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس: إنى تزوجت ابنة عم لى جميلة فبنى لى فى رمضان فهل لى بأبى أنت وأمى إلى قبلتها من سبيل؟ فقال له: ابن عباس هل تملك نفسك؟ قال: نعم، قال: قبل، قال: فبأبى أنت وأمى هل إلى مباشرتها من سبيل؟ قال: هل تملك نفسك؟ قال: نعم، قال: فباشرها، قال: فهل لى إلى أن أضرب بيدى على فرجها من سبيل؟ قال: وهل تملك نفسك؟ قال: نعم، قال: اضرب. وهذه أصح طريق عن ابن عباس «المحلى» (٦/٢١٢).

تفقدى موضع أنفه وعينه، فلا يشم منك إلا ريحاً طيبة، ولا يقع عينه منك على قبيح يُعاب، فإذا أدخل إيره فأكثرى الغنج، ثم انخرى واشخرى وارهزى فإن هو أمسك عن الرهز فأكثرى أنت الرهز[١].

ـ فإن قيل: إن هذا يشبه فعل الغانيات[٢]، وهل هناك من النساء من تفعل هذا؟

ـ دائماً ما نقول: لا حرج أن تكون المرأة غانية لزوجها، فإذا لم يجد الزوج المتعة مع أهله فأين يبحث عنها، عند بائعات الهوى؟ أم يتخذ لنفسه عشيقة تروى ظمأه وشبقه، إن هناك كثير من النساء ممن يفتقدن فن الجماع مما ينفر الزوج ويدفعه إلى البحث عن عشيقة أو بائعة هوى، هل هناك حرج فى فعل المرأة كل ما يزيد فى شهوة زوجها واستمتاعه بأهله، وقد أفضى بعضهم إلى بعض، واطلع الرجل منها على ما لا يطلع منها أبوها أو أخوها!.

فإن قيل: هناك من تشعر بالحرج من هذا أو تخاف أن يظن بها زوجها الظنون إن هى فعلت ما جاء ـ مثلاً ـ فى وصية الأم السابقة لابنتها، أو أظهرت لزوجها هذا التغنج والمتعة أثناء الجماع من تأوه وشخير ونخر وغير هذا مما تقدم.

أقول: ولِمَ الحرج وقد تقدم أن الرجل يطلع من زوجته على ما لا يطلع عليه الأب أو الأخ، وإن ظن الزوج بها الظنون كما يقال فهذا مرجعه إلى الزوج وسوء طريقته، فالرجل يتزوج الفتاة وهو يعرف أنها لا تدرى شيئاً عن أمور الجماع، فيقوم هو بتعليمها وتدريبها على فن الجماع ـ ليستمتع كل منهما بالآخر ـ وهو لا يبحث عن متعته فقط فيحيف على حقها، فإن ظن بها الظنون كما يقال فلضيق أفقه ونفسه غير السوية.

● فماذا عن رقص الزوجة لزوجها؟

ـ لا حرج فى رقص المرأة لزوجها إذا لم يصاحب هذا الرقص «الموسيقى» فهى حرام، ولها أن تستخدم «أشرطة» الكاسيت التى يطلقون عليها «أشرطة إسلامية»،

---

(١) الروض العاطر، بتصرف.

(٢) لقد استعملت اللفظة المشهورة على الألسنة وهى «الغانية» وإن كان الصواب أن يقال «البغى» فهناك فرق بينهما كبير. انظر لكاتب السطور: «معترك الأقران فى ألفاظ القرآن».

ففيها الغناء بالدف، كما قيل لى، وهو أفضل من استخدامها لكاسيت يحتوى على الموسيقى المحرمة، وهو يفى بالغرض المطلوب، فلا تتركه إلى حرام.

ـ هل حقاً يأثم الرجل إذا جامع امرأته ونظر إلى المرآة ـ أو هى ـ فى غرفة النوم مثلاً أثناء الجماع؟

ـ **الجواب:** هذا كلام لا يصح.

ـ سألتنى زوجة مرة أن زوجها ـ متزوج غيرها ـ يشتكى من برودها الجنسى ـ على قوله ـ فجامع إحدى نسائه أمامها حتى يثيرها! وتتعلم كيف تُمتع الزوجة الأولى زوجها، فتفعل مثلها، فهل هذا يجوز؟[1].

ـ **الجواب:** لا يجوز.

ـ زوج يشتكى برود زوجته أثناء الجماع، فهل من حرج فى مشاهدة الزوجين لبعض أشرطة الفيديو «الجنسية» حتى تستجيب الزوجة لزوجها أثناء الجماع، أو لتعليمها؟

ـ **الجواب:** حادثتنى إحدى النساء يوماً ـ هاتفياً ـ أن زوجها يشتكى برودها الجنسى فأشار عليها بإحضار «شريط جنسى» لتشاهده الزوجة!! فسألت: هل يباح لها هذا؟

فقلت لها: هل لكِ ولزوجك أن تشاهدى جارتك ـ مثلاً ـ وهى فى أحضان زوجها أثناء العملية الجنسية، فتشاهدى أنتِ وزوجك ذلك منهما؟

قالت: لا، لا نستطيع عمل هذا.

فقلت لها: إذا كان هذا منكما، والرجل والمرأة زوجين، قد أحل الله تعالى لهما ذلك، فكيف لكما أن تشاهدا ذلك من رجل وامرأة سفاحاً وزناً؟! بل والرجل والمرأة من أهل الكفر!.

---

(١) ثم رأيت فى كتاب المبدع (٢٠٢/٧) مثلها: «مسألة يجوز نوم الرجل مع زوجته بلا جماع بحضرة محرمها لفعل النبى ﷺ ولا يجامع إحداهما بحيث تراه الأخرى أو غيرها غير طفل لا يعقل أو يسمع حسهما ولو رضيتا وذكر المؤلف أن ذلك حرام لأن فيه دناءة وسقوط مروءة وربما كان وسيلة إلى وقوع الرائية فى الفاحشة لأنها قد تثور شهوتها بذلك قال أحمد فى الذى يجامع امرأته والأخرى تسمع قال كانوا يكرهون الرجس وهو الصوت الخفى ولا يحدثهما بما جرى بينهما لأنه سبب لإيثارة الغيرة وبغض إحداهما الأخرى» وانظر: الكافى (١٢٦/٣).

فإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز من زوجك أن يشير عليك بمثل ذلك الأمر الشنيع، هذا إلى غير الأضرار الناتجة عن مشاهدة المرأة لتلك الأفلام التى تُعد أحد أسلحة محاربة الإسلام والمسلمين، فالمرأة تشاهد الرجل «الوسيم» الجميل المفتول العضلات التى يطيل العملية الجنسية مع المرأة «المحترفة» الدعارة فترة كذا وكذا، فتنقم على زوجها ضعفه مثلاً أو عدم إطالة زمن العملية الجنسية كما شاهدت فى تلك الأفلام (ويخفى عليها أن تلك الأفلام كغيرها من الأفلا التى تُصور على ـ شوطات ـ وفيها «المونتاج» قص ولصق تلك المناظر حتى تصبح الفترة الجنسية طويلة زمن كذا أو كذا) ناهيك عن مشاهدة الرجل أيضاً لنساء تلك الأفلام «الحسناوات» المحترفات الداعرات «الكافرات» مما قد يدعوه إلى الزهد فى زوجته لقلة جمالها مثلاً أو جهلها بما تفعله نساء تلك الأفلام.

وضرر تلك الأفلام أكبر وأشد وأخطر مما يظنه الكثير من الناس، فمشاهدها ـ والعياذ بالله تعالى ـ ينسحب من بين يديه خُلق «الحياء» فتراه ينظر إلى كل فتاة أو امرأة يتخيل منها مواضع الفتنة كما شاهد فيشتهيها، فإما أن يقع فى المعصية والزنا، أو يتحول إلى الاستمناء وله أضراره الكثيرة، أو «يقذف» أثناء مشاهدة تلك الأفلام دون أن ينتصب القضيب الانتصاب السليم مما يؤدى بالجسم إلى «الاعتياد» على القذف فى حالة معينة وعند حدٍ معين، فلا ينتصب القضيب انتصاب من هو فى مثل سنه ممن لم يشاهد تلك الأفلام أو يمارس تلك العادة، ناهيك عن أشرار تلك العادة السيئة، كما سيأتى الحديث عنها وبيان بعض أضرارها.

ـ فماذا عمن يقول أنى أشاهد تلك الأفلام للتعلم أو للترفيه، كما أنها لا تؤثر فىّ؟

ـ الجواب: نقول له: دعك من التبرير الأجوف ولا تضحك على نفسك، ولا تدع الشيطان يضحك منك، وإليك هذه القاعدة الهامة العظيمة والتى يجب أن تنقش بماء الذهب ويضعها كل إنسان أمام عينه وهى قوله ﷺ: **«من سمع بالدجال فلينأ عنه»**[1]، فلا تقترب من النار وتقول: لن أحترق!.

يجب عليك أخى المسلم الابتعاد عن مشاهدة تلك الأفلام ولا تدع الشيطان يوسوس لك

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٦/٤) وأحمد (٤٣١/٤، ٤٤١) والطبرانى وغيرهم.

بمشاهدتها من أجل التعليم أو لبرود الزوجة أو لأى من الواسوس الشيطانية.

- ويسأل بعضهم: لقد وقعت فى الزنا - قبَّلتُ وغامزتُ حتى وقعت على المرأة، وأريد أن أتطهر، فما هو الحد، علماً بأنى لم أتزوج بعد؟

- الجواب: لا حد على من قبَّل أو غامر أو فاخذ، إنما الحد على من وقع فى الزنا وباشر مباشرة كاملة، روى البخارى: عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «لما أتى ماعزُ بن مالك النبى ﷺ قال له: لعلك قبَّلت أو غمزت أو نظرت، قال: لا يا رسول الله، قال: أنكتها[1]- لا يكنى - قال: فعند ذلك أمر برجمه»[2].

وحد المحصن[3] هو الرجم، وغير المحصن: الجلد.

ولكن عليك التوبة النصوح بشروطها[4].

• سرعة القذف بين العلة والعلاج:

- يعانى كثير من الأزواج من علة سرعة القذف، وهو مما يقلل من استمتاع الزوجين معاً، بل قد يؤدى فى بعض الأحيان إلى مفترق الطريق، فهل لهذا من علاج؟

- الجواب: يعانى كثير من الشباب حديثى الزواج - بل وكثير من المتزوجين - من

(١) قال الأزهرى فى تهذيب اللغة قال: الليث النيك معروف والفاعل نايك والمفعول به منيوك ومنيك والأنثى منيوكة، تهذيب الأسماء (٣/٣٥٠)، «وعند النسائى على ما قال الحافظ: هل أدخلته وأخرجته؟ قال: نعم، كما يغيب المِرود - بكسر الميم - الميل فى المكحلة، قال فى القاموس: المكحلة ما فيه الكحل وهو أحد ما جاء من الأدوات بالضم، والرشاء بكسر الراء، قال فى القاموس: الرشاء ككساء الحبل، وفى هذا من المبالغة فى الاستثبات والاستفصال ما ليس بعده فى تطلب بيان حقيقة الحال فلم يكتف بإقرار المقر بالزنا بل استفهمه بلفظ لا أصرح منه فى المطلوب وهو لفظ «النيك» الذى كان يتحاشى عن التكلم به فى جميع حالاته ولم يسمع منه إلا فى هذا الموطن، ثم لم يكتف بذلك بل صوره «تصويراً حسياً» ولا شك أن تصوير الشىء بأمر محسوس أبلغ فى الاستفصال من تسميته بأصرح أسمائه وأدلها عليه»، «عون المعبود» (١٢/٧٢).

(٢) أخرجه البخارى (٦/٢٥٠٢)، ولم يستعمل النبى ﷺ هذا اللفظ إلا هذه المرة وفى هذا الموضع لدرء الحدّ، فتأمل.

(٣) المتزوج.

(٤) انظر: «القول الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى» لكاتب السطور «اسم الله تعالى: التواب» ط: مكتبة العلم.

علة سرعة القذف مما يسبب - إن لم يكن من أهم الأسباب الرئيسية فى فشل الحياة الزوجية عند الكثير - متاعب جمة للرجل والمرأة على حد سواء، فالرجل لا يستمتع بالمعاشرة الزوجية لفترة طويلة تروى ظمأه وعطشه وتغنيه عن النظر إلى الحرام، ثم هو يترك زوجته ولم تقض وطرها بعد فيتركها دون قضاء شهوتها مما يؤثر كثيراً على نفسيتها وحياتها.

فبعض الرجال يقذف بمجرد تلاقى الختانان، حتى إن زوجته - وبعد سنوات من الزواج - إذا طلب منها أحد أشكال الجماع رفضت، لأنها وعيت أنه بمجرد التلامس سيقذف فكأنها تقول: ولما الشكل الفلانى مادام بمجرد الملامسة للفرج سيقذف، وهذا بدوره يثير الكثير من المشاكل الجنسية ويتبع هذا وينعكس على حياتها الزوجية بصفة عامة.

وقد يكون هذا ناتجاً من علة مرضية أو نفسية، فإن كان من علة مرضية فعليه بالطبيب، وإن كان من علة نفسية كالأرق أو الهمّ مثلاً، فعليه أن يصرف ذهنه عن هذا أثناء الجماع، وليعلم أن لزوجه عليه حق، فليعط كل ذى حق حقه.

- وقد لجأ بعضهم إلى بعض الحيل لإطالة فترة الجماع:

فمنهم من يصرف ذهنه أثناء المداعبة أو المعاشرة إلى التفكير فى شىء آخر كمن يقوم بالعد من واحد إلى مائة عكسياً، أو حلّ المسائل الحسابية المعقدة.

ومنهم من يصرف نظره عن النظر إلى جسد زوجته.

ومنهم من يستعمل بعض المراهم المخدرة - كمرهم ترونفال - على عضو الذكورة ليقل الإحساس به أثناء الإيلاج مما يطيل حتماً فترة الجماع، وهذا من أفضل الطرق لإطالة فترة الجماع.

ومنهم من يدع زوجة تداعب عضوه وتلاعبه حتى إذا انتصب وشعر بقرب الإنزال طلب منها التوقف، فإذا هدأ قليلاً بعد لحظات عاودت الزوجة مداعبة العضو مرة أخرى وهكذا حتى يتعود الجسم والعقل على هذا فيكون سبباً فى تأخر القذف مما يطيل حتماً فترة الجماع.

ومنهم أيضاً من إذا شعر بقرب الإنزال أثناء الإيلاج توقف عن الحركة، فيهدأ العضو قليلاً، ثم يعاود.

ومنهم من إذا شعر بقرب الإنزال أثناء الجماع بدأ فى تغيير شكل الجماع، ثم عاود، ثم إذا شعر بقرب الإنزال مرة أخرى، توقف وتغير شكل الجماع، وفى أثناء هذا يكون العضو قد نال بعض الراحة فيقلل من تدفق الدم إليه مما يطيل حتماً فترة الجماع، ويُكثر من تغيير شكل الجماع مما يزيده متعة للزوجين معاً.

فإن أهم أسباب سرعة القذف هو تدفق الدم إلى الأوعية والشرايين بالعضو وامتلائه بها من الاحتكاك الناتج من المداعبة أو الإيلاج.

ومنهم من يكثر من مداعبة الزوجة وتقبيلها بدءاً بشفتيها ثم لا يكتفى بهما.. مما يثير المرأة ويجعلها على أهبة الاستعداد للإنزال فإذا شعر معها هذا أولجه فيها، وعندها طالت الفترة أم قصرت لا تعرها كثير من النساء اهتماماً فإنها تقضى وطرها مع زوجها، بل سيكون سبباً فى إنزالهما معاً مما يشعرهما بالسعادة والمتعة.

ومنهم من يكثر من مداعبة بظر المرأة - وهو من أهم المناطق حساسية عند المرأة وإثارة لها - وباطن الفخذين، والضرب على أعلى مؤخرة المرأة (نهاية العمود الفقرى وأعلى المؤخرة)، أو يُكثر من التقبيل وهو يلصق عظمة ساقه بفرج المرأة فيزيد فى غلمتها، مما يعجل لها بالإنزال، فتكون فى شوق إلى المعاشرة والجماع.

ومنهم من يطيل المداعبة والتقبيل والغمز - من الرجل والمرأة معاً - ثم يتوقف قليلاً للحديث معها بكلمات الحب والإعجاب، ثم يعاود مرة أخرى.

ومنهم من يستعمل الغشاء الواقى مما يقلل من حساسية الجلد (لعضو الرجل) مما يزيد فى فترة المعاشرة الجنسية.

ومنهم من يلجأ إلى النسبة والتناسب، أى أنه يعلم من نفسه أنه يقذف بعد خمس دقائق - مثلاً - بينما زوجته تصل إلى شهوتها بعد عشر دقائق - مثلاً - فيأخذ فى المداعبة والملاعبة والضم والتقبيل خمس دقائق مثلاً، حتى إذا وصلت المرأة إلى حالة الشوق إلى المعاشرة بدأ الإيلاج، ثم بعد خمس دقائق تلتقى شهوة الرجل والمرأة معاً فيكون الاستمتاع والإنزال معاً.

- فماذا عن التقاء الشهوتين للرجل والمرأة، إذ يشكو الكثير وقد مرت عليه سنوات الزواج، ولم تلتق الشهوتان معاً رغم مرور السنوات، وقد لا يتفق الزوجان

فى الإنزال معاً؟

الجـواب: من المقـرر أن المرأة أسـرع إثارة وإنزالاً من الـرجل، وقـد تقـذف قـبل الرجل، ومنهن من تقذف الماء مرة أو أكثر أثناء الجماع، ومنهن من تتأخر فى الإنزال، ومن الرجال من يعانى سرعة القذف كما تقدم، فينزل قبل أن تأتى المرأة شهوتها، فيقضى شهوته ثم يتركها، دون مراعاة منه لمشاعر زوجته، ومن كمال استمتاع الرجل وزوجته توافق النزول، ويمكن لهما هذا إذا شعر الزوج بقرب الإنزال أوحى إلى زوجته بهذا، ضرباً كما تقدم على مؤخرتها مثلاً أو نحو هذا، أو همساً، فتتأهب الزوجة لهذا وهو يؤدى بدوره إلى إثارتها مما يجعلها تقذف معه، وقد تطلب من زوجها التأخر قليلاً فى الإنزال فيتوقف الزوج عن الحركة ـ كما تقدم ـ ثم يعاود حتى تتفق الشهوتان ويكمل الاستمتاع.

ـ ما هى أماكن الإثارة عند المرأة؟

ـ **الجواب:** إن أكثر المواضع إثارة عند المرأة: الشعر وأطرافه خاصة، الشفاه، الثدى، السرة وما حولها، أسفل السرة، البظر، وباطن الفخذين، والأرداف.

ـ فما هى مواضع الإثارة عند الرجل؟

ـ **الجـواب:** أما مـواضع الإثارة عند الرجل فـهى: خلف الأذن، أسفل الرقـبـة، الشفاه، حلمة الصدر، أسفل السرة، أعلى الفخذ من الداخل، والأرداف.

ـ فإذا أراد العودة للجماع؟

ـ **الجواب:** الوضوء لمن أراد أن يعاود الجماع.

روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ»**[1]، وعن أنس: «أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغُسلٍ واحدٍ»[2].

ـ يقع كثير من الرجال فى خطأ الصمت والخرس بعد الجماع، فماذا تقول لهم؟

---

(١) أخرجه صحيح مسلم (٢٤٩/١).

(٢) السابق.

ـ الجواب: إن الحديث بعد الجماع له أهمية عظيمة، فكثير من الأزواج إنما يتحدث فقط قبل الجماع، وأما استعمال ذلك بعد قضاء الوطر فهو فى النهاية القصوى فى الظرف، لأن السكوت عقب ذلك ربما يُخجل ويُميت النشاط، وفيه دليل على الندم، وليس من الخلق الجميل والأدب الشريف أن يرى المعشوق عاشقه (الزوجين) نادماً على ما ناله منه، وإذا كان ذلك على ما وصفناه فعود الإنسان على ما كان عليه من الفكاهة والملق والأنس والاستبشار أكمل لأدبه وأدلّ على ظرفه وأحسّن لعقله، فإن زاد فى الثانى على ما كان عليه أولاً كان أزيد لفضله[1]، وقد قال الشاعر:

استرحنا من الخجل	إذا فرغنا من العمل
ذهبت حشمة العذا	رى من الخمش والقُبل

والشاهد لصحة قولنا أن الذين تكلموا فى طبائع الحيوان زعموا أن للحمام فى جماعة خلة يشرف بها على الإنسان لأنه لا يعتريه فى الوقت الذى يعترى أنكح الناس من الفتور بل يفرح ويمرح ويضرب بجناحيه ويفع صدره ويبدو منه ما يفوق به الإنسان الذى شهوته أقوى وأدوم، وهو بما فيه من القوة المميزة أقدر على التخلق بما يريده من الأخلاق المستحسنة فلا يجد فى الغاية القصوى من التصنع والتغزل والنشاط، بل إذا فرغ يركبه الفتور والكسل ويزول النشاط والمرح، والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأقوى فى ذلك الحال الذى يكون الإنسان فيه أدبر ما يكون وأفتر[2].

ـ وبعد المعاشرة الجنسية بين الزوجين، هل يجب تعجيل الغسل أو تأخيره؟

ـ الجواب: روى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن عمر: «أن عمر استفتى النبى ﷺ فقال هل ينام أحدنا وهو جنبٌ قال نعم ليتوضأ ثم لينم حتى يغتسل إذا شاء»[3].

وعن ابن عمر قال: «ذكر عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ أنه تصيبه جنابةٌ من

---

(١) وهذا الخلق يكاد أن يكون مفتقداً تماماً بين أكثر الأزواج، فإذا قضى الرجل وطره «سقط» من فوق زوجته بلا حراك أو كلام، ثم يوليها ظهره وكأنه لا يعرفها!!!.

وكثيراً ما تشتكى الزوجات من هذا الأمر، حتى تشعر المرأة وكأن زوجها إنما تقرب إليها وحدثها لهذا الأمر فقط، فإذا قضى وطره وشهوته تحول عنها وولاها قفاه!!!!.

(٢) علامات النساء لأحمد بن سليمان المتوفى سنة (٩٤٠)، بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩/١).

الليل فقال له رسول الله ﷺ توضأ واغسل ذكرك ثم نم»[1].

وعن عبد الله بن أبى قيس قال: «سألت عائشة عن وتر رسول الله ﷺ فذكر الحديث، قُلْتُ كيف كان يصنع فى الجنابة أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت كل ذلك قد كان يفعل ربما اغتسل فنام وربما توضأ فنام قلت الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعةً»[2].

- فإن لم يستطع الغسل، فهل له الوضوء؟

- الجواب: مستحب أن لا ينام الرجل أو المرأة جنبا إلا أن يتوضأ، فقد صح عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنبٌ غسل فرجهُ وتوضأ للصلاة»[3].

- وليس هذا على الوجوب، إنما هو للاستحباب، لحديث عمر المتقدم وقوله ﷺ فيه: «نعم ليتوضأ ثم لينم حتى يغتسل إذا شاء»، كما صح عن أمنا أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء (حتى يقوم بعد ذلك فيغتسل)»[4].

وعنها أيضاً أنها قالت: «كان النبى ﷺ يبيتُ جُنُباً فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فيقوم فيغتسل فانظر إلى تحدُّرِ الماء من رأسه ثم يخرج فأسمع صوته فى صلاة الفجر، قال مُطرِّفٌ: فقلتُ لعامر: أفى رمضان؟ قال: رمضانُ وغيرهُ سواءٌ»[5].

قلت: وفى هذا الحديث بيان أن هذا الحكم يجرى على الرجل والمرأة سواء أصبح الرجل صائماً أو غير صائم فى رمضان وغيره.

ولكن الاغتسال أفضل: وللرجل والمرأة أن يغتسلا قبل النوم أفضل لحديث عبد الله بن قيس رضي الله عنه أنه قال: «قلتُ كيف كان يصنع فى الجنابةِ أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت كل ذلك قد كان يفعل ربما اغتسل فنام وربما توضأ فنام

(١) أخرجه البخارى ومسلم. (٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود وابن ماجه والنسائى فى العشرة وغيرهم.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد وابن أبى شيبة وأبو يعلى.

قلت الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعةً»(١).

وروى أبو داود أن النبى ﷺ: «طاف ذات يوم على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه قال: قلت له يا رسول الله: ألا تجعله غسلاً واحداً قال: هذا أزكى وأطيب وأطهر»(٢).

ـ فما هى كيفية الاغتسال؟

ـ كيفية الغسل:

ـ يبدأ المغتسل أولاً بغسل الكفين ثلاث مرات.

ـ غسل الفرج من الإمام والخلف ـ باليد اليسرى(٣) ـ جيداً.

ـ الوضوء كوضوء الصلاة، مع ملاحظة المحافظة على الوضوء من نواقضه، وعدم مس الفرج بأى من اليدين.

ـ تخليل شعر الرأس بالأصابع ثلاث مرات، وهو أن يبلل الرجل يديه بالماء ثم يخلل شعره بأصابعه، أى أن يمرر أصابعه خلال شعره.

ـ صب ثلاث حفنات ـ ملء الكفين ـ ماء على الرأس، حتى تبتل فروة الرأس جيداً.

ـ غسل الجانب الأيمن من الجسم، يبدأ بالشق الأعلى ثم الأسفل، مع ملاحظة عدم مس الفرج كما تقدم للحفاظ على الوضوء.

ـ غسل الجانب الأيسر من الجسم، بدأ بالشق الأعلى ثم الأسفل.

ـ غمر الجسم بالماء جيداً.

ـ مع ملاحظة الاعتناء بغسل الإبط والسرة وخلف الركبة، بعدها يخرج المغتسل إلى صلاته دون الحاجة إلى الوضوء مرة أخرى.

ـ روى مسلم فى صحيحه فى كيفية اغتساله ﷺ: «إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه فى أصول الشعر حتى إذا رأى أن قد استبرأ حفن على

---

(١) تقدم.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود، والنسائى فى العشرة وغيرهما.

(٣) فقد ورد النهى عن مس الذكر باليمين.

رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه».

ولا فرق بين الرجل والمرأة فى الغسل من الجنابة، وروى مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «إنى امرأة أشد ضفرَ رأسى فأنقضه لغسل الجنابة؟ وفى رواية: «للحيضة والجنابة» قال: لا إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين»[١].

أما اغتسال المرأة من الحيض فقد اختلف أهل العلم فى وجوب نقضها لشعر رأسها، والصحيح أنها لا تنقض شعر رأسها لحديث مسلم السابق، وفى رواية له: «أفأنقضه للحيض والجنابة»..

ـ ويسأل بعضهم[٢]: جامعت زوجتى فى ثوب، ثم بعد الجماع ارتديت ذلك الثوب مرة أخرى بعد الغسل، فهل يجوز هذا منى؟

ـ **الجواب:** لا حرج فى هذا، إذا لم يصب الثوب نجاسة من المذى، وإلا فعليه غسل موضع النجاسة فقط أو نضحه بالماء، وإن أصاب جسمك «العرق» فالمسلم لا ينجس، أما إذا أصابه «المنى» فعليك بغسل مكانه أو فركه بعد أن يجف[٣].

ـ ما هو الفرق بين المذى والودى والمنى؟

ـ **أما المذى:** فماء أبيض رقيق يخرج عند التفكير فى الأمور الجنسية أو ملاعبة الزوجة، ويجب منه الوضوء لا الغسل، ونضح مكانه من الثياب بالماء.

وهنا ننبه إلى كثرة مداعبة الزوج أهله عند إزالة أو فض البكارة مما يزيد فى شهوة الزوج ويكون نزول المذى، فمن مهامه تسهيل الإيلاج.

ـ **وأما الودى:** فهو سائل أصفر غليظ يخرج عند الإمساك أو الإحساس بالثِقل، ويجب منه الوضوء أيضاً لا الغسل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩/١).

(٢) وهو أستاذ بإحدى الجامعات المصرية.

(٣) وفى المغنى (٢٢٨/٧): «ويستحب للمرأة أن تتخذ خرقة تناولها الزوج بعد فراغه فيتمسح بها، فإن عائشة قالت: ينبغى للمرأة إذا كانت عاقلة أن تتخذ خرقة، فإذا جامعها زوجها ناولته فمسح عنه ثم تمسح عنها، فيصليان فى ثوبها ذلك ما لم تصبه جنابة» وانظر «المبدع» (٢٠١/٧).

ـ **أما المنى:** فهو سائل أبيض غليظ يخرج عند الجماع وتصاحبه رعشة فى الجسم ومنه يكون الولد، ويجب منه الغسل.

ـ رجل داعب زوجته ولم يجامعها، فهل عليه غسل؟

ـ **الجواب:** إذا جامع الرجل أهله فأمذى وجب عليه الوضوء دون الغسل، وإذا داعب الرجل زوجته فقذف وجب عليه الغسل، وإن لم يولجه فيها.

ـ رجل جامع زوجته ولكنه لم يولجه فيها، فهل عليه الغسل؟

ـ **الجواب:** إذا جامع الرجل زوجته والتقى الختانان ـ أى فرج الرجل والمرأة ـ أولجه فيها ثم أو لم يولجه فيها وجب عليهما الغسل، أنزلا أم لم يُنزلا.

ـ يقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه عند البخارى ومسلم: «**إنما الأعمال بالنيات**».

● فهل يدخل جماع الزوجة فى هذا أيضاً؟

ـ نعم، فهو حديث عام جامع شامل فينوى الرجل والمرأة بالنكاح اتباع هدى الله تعالى الذى وضعه لعباده فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وقال ﷺ لمن قال: اعتزل النساء ولا أتزوج، قال: «**فمن رغب عن سنتى فليس منى**»[1].

وأن ينويا إعفاف نفسيهما والإحصان وطلب الولد لقوله تعالى: ﴿ **وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ **(البقرة: ١٨٧)**، قال بعض أهل العلم: هو الولد[2].

وليعلم الزوجين أن فى جماعهما صدقة لقول أبى ذر: «أنَّ ناساً من أصحاب النبىِّ ﷺ قالوا للنبى ﷺ يا رسول الله ذهب أهلُ الدُّثُور[3] بالأجور يُصلُّون كما نُصلِّى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إنَّ بكُلِّ تسبيحة صدقةً وكل تكبيرة صدقةً وكل تَحْميدَةٍ صدقةً وكلِّ تهليلةٍ صدقة وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ ونهىٌ عن منكرٍ صدقةٌ، وفى بُضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوتهُ ويكون له فيها أجرٌ قال أرأيتم لو وضعها فى حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجراً»[4].

---

(١) تقدم.

(٢) انظر لكاتب السسطور: رسالة «أحكام الصيام»، ط: مكتبة الدعوة بالقاهرة.

(٣) المال.

(٤) أخرجه مسلم (٢/٦٩٧).

وفى هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذى أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو إعفاف الزوجة ومعهما جميعاً من النظر إلى حرام أو التفكر فيه أو الهمّ به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة»[1].

- هل صحيح ما يشاع عند بعض الأزواج رجالاً ونساءً أن النبى ﷺ نهى عن الكلام عند الجماع؟

- الجواب: ليس بصحيح: رُوى عنه ﷺ قوله: **«لا تكثروا الكلام عن مجامعة النساء، فإن منه يكون الخرس والفأفاة»** وهو حديث ضعيف جداً[2].

- فماذا إذاً عن التجرد عند المباضعة؟

- الجواب: روى النسائى عن عبد الله بن سرجس أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أتى أحدكم أهله فليلق على عجزه وعجزها شيئاً ولا يتجردا تجرد العيرين»** قال أبو عبد الرحمن - النسائى - هذا حديث منكر وصدقه بن عبد الله - أحد رواة الحديث - ضعيف[3].

- ومثله: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، ولا يتجردا تجرد العيرين»[4]، فيه: الأحوص بن حكيم: ضعيف، والوليد بن القاسم: ضعيف أيضاً.

- ومثله ما رُوى عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها -: «ما رأيت عورة رسول الله ﷺ قط»، وفى بعض الروايات «لم ير منى رسول الله ﷺ ولم أر منه»[5].

وروى عنه ﷺ قوله: **«إذا جامع أحدكم فلا ينظر إلى الفرج، فإنه يورث العمى»** وهذا حديث موضوع[6]، وقال بعضهم: لأنه يؤدى إلى النسيان، وليس هذا بالدليل «الشرعى» الذى يدل على التحريم.

---

(١) شرح النووى (٧/٩١).
(٢) ضعيف جداً: أخرجه ابن عساكر (٥/٧٠٠).
(٣) ضعيف منكر: أخرجه النسائى فى الكبرى (٥/٣٢٧).
(٤) إسناده ضعيف: أخرجه ابن ماجه (١/٥٩٣).
(٥) أخرجه أبو نعيم (٨/٢٤٧) بسدن فيه كذاب، وهو: بركة بن محمد الحلبى.
(٦) موضوع: أورده ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٧١).

والصحيح فى هذا الأمر ما ورد عن معاوية بن حيدة قال: «يا رسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذرُ؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك، فقال الرجل يكون مع الرجل؟ قال: إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل، قلت والرجل يكون خالياً قال فالله أحق أن يُستحيا منه»(١).

وقال بعضهم:

واحــذر من الجـمـاع فى الثـيـاب فـهـو من الجـهـل بلا ارتيـاب

بل كل مـا عليـهـا ـ صـاح ـ فـانزع وكن مـلاعـبـاً لهـا لا تفـزع

وهذا يعنى الاغتسال معاً وإباحة النظر إلى فرج المرأة والعكس: فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد من الجنابة»(٢)، والتستر أولى لحديث معاوية السابق.

ـ **والمداعبة أثناء الغسل:** وعنها أيضاً ـ رضى الله عنها ـ: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بينى وبينه واحدٍ فيبادرنى حتى أقول دع لى دع لى، قالت وهما جنُبانِ»(٣).

● فماذا عن أحكام الوطء فى الدبر؟

ـ **فى أحكام الوطء فى الدبر:** ورد النهى عن وطء المرأة فى دبرها فى غير حديث صحيح، وتكلم العلماء سلفاً وخلفاً فى تحريم الوطء فى الدبر: فمنها أنه من الكبائر ومنها أنه يوجب القتل إذا كان من غلام نص عليه أحمد فى إحدى الروايتين والثانية حده حد الزانى كقول مالك والشافعى فإن كان من زوجه أو أمة أوجب التعزير وفى الكفارة وجهان: أحدهما عليه كفارة من وطىء حائضاً اختاره ابن عقيل.

والثانى: لا كفارة فيه وهو قول أكثر الأصحاب ومنها أن للزوجة أن تفسخ النكاح به وذكره غير واحد من أصحابنا وإن كان من امرأة أجنبية فاختلف أصحابنا فى حده، فالذى قاله أبو البركات وأبو محمد وغيرهما حده حد الزانى، وقال ابن عقيل فى فصوله فإن كان الوطء فى الدبر فى حق أجنبية وجب الحد الذى أوجبناه فى اللواط،

(١) صحيح: أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣٠/٦).

(٣) أخرجه مسلم.

وعلى هذا فحد القتل بكل حال وإن كان فى مملوكه فذهب بعض أصحابنا أنه يعتق عليه وأجراه مجرى المثلة الظاهرة وهو قول بعض السلف[1].

- **ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى:** «وأما الدبر فلم يبح قط على لسان نبى من الأنبياء ومن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة فى دبرها فقد غلط عليه، وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ملعون من أتى المرأة فى دبرها»**[2]، وفى لفظ لأحمد وابن ماجه: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها»[3]، وفى لفظ للترمذى وأحمد: **«من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**[4]، وفى لفظ للبيهقى: **«من أتى شيئاً من الرجال والنساء فى الأدبار فقد كفر»**[5]، وفى مصنف وكيع حدثنى زمعة بن صالح عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن الهاد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يستحيى من الحق لا تأتوا النساء فى أعجازهن»** وقال مرة: **«فى أدبارهن»**[6]، وفى الترمذى عن على بن طلق قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تأتوا النساء فى أعجازهن فإن الله لا يستحى من الحق»**[7]، وقال البغوى: حدثنا هدبة حدثنا همام قال: «سئل قتادة عن الذى يأتى امرأته فى دبرها؟ فقال: حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **«تلك اللوطية الصغرى»**[8]، وفى المسند أيضاً عن ابن عباس: «قال جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، فقال: **«وما الذى أهلكك؟»** قال: حولت رحلى البارحة، قال: **فلم يرد عليه شيئاً، فأوحى الله إلى رسوله:** ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، أقبل أدبر واتق الحيضة والدبر»[9]، وفى الترمذى عن ابن عباس مرفوعاً: **«لا ينظر الله إلى**

(١) بدائع الفوائد: (٤/٩٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/٦٢) والنسائى فى العشرة (١٢٩/١٢٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٤٤)، والترمذى (١/٢١٨).

(٤) حسن: أخرجه الدارمى وأحمد (٢/٤٠٨) والنسائى فى العشرة (٧٨).

(٥) أخرجه النسائى فى العشرة (١٣٣) مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أصبح.

(٦) أخرجه النسائى فى العشرة (١٢٢).

(٧) أخرجه الترمذى والبيهقى (٥/٣٢٤). (٨) أخرجه أحمد (٢/٢١٠).

(٩) حسن: أخرجه الترمذى (٢/١٦٢) وغيره.

رجل أتى رجلاً أو امرأة فى الدبر»[1]، وقال عبد الله بن وهب حدثنا عبد الله ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**ملعون من يأتى النساء فى محاشهن يعنى أدبارهن**»[2]، وذكر أبو نعيم الأصبهانى من حديث خزيمة بن ثابت: يرفعه: «**إن الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء فى أعجازهن**»[3] وقال الشافعى أخبرنى عمى محمد بن على بن شافع قال أخبرنى عبد الله بن على بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمة ابن ثابت: «أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن إتيان النساء فى أدبارهن فقال حلال، فلما ولى دعاه، فقال: كيف قلت فى أى الخربتين أو فى أى الخرزتين أو فى أى الخصفتين أمن دبرها فى قبلها، فنعم، أما من دبرها فى دبرها فلا إن الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء أدبارهن»[4].

قال الربيع: فقيل للشافعى: فما تقول: فقال: عمى ثقة، وعبد الله ابن على ثقة وقد اثنى على الأنصارى خيراً يعنى عمرو بن الجلاح وخزيمة ممن لا يشك فى ثقته فلست أرخص فيه بل أنهى عنه.

قلت: ومن هاهنا نشأ الغلط على من نقل عنه الإباحة من السلف والأئمة فإنهم أباحوا أن يكون الدبر طريقاً إلى الوطء فى الفرج فيطأ من الدبر لا فى الدبر فاشتبه على السامع «من» بـ «فى» ولم يظن بينهما فرقاً فهذا الذى أباحه السلف والأئمة فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه.

وقد قال تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ **(البقرة: ٢٢٢)** قال مجاهد: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ **(البقرة: ٢٢٢)**، فقال: تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها يعنى فى الحيض، وقال على بن أبى طلحة عنه: يقول فى الفرج ولا تعده إلى غيره.

وقد دلت الآية على تحريم الوطء فى دبرها من وجهين أحدهما أنه أباح إتيانها فى الحرث وهو موضع الولد لا فى الحش الذى هو موضع الأذى، وموضع الحرث هو

(١) حسن: أخرجه الترمذى (١/٢١٨) وابن حبان (١٣٠٢).

(٢) حسن: أخرجه ابن عدى (١/٣١١) وله شاهد مرفوع عند أبى داود (٢١٦٢) وأحمد (٢/٤٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢١٥) والنسائى فى العشرة (٩٦) وابن ماجه (١٩٢٤).

(٤) حسن: أخرجه الشافعى (٢/٢٦٠) والبيهقى (٧/١٩٦) والدارمى (١/١٤٥) وغيرهما.

المراد من قوله من حيث أمركم الله الآية قال: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وإتيانها فى قبلها دبرها مستفاد من الآية أيضاً لأنه قال: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أى من أين شئتم من أمام أو من خلف قال ابن عباس: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ يعنى: الفرج.

وإذا كان الله حرم الوطء فى الفرج لأجل الأذى العارض فما الظن بالحش الذى هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جداً من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان.

- وأيضاً فللمرأة حق على الزوج فى الوطء ووطؤها فى دبرها يفوت حقها ولا يقضى وطرها ولا يحصل مقصودها.

- وأيضاً فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له وإنما الذى هئ له الفرج فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعاً.

- وأيضاً فإن ذلك مضر بالرجل ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم لأن للفرج خاصية فى اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه والوطء فى الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعى.

- وأيضاً يضر من وجه آخر وهو إحواجه إلى حركات متعبة جداً لمخالفته للطبيعة.

- وأيضاً فإنه محل القذر والنجو فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه.

- وأيضاً فإنه يضر بالمرأة جداً لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر لها غاية المنافرة.

- وأيضاً فإنه يحدث الهم والغم والنفرة عن الفاعل والمفعول.

- وأيضاً فإنه يسود الوجه ويظلم الصدر ويطمس نور القلب ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فراسة.

- وأيضاً فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولابد.

- وأيضاً فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فساداً لا يكاد يرجى بعده صلاح إلا أن شاء الله بالتوبة النصوح.

- وأيضاً فإنه يذهب بالمحاسن منها ويكسوهما ضدها كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما بها تباغضاً وتلاعناً.

- وأيضاً فإنه من أكبر أسباب زوال النعم وحلول النقم فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله وإعراضه عن فاعله وعدم نظره إليه فأى خير يرجوه بعد هذا وأى شر يأمنه وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته وأعرض عنه بوجهه ولم ينظر إليه.

- وأيضاً فإنه يذهب بالحياء جملة والحياء هو حياة القلوب فإذا فقدها القلب استحسن القبيح واستقبح الحسن وحينئذٍ فقد استحكم فساده.

- وأيضاً فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئاً من الحيوان بل هو طبع منكوس، وإذا نكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى فيستطيب حينئذٍ الخبيث من الأعمال والهيئات ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

- وأيضاً فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه.

- وأيضاً فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة مالا يورثه غيره.

- وأيضاً فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء وإزدراء الناس له واحتقارهم إياه واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس، فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة فى هدية واتباع ما جاء به وهلاك الدنيا والآخرة فى مخالفة هديه وما جاء به(1).

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ **(البقرة: ٢٢٣)** الآية. وبين أن موضع الحرث موضع الولد وأن الله تعالى أباح الإتيان فيه إلا فى وقت المحيض، وأنى شئتم: من أين شئتم، قال الشافعى: وإباحة الإتيان فى موضع الحرث يشبه أن يكون تحريم إتيان فى غيره فالإتيان فى الدبر حتى يبلغ منه مبلغ الإتيان فى القبل محرم بدلالة الكتاب ثم السنة.

أخبرنا الربيع قال أخبرنا الشافعى قال: أخبرنا عمى محمد بن على بن شافع عن عبد الله بن على بن السائب عن عمرو بن أحيحة أو ابن فلان بن أحيحة بن فلان الأنصارى قال: قال محمد بن على وكان ثقة عن خزيمة بن ثابت أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن إتيان النساء فى أدبارهن فقال رسول الله ﷺ: حلال، ثم دعاه أو أمر به فدعى، فقال: كيف قلت فى أى الخربتين أو فى أى الخرزتين أو فى الخصفتين أمن

(١) زاد المعاد (٤/٣٥٤) بتصرف.

دبرها فى قبلها فنعم أم من دبرها فى دبرها فلا إن الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء فى أدبارهن[1].

قال الشافعى: فأما التلذذ بغير إبلاغ الفرج بين الإليتين وجميع الجسد فلا بأس به إن شاء الله تعالى، قال: وسواء هو من الأمة أو الحرة فإذا أصابها فيما هناك لم يحللها لزوج إن طلقها ثلاثاً ولم يحصنها ولا ينبغى لها تركه وإن ذهبت إلى الإمام نهاه فإن أقر بالعودة له أدبه دون الحد ولا غرم عليه فيه لها لأنه زوجة ولو كان فى زنا حد فيه إن فعله حد الزنا وأغرم إن كان غاصباً لها مهر مثلها قال ومن فعله وجب عليه الغسل وأفسد حجه[2].

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره: عن عبد الرحمن قال لابن عمر: إنا نشترى الجوارى أفنحمض لهن؟ فقال: وما التحميض؟ فذكر له الدبر، فقال ابن عمر: أف أف، وهل يفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم فقال مالك أشهد على ربيعة لأخبرنى عن أبى الحباب عن ابن عمر مثل ما قال نافع، وروى النسائى[3] عن سعيد بن يسار قال: قلت لابن عمر إنا نشترى الجوارى أفنحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ قلت: نأتيهن فى أدبارهن، فقال: أف أف، أو يعمل هذا مسلم؟ فقال لى مالك: فأشهد على ربيعة لحدثنى عن سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال: لا بأس به.

وروى النسائى[4] أيضاً من طريق يزيد بن روما عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن ابن عمر كان لا يرى بأساً أن يأتى الرجل المرأة فى دبرها.

وروى معن بن عيسى عن مالك أن ذلك حرام[5] وقال أبو بكر بن زياد النيسابورى حدثنى إسماعيل بن حصن حدثنى إسرائيل بن روح سألت مالك بن أنس ما تقول فى إتيان النساء فى أدبارهن قال: ما أنتم إلا قوم عرب هل يكون الحرث إلا موضع الزرع؟ لا تعدوا الفرج قلت: يا أبا عبد الله إنهم يقولون إنك تقول ذلك، قال: يكذبون على يكذبون علىّ.

فهذا هو الثابت عنه وهو قول أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وأصحابهم

(١) تقدم.
(٢) الأم (٥/٩٤).
(٣) فى العشرة (٩٣).
(٤) فى السابق (٩٤) بسند ضعيف.
(٥) السابق ٩٤).

قاطبة وهو قول سعيد بن المسيب وأبى سلمة وعكرمة وطاووس وعطاء وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير ومجاهد بن جبر والحسن وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء وقد حكى فى هذا شىء عن بعض فقهاء المدينة حتى حكوه عن الإمام مالك وفى صحته نظر، قال الطحاوى: روى أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال: ما أدركت أحداً أقتدى به فى دينى يشك أنه حلال يعنى وطء المرأة فى دبرها ثم قرأ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، ثم قال فأى شىء أبين من هذا، هذه حكاية الطحاوى، وقد روى الحاكم والدارقطنى والخطيب البغدادى عن الإمام مالك من طرق ما يقتضى إباحة ذلك ولكن فى الأسانيد ضعف شديد وقد استقصاها شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى جزء جمعه فى ذلك والله أعلم.

وقال الطحاوى: حكى لنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنه سمع الشافعى يقول ما صح عن النبى ﷺ فى تحليله ولا تحريمه شىء، والقياس أنه حلال، وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب عن أبى سعيد الصيرفى عن أبى العباس الأصم سمعت محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعى يقول فذكره، قال أبو نصر الصباغ كان الربيع يحلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد كذب يعنى ابن عبد الحكم على الشافعى فى ذلك لأن الشافعى نص على تحريمه فى ستة كتب من كتبه والله أعلم[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٦/١) بتصرف.

- إنما أطلت قليلاً فى هذا الباب لعموم البلوى به بين كثير من الناس، بل وصل الأمر ببعض الفتيات إلى طلب معاشرة «خطيبها» لها من الدبر حتى «تحافظ على شرفها وعفتها»!! ، ولا تدرى المسكينة ما الذى تجنيه على نفسها بهذه الفعلة عاجلاً، وعند زواجها - إن تزوجت - آجلاً، ولسوف تجنى ثمرة تلك الفعلة فى حينها! هذا مع انتشار العرى والخلاعة والميوعة وأشرطة الجنس المتنوعة المبثوثة عبر «الدش» و«الإنترنت» وغيرهما.

ولقد حادثتنى - هاتفياً - مرة إحدى الزوجات تشكو من عدم استمتاعها بالمعاشرة الزوجية - فى موضع الولد - بعد أن دأب زوجها على جماعها من الدبر، فلم تعد تجد لذة فى جماع القبل، وذلك بعد أن علمت حرمة نكاح الدبر!! وحادثتنى - هاتفياً - زوجة أخرى تشكو من عدم استطاعة جلوس أختها على مقعدتها بعدما دأب زوجها على جماعها فى الدبر، وكان هذا من أسباب طلاقها!!

ومرد هذا لغياب الوعى الدينى والفهم الصحيح لآراء أهل العلم وجمهور العلماء، ومحاولة البعض تتبع القول الشاذ والأخذ به، هذا وقد قال أعلم الحديث بأن نكاح الدبر يؤدى إلى «توسعة» =

فماذا إذن عن أحكام الحيض؟

ـ أحكام الحيض:

قال الشافعى رحمه الله تعالى: قال الله عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ (البقرة: ٢٢٢) الآية، قال: فزعم بعض أهل العلم بالقرآن أن قول الله عز وجل حتى يطهرن حتى يرين الطهر: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٢٢) أن تجتنبوهن.

قال: وما أشبه ما قال والله تعالى أعلم بما قال ويشبه أن يكون تحريم الله عز وجل إتيان النساء فى المحيض لأذى المحيض[(١)]، وإباحته إتيانهن إذا طهرن وتطهرن بالماء من الحيض على أن الإتيان المباح فى الفرج نفسه كالدلالة على أن إتيان النساء فى أدبارهن محرم.

قال: وفيه دلالة على أنه إنما حرم إتيان النساء فى دم الحيض الذى تؤمر فيه المرأة بالكف عن الصلاة والصوم ولم يحرم فى دم الاستحاضة، لأنها قد جعلت فى دم الاستحاضة فى حكم الطاهر يجب عليها الغسل من دم الحيض ودم الاستحاضة قائم والصلاة والصيام عليها، فإذا كانت المرأة حائضاً لم يحل لزوجها أن يصيبها الا إذا طهرت حتى تطهر بالماء ثم يحل له أن يصيبها.

قال: وإن كانت على سفر ولم تجد ماء فإذا تيممت حل له أن يصيبها ولا يحل له إصابتها فى الحضر بالتيمم إلا أن يكون بها قرح يمنعها الغسل فتغسل فرجها وما لا قرح فيه من جسدها بالماء ثم تتيمم ثم يحل له إصابتها إذا حلت لها الصلاة، ويصيبها فى دم الاستحاضة إن شاء وحكمه حكم الطهارة قال وبين فى الآية إنما نهى عن إتيان النساء فى المحيض ومعروف أن الإتيان فى الفرج لأن التلذذ بغير الفرج فى شىء من

= فتحة الشرج لدى المرأة مما يجعلها لا تتحكم فى إخراج الفضلات، فتتساب منها مما يؤدى بدوره إلى النجاسة الحسية التى تبطل معها الصلاة، مع نفاذ الرائحة، نعوذ بالله تعالى.

(١) وقد أثبت العلم الحديث أن أعضاء التناسل عند المرأة وقت الحيض تكون فى حالة احتقان، والأعصاب مضطربة بسبب إفرازات الغدد الداخلية، والجماع وقتها يضر بها، وأدى إلى التهاب الأعضاء التناسلية عندها، وربما أدى إلى منع نزول دم الحيض مع وجود المواد السامة فيه مما يضر بجسم المرأة.

الجسد ليس إتياناً ودلت سنة رسول الله ﷺ على أن للزوج مباشرة الحائض إذا شدت عليها إزارها والتلذذ بما فوق الإزار مفضياً إليها بجسده وفرجه فذلك لزوج الحائض وليس له التلذذ بما تحت الإزار منها[1].

ـ ثم قال رحمه الله تعالى:

ـ باب الاستمناء قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ (المؤمنون: ٥، ٦) قرأ إلى: ﴿ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: ٧)، قال الشافعي فكان فيما ذكر من حفظهم لفروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم تحريم ما سوى الأزواج، وما ملكت الأيمان وبين أن الأزواج وملك اليمين من الآدميات دون البهائم ثم أكدها فقال عز وجل فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون فلا يحل العمل بالذكر إلا فى الزوجة أو فى ملك اليمين ولا يحل الاستمناء والله تعالى أعلم[2].

ـ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها، أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»**[3].

ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: «أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأةٌ أخرجوها من البيتِ ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها فى البيت فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ: **«جامعوهن فى البيوت واصنعوا كل شىء غير النكاح»** فقالت اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعبادُ ابنُ بشر إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلاً ننكحهن فى المحيض فتمعَّرَ وجهُ رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد[4] عليهما فخرجا فاستقبلتهما هديةٌ من لبنٍ إلى رسول الله ﷺ فبعث فى آثارهما فظننَّا أنه لم يجد عليهما»[5].

---

(١) الأم (٥/٩٣). (٢) الأم (٥/٩٤).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذى وغيرهم.

(٤) أى: غضب. (٥) أخرجه مسلم وغيره.

فما للزوج من زوجته إذا حاضت؟

- اليهود نبذوا المرأة عند الحيض فلا يؤاكلوها ولا يساكنوها ولا يجامعوها، والنصارى على خلاف ذلك، فتجامع وقت الحيض، بينما الإسلام نهى عن نبذها وعن جماعها وقت الحيض.

فللزوج من زوجته إذا حاضت أن يصنع كل شيء ويستمتع بها إلا النكاح، قال رسول الله ﷺ: **«اصنعوا كل شيء غير النكاح»**[1].

وصح عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يأمر إحدانا إذا كانت حائضاً أن تأتزر، ثم يضاجعها زوجها، وقالت مرة: يباشرها»[2].

وقالت أيضاً: «كنت أشرب وأنا حائض فيضع -ﷺ- فاه على موضع فى، وأتعرق العرق ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فى»[3].

فإذا طهرت من حيضها كما تقدم عند الشافعى رحمه الله تعالى فله أن يأتيها بعد أن تغتسل أو تتوضأ أو أن تغسل موضع الدم فقط كما تقدم، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ **(البقرة: ٢٢٢)**.

ويقول الحافظ شمس الدين بن القيم رحمه الله وقد تقدم فى الصحيحين حديث عائشة: «كنت أعشق أنا والنبى ﷺ من إناء كلانا جنب»[4]، و«كان يأمرنى فأتزرُ فيُباشرنى وأنا حائض»[5].

قال الشافعى قال بعض أهل العلم بالقرآن فى قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ **(البقرة: ٢٢٢)**، يعنى فى موضع الحيض.

وكانت الآية محتملة لما قال ومحتملة إعتزال جميع أبدانهن فدلت سنة رسول ﷺ على اعتزال ما تحت الإزار منها وإباحة ما فوقه.

وحديث أنس هذا ظاهر فى أن التحريم إنما وقع على موضع الحيض خاصة وهو النكاح وأباح كل ما دونه.

(١) أخرجه البخارى ومسلم.
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) تقدم.
(٥) تقدم.

وأحاديث الإزار لا تناقضه لأن ذلك أبلغ فى اجتناب الأذى وهو أولى وأما حديث معاذ قال: «سألت رسول الله ﷺ عما يحل للرجل من امرأته وهى حائض فقال ما فوق الإزار والتعفف عن ذلك أفضل»[١] ففيه بقية عن سعد الأغطش وهما ضعيفان.

قال عبد الحق: رواه أبو داود، ثم قال: ورواه أبو داود من طريق حزام بن حكيم وهو ضعيف عن عمه أنه سأل رسول الله ﷺ: «ما يحل لى من امرأتى وهى حائض فقال لك ما فوق الإزار»[٢] قال ويروى عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ ذكره أبو بكر بن أبى شيبة وليس بقوى[٣].

ـ فمن لم يملك نفسه ووقع على زوجته فى الحيض أو النفاس، فما الكفارة عليه؟

ـ **الجواب**: عليه أولاً أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه من هذا الفعل، ثم عليه أن يتصدق بدينار أو نصف دينار، لحديث الإمام أحمد وغيره أن كفارة من وقع على أهله فى الحيض التصدق بدينار أو نصف دينار.

ـ هل تطلق منه زوجته؟

ـ **الجواب**: لا، لكن إن علم القاضى منهما ذلك فله أن يطلق، على قول بعض أهل العلم.

ـ فكيف تتطهر المرأة من الحيض؟

ـ **الجواب**: سئل ﷺ عن غسل المرأة من الحيض فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكةً فتطهر بها فقالت أسماء وكيف تطهرُ بها فقال سبحان الله، فقالت عائشة: تتبَّعينَ أثر الدم»[٤].

ـ فكيف تعتنى المرأة بنظافتها والمحافظة على أعضائها التناسلية؟

ـ **الجواب**: لقد حث الإسلام على النظافة، من حسن الملبس والتسوك والاغتسال والوضوء والطهر ونحو هذا، ومن المقرر أن النظافة الجنسية من الأمور الهامة جداً،

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٢١٣) وضعفه فيه بقية بن الوليد وسعد الأغطش: كلاهما: ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٣٤٢/٤) وأبو داود (٢١١) والترمذى (١٣٣) وابن ماجه (٦٥١) بسند ضعيف، فيه: حزام بن حكيم: ضعيف.

(٣) حاشية أبى داود (١٤٢/٦).

(٤) أخرجه مسلم.

وإهمال المرأة فى نظافتها ونظافة أعضائها التناسلية قد يسبب لها الكثير من المشاكل، خاصة عند الجماع، والمرأة بطبيعتها رقيقة ناعمة حالمة تحب الجمال والزينة، فهى تدفع ربع عمرها فى التزين وإنتقاء ملابسها، فهى لا تشعر بالوقت أمام المرآة أو عند اختيار لباس جديد لها، فجمالها أهم عندها من اكتشافات أحمد زويل مثلاً! ورغم ذلك إلا أن هناك بعض الفتيات والنساء قد أهملن العناية بأعضائهن التناسلية مما سبب لهن الكثير من المشاكل المرضية كالسيلان ونحوه، ونفور الزوج وكراهية الجماع إذا كانت متزوجة[1].

ومن المقرر أن الأعضاء التناسلية عند الرجل أسهل نظافة منها عند المرأة.

- فماذا إذا مصَّ الرجل ثدى زوجته فنزل فى حلقه بعض اللبن، فهل تحرُم عليه؟

- الجواب: لا تحرُم عليه.

- هل لشعر العانة فوائد جنسية؟

- الجواب: نعم، فلم يخلق الله تعالى شيئاً عبثاً، أو بدون حكمة، كيف وهو خلق الإنسان فى أحسن تقويم، كيف وهو العليم الحكيم؟! ونحن وإن لم نعرف الفوائد أو الحكم فى بعض ما نرى، فلا يعنى هذا أنه مخلوق سدى، ولو نظر الإنسان فى نفسه لرأى عجباً قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١)، ففى خلق الوجه بهذه الكيفية، وهذه الأنف بفتحتين - إلى أسفل - والأذنين بفتحتين - على الجانبين - والعينين بغطائهما - دون الأنف أو الأذنين! - والشعر على الرأس، وعلى ظهر الكف دون باطنه! والشعر تحت الإبط وحول الفرج! والفرج بهذا الشكل العجيب ومكانه المحفوظ فيه - للرجل والمرأة - بخلاف الحيوانات وغير هذا، هى دعوة من الله تعالى للتأمل والتفكر، وإذا علم الإنسان الفائدة فى بعض هذه الأشياء وظهرت له أو لم تظهر

---

(١) لقد عرض علىّ أحدهم مرة رغبته فى طلاق زوجته، ولم يكن قد مرَّ على زواجه أكثر من بضعة شهور! فلما سألته عن السبب استحى قليلاً من الإجابة ثم أفصح بالسبب الذى دعاه إلى التفكير فى الطلاق، وهو أن «الشعر» فى جسد زوجته - وفى أماكن بعينها - يصل طوله إلى أكثر من (٣سم)! مما يشعره بالقرف كلما فكر فى الاقتراب منها.

وقد صحَّ الحديث عن النبى ﷺ بحلق شعر العانة: «الفطرة خمس: الاختتان والاستحداد - وفى رواية: حلق العانة - وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط»، وقد تقدم تخريجه.

فعليه أن يعلم أنها لم تخلق سدى بل لحكمة، بل لحِكم عظيمة.

فمن فوائد شعر العانة ووظائفه الصحية: إمتصاص العرق، حيث أن هذه المناطق غير معرضة للهواء، فمفرزات العرق فيها أكثر من غيرها، فيقوم الشعر حول الفرج بامتصاص هذا العرق، كما أنه يحول بين احتكاك جلد الصفن بالفخذين، فلا يسبب التسلخ فى هذه المناطق الحساسة.

كما أن له فائدة جنسية، حيث أن احتكاك شعر العانة عند الرجل بالأعصاب الجساسة الموجودة فى البظر عند المرأة يُشعرها باللذة والنشوة مما يعجل بالإنزال عندها.

ـ هل لنا فى بيان بعض حكم ختان البنات ـ خاصة ـ بإيجاز، فنحن نعلم وجوبه للرجال، ولكن كثر الحديث عن ختان البنات فى الآونة الأخيرة، فلزم البنات؟

ـ **الجواب:** لقد صح عن النبى ﷺ الأمر بالختان فى غير حديث صحيح، ويكفى فى بيان وجوبه على الرجال والنساء قوله: «**إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل**»، وفيه الإشارة إلى ختان الرجل والمرأة فتأمل، وقوله: «**الفطرةُ خمسٌ أو خمسٌ من الفطرةِ الختان والاستحداد[1] ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب**»[2]، وهذا حدث عام فى الرجال والنساء، والفطرة هى ما فطر الله الناس عليها وهى أصل الخلقة قال تعالى: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ (الروم: ٣٠)، وتقدم قوله ﷺ: «**النساء شقائقُ الرجال**»[3].

وفى فقه الإمام أبى حنيفة: أن الختان للرجال سنة، وهو من الفطرة، وللنساء مكرمة[4]، فلو اجتمع أهل مصر (بلد) على ترك الختانِ قاتلهم الإمام، لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه[5].

وفى فقه الإمام الشافعى: أن الختان واجب على الرجال والنساء[6].

(١) أى حلق شعر العانة. (٢) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى.

(٣) تقدم.

(٤) أى حفظاً وصوناً لهن، فالجلدة التى عند المرأة إذا لم تقطع كبرت حتى صارت كالعُقلة أو الإصبع الذى يحتك بفرج المرأة مما يثير شهوتها.

(٥) انظر: المهذب للشيرازى (١/١٩٧).

(٦) المغنى لابن قدامة (١/٧٠).

وقد استدل الفقهاء على خفض ـ ختان النساء بحديث أم عطية ـ رضى الله عنها ـ قال: كانت امرأة تختن بالمدينة، فقال لها النبى ﷺ: **«لا تنهكى، فإن ذلك أحظى للزوج وأسرى للوجه»** وفى رواية: أنه ﷺ لما هاجر النساء كان فيهن أم حبيبة وقد عُرفت بختان الجوارى، فلما رآها رسول الله ﷺ قال لها: **«يا أم حبيبة: هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم؟ فقالت: نعم يا رسول الله، إلا أن يكون حراماً فتنهانى عنه، فقال رسول الله ﷺ: بل هو حلال، فادن منى حتى أعلمك، فدنيتُ منه فقال: يا أم حبيبة، إذا أنت فعلت فلا تنهكى[1]، فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج»**[2].

ـ هل للحائض أو النفساء أن تقرأ القرآن؟

ـ **الجواب:** قال بعض أهل العلم بجوازه، ومنعه بعضهم، وإن كان لضرورة كالتعليم أو الاستذكار مثلاً فلا حرج.

ـ وماذا عن الجنب؟

ـ **الجواب:** للجنب أيضاً أن يقرأ القرآن لقول أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ كان يذكر الله على كل أحواله، وكان من أحواله ﷺ أنه كان ينام جنباً، ثم يغتسل قبل الفجر، وكان يقرأ بعض السور قبل النوم، وقد منع بعض أهل العلم الجنب من قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب، والله أعلم.

ـ **تنبيه:** ولما كان الحديث عن الحيض وأحكامه أردت التنبيه أيضاً إلى مشكلة تقع فيها بعض فتياتنا عند اقتراب موعد الزفاف، وهى تحرج بعض الفتيات من الإفصاح عن موعد «الدورة الشهرية» لأمها وتزامنها مع موعد الزفاف، مما يؤدى بدوره إلى الوقوع فى الحرج للزوجة والزوج، فلا تتحرج الفتاة من إخبار أمها بموعد الدورة إذا تزامن مع موعد الزفاف، فيتم التأجيل لبعض الوقت حتى تنتهى الدورة، تفادياً للحرج.

ـ فهل للنفساء أن تصلى وتصوم ويجامعها زوجها إذا طهرت قبل الأربعين؟

---

(١) أى لا تبالغى فى القطع.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود بسند فيه: محمد بن حسان ضعيف، وله شاهد من حديث أنس ومن حديث أم أيمن عند أبى الشيخ فى كتاب «العقيقة»، وآخر عن الضحاك بن قيس عند البيهقى، انظر: «فتح البارى» (١٠/٢٦٣)، ويكفى له حديث: «الفطرة خمس، وإذا التقى الختانان».

- **الجواب:** نعم، إذا طهرت النفساء قبل الأربعين اغتسلت وتطهرت وحلت لزوجها، وعليها الصلاة والصوم، فليس للنفاس وقت معين.

- **فما هو حكم العزل[1] عن الزوجة:**

- **الجواب:** للرجل أن يعزل عن زوجته ماءه، على أن يكون بموافقة الزوجة، حتى لا يكون هاضماً لحقها:

- فقد روى البخارى ومسلم عن جابر قال: «كنا نعزل على عهد النبى ﷺ»[2].

وعن أبى سعيد الخدرى قال: أصبنا سبياً فكنا نعزل فسألنا رسول الله ﷺ فقال: **«أو إنكم لتفعلون قالها ثلاثاً ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هى كائنة»**[3].

- وعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إن لى جارية هى خادمنا وسانيتنا[4] وأنا أطوف عليها، وأنا أكره أن تحمل، فقال: أعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدر لها، فلبث الرجل، ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حبلت! فقال: قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها[5].

وقد اختلف السلف فى حكم العزل قال ابن عبد البر: لا خلاف بين العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها لأن الجماع من حقها ولها المطالبة به وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلحقه عزل ووافقه فى نقل هذا الإجماع بن هبيرة، وتُعقب بأن المعروف عند الشافعية أن المرأة لا حق لها فى الجماع أصلاً.

وقد استنكر ابن العربى القول بمنع العزل عمن يقول بأن المرأة لا حق لها فى الوطء ونقل عن مالك أن لها حق المطالبة به إذا قصد بتركه أضرارها، وعن الشافعى وأبى حنيفة لا حق لها فيه إلا فى وطئة واحدة يستقر بها المهر قال فإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون لها حق فى العزل فإن خصوه بالوطئة الأولى فيمكن وإلا فلا يسوغ فيها بعد ذلك إلا على مذهب مالك بالشرط المذكوا، اهـ[6].

---

(١) العزل: هو أن يجامع الرجل أهله فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج.

(٢) أخرجه البخارى (٩/٢٥٠) ومسلم (٤/١٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤/١٥٨).

(٤) أى التى تسقى لنا النخل.

(٥) أخرجه مسلم (٤/١٦٠).

(٦) فتح البارى (٥/١٩٩٨) بتصرف.

- هذا ومن الأولى ترك العزل لما تقدم ولقوله فى الحديث العام: **«تزوجوا الولود الودود فإنى مُكاثرٌ بكم»**[1].

- ما حكم تعاطى أو استعمال وسائل منع الحمل؟

- **الجواب:** لا حرج فى استعمال المرأة لوسائل منع الحمل إذا كان الحمل ضاراً بصحة المرأة، أو كان للمحافظة على أولادها ورعايتهما الرعاية الصحية والنفسية والتربوية الصحيحة، لا خوفاً من الفقر أو الانفجار السكانى إلى آخر تلك المصطلحات.

- فماذا عن وطء المرضعة؟

- **الجواب:** لا حرج فيه لقوله ﷺ فى الحديث الصحيح: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم»[2].

ولا ريب أن وطء المراضع مما تعم به البلوى ويتعذر على الرجل الصبر عن امرأته طيلة فترة الرضاع، ولو كان حراماً لنُقل إلينا، ولوصل إلينا بيانه عن الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين.

- هل صحيح ما يشاع أن عضو الذكورة الكبير يمتع ويشبع المرأة جنسياً أكثر من العضو الصغير؟

- لا صحة لهذا القول طبياً أو عملياً، فمهبل المرأة يشبه (القفاز الطبى) البلاستيك، فترى هذا القفاز منكمشاً عند تركه، ثم إذا أردت أن تدخل فيه إصبعك تمدد له كلما زاد الإصبع إدخالاً، أو هو - مهبل المرأة - يشبه الثنايا المتراكبة بعضها فوق بعض (مثل ثنايا جسم الدودة) كذا مهبل المرأة له الخاصية التى بها يستمتع بالعضو الكبير استمتاعه بالعضو الصغير، فالرجل ذو العضو الذكرى الصغير إذا أولجه فى فرج المرأة شعرت المرأة أن هذا العضو قد وصل إلى قعر المهبل وآخره، وكذا صاحب العضو الذكر الكبير، يزداد المهبل اتساعاً (كأصبع القفاز) لهذا العضو، وعليه فلا فرق بين العضو الكبير والصغير فى شعور المرأة بالاستمتاع الجنسى سواء كان العضو كبيراً أو صغيراً، هذا والعضو الذكرى عند الرجل يتراوح عادة بين (١٢ - ١٦سم) فى حالة

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١/٣٢٠) والنسائى (٢/٧١) وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم.

الانتصاب، ومحيطه ما بين (١٠ - ١٢سم) وما زاد عن ذلك فهو نادر وشاذ.

- بل إن العضو الذى يزيد عن معدله الطبيعى يؤدى إلى آثار سلبيه عند المرأة، فقد يؤدى إلى دفع الرحم وحدوث انقلاب فيه، فتشكو آلام الظهر والحوالب وأسفل البطن، وقد يسبب تمزق فى جدران المهبل الداخلية مما يتطلب تدخلاً جراحياً، وقد يسبب شقوقاً فرجية وأنزفة يعلمها الأطباء.

- فهل حقاً ما تتناقله الفتيات فى مجالسهن أن الرجل صاحب الجسم الضخم ذو العضلات المفتولة أقوى جنسياً من غيره؟

- القوة الجنسية تعتمد على أمور كثيرة منها الإفرازات الناتجة عن الغدد المسئولة عن العملية الجنسية، الثقافة الجنسية عند الرجل، استعداد المرأة لهذا الأمر، الاستعداد النفسى والعاطفى لكل منهما، وغير ذلك الكثير، أما الرجل صاحب العضلات المفتولة فقد لا تفرز الغدد عنده المسئولة عن العملية الجنسية نفس النسبة التى تفرزها الغدد عند غيره، بل أقل من ذلك، فقوة العضلات أو ضعفها ليست مقياساً، وإنما أقول أن الرجل الرياضى أفضل من غيره من الناحية الجنسية إذا توفرت له الأسباب المتوفرة لغيره ممن لا يمارسون رياضة، سواء أكانت تلك الرياضة عنيفة أم لا.

- هل حقاً أن الرجل غزير الشعر أقوى جنسياً من غيره، كما يقولون أن «المشعر حبيب الرحمن»؟

- **الجواب:** هذا كلام غير صحيح، وكم من رجل مشعر على غير ملة الإسلام، فهل يكون حبيباً للرحمن لكونه فقط «مشعر».

- هل للعادة السرية أضراراً على العملية الجنسية بعد الزواج؟

- إن ممارسة العادة السرية عند بعض الشباب هى تخيل صور ومشاهد جنسية يعيشها الشخص بخياله بعيداً عن الواقع، وقد يندفع الشخص ويلهث وراء تلك التخيلات وينسى واقعه فيؤدى به إلى كثير من المشاكل، سواء قبل الزواج فيستغنى بالعادة السرية عن الزواج، أو بعد الزواج فلا يستطيع الجماع ولا يستمتع به استمتاعه بممارسة العادة السرية، ومنهم من أراد أن يجامع أهله ذهب إلى «الحمام» لممارسة

العادة! بعد أو قبل الجماع! وبعضهم يذهب بعقله أثناء الجماع إلى تخيل نفس الصور التى كان يتخيلها وقت ممارسة العادة، مما قد يوقعه فى «الزنا» على قول بعض أهل العلم، وقد ثبت علمياً أن العادة السرية تؤدى إلى أمراض كثيرة قد لا يظهر أثرها إلا بعد الزواج، منها:

- موت الحيوانات المنوية عند الرجل أو أكثرها.
- أنها تسبب رعشة فى بعض الأعضاء كالرجلين.
- أنها تؤثر فى الغدد المخية فتضعف القوة المدركة فتسبب قلة الفهم ونسبة الذكاء.
- أنها: تورث ألماً فى فقار الظهر، وهو اللب الذى يخرج ماء الرجل.
- أنها تسبب انحناء فى الظهر.
- أنها تؤثر فى الأعصاب عامة.
- أنها: تُحل ماء الرجل بعد أن كان ثخيناً غليظاً، فيصبح رقيقاً خالياً من الحيوانات المنوية.

ويكفى هذا الأمر فى الإقلاع عنها (طبياً)، كما يسبب الإفراط فى العادة السرية عند الرجل إلى سرعة القذف فى بعض الحالات، وعدم انتصاب العضو كما ينبغى عند المعاشرة الجنسية وغير هذا الكثير.

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى تحريم العادة السرية ويكفى هذا فى الإقلاع عنها (شرعاً).

- قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المعارك: ٢٩ - ٣١)**، أثنى تعالى على من حفظ فرجه فلم يقض وطره إلا مع زوجته أو ما ملكت يمينه (الإماء)، وحكم تعالى أن من ابتغى وراء ذلك فهو عاد معتد لحدود الله تعالى: **﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩)**.

- روى عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد قال: سُئل ابن عمر عن الاستمناء فقال: ذلك نائك نفسه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما الإستمناء باليد فهو حرام عند جمهور العلماء وهو أصح القولين فى مذهب الإمام أحمد وكذلك يعزز من فعله، وفى القول الآخر - عن الإمام أحمد - وهو مكروه غير محرم وأكثرهم لا يبيحونه خوف العنت(١).

- وقد تقدم قول الشافعى رحمه الله تعالى.

ويقول الإمام القرطبى فى تفسيره(٢):

قال محمد بن عبد الحكم: سمعت حرملة بن عبد العزيز قال: سألت مالكاً عن الرجل يجلد عميرة(٣) فتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَادُونَ﴾ وهذا لأنهم يكنون عن الذكر بعميرة، وفيه يقول الشاعر:

إذا حللت بواد لا أنيس به … فاجلد عميرة لأداء ولا حرج

ويسميه أهل العراق: الاستمناء وهو استفعال من المنى، وأحمد بن حنبل على ورعه يجوزه ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة أصله الفصد والحجامة، وعامة العلماء على تحريمه.

وقال بعض العلماء: إنه كالفاعل بنفسه وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قيلة وياليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها.

- فما هى كيفية العلاج لمن ابتلى بهذا الأمر؟

- نقول له: طرق العلاج كثيرة، وكان هناك من يدمن تلك العادة السيئة، وما كان أيسر إقلاعه عنها بفضل الله تعالى وتيسيره، وذلك لمن أخلص النية وطلب الرضوان، ومن هذه الطرق:

١ - الصيام: لقوله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاءٌ»**(٤)، ولا تستهن

(١) مجموع الفتاوى (٣١/٣٢٩).

(٢) تفسير القرطبى (١٢/١٠٥) وانظر المغنى لابن قدامة، وتفسير أضواء البيان للشنقيطى (٥/٧٦٩).

(٣) أى عضوه.

(٤) أخرجه البخارى (٥/١٩٥٠)، ومسلم (٢/١٠١٨).

بالصيام، فإن له تأثيراً عجيباً فى رفع تلك العادة لا يعلمه إلا من أخلص الصيام والدعاء والنية.

٢ ـ معرفة سوءها من اسمها (العادة السيئة)! ولا تخلف على تركها ولا تنذر، حتى يدخل عليك الشيطان إذا أنت فعلتها مرة أخرى، فيوسوس إليك بأن الحلف لم يأت بثمرة، أو أن يوسوس إليك أنك تستهين بالحلف أو النذر، وأنه لا طاقة لك على تركها رغم الحلف والنذر، ثم يدخل إليك بوسوسته فتترك الصلاة أو الصيام أو مصاحبة الصالحين، واعلم أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وما هى إلا لحظة يعقبها فرح أو ترح.

٣ ـ تجنب الوحدة، فمن شعر بالحاجة إلى ممارسة تلك العادة السيئة خرج إلى المسجد فجلس فيه حتى يهرب منه شيطانه، وهكذا حتى يضنيه، أو إلى صديق يجالسه.

٤ ـ دفع تلك الخواطر عن رأسه حتى لا تتحول الخطرات إلى أفكار، ثم إرادات، وذلك يتأتى بانشغال الفكر فى عاقبة تلك العادة من سوء، وأنها مجرد لحظات يشعر بعدها العبد بالندم، ولو أنه تمهل وتماسك قليلاً ما أقدم عليها.

٥ ـ التقرب إلى الله تعالى بالصلاة وقراءة القرآن، والدعاء برفع ذلك الأمر عنه، وما أسرع دعوة المكروب المضطر إلى الإجابة.

٦ ـ **غض البصر:** وتجنب المثيرات من المنظورة والمسموعة والمقروءة، واعلم أن غض البصر من أهم الأسباب التى تنأى بصاحبها عن الوقوع فى الرذيلة، فكلما علا البصر تعلق القلب بالمنظور وطلبه واشتهاه، وإذا لم يجد إليه سبيلاً انصرف إلى ما هو دونه، محاولاً استفراغ الطاقة، والمرء لا يحتاج من الطريق إلا بضعة خطوات أمام قدميه، ومن جعل له «ورداً» يقراءه فى يومه وليلته ـ خاصة فى الطريق ـ انشغل به عن النظر، وكان قلبه مشغولاً بالخالق، وأصبح المخلوق له ـ فى الطريق ـ أشباح لا يرى منها ما يتعلق به بالقلب، وانصرف بقلبه إلى مراجعة ما يحفظ من كتاب الله تعالى، أو الإتيان بالورد والأذكار، ولو تفكر العبد قليلاً فيما يجنيه عليه بصره، وما يفوته من عتق الرقاب ومحو السيئات وتحصيل الحسنات ورفع الدرجات بالقرآن والأذكار لتنغصت عليه حياته وما تعلق قلبه بغير الله تعالى وذكره ومحاولة التقرب إليه تعالى.

٧ ـ ممارسة الرياضة، ومحاولة التقدم إلى أعلى مستواياتها، ومعرفة أن تلك العادة تذهب بتعبك واجتهادك وتقف حائلاً بينك وبين وصولك إلى ما تريد من مركز مرموق فى تلك الرياضة.

٨ ـ اعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه، فماذا لو أنك متَ وأنت تفعل تلك الفعلة؟! اللهم أحسِن خاتمتنا.

٩ ـ **الثقة بالنفس:** واعتزاز الشاب بنفسه وطلبه الوصول إلى أفضل المراتب وأعلاها مما يؤهله إلى التعجيل بالزواج واختيار الأنسب له والأفضل بناء أسرة إسلامية.

ـ واعلم أخى أن أفضل من ممارسة تلك العادة هو الزواج والتعجيل به، وهو أفضل الطرق لإشباع تلك الرغبة الكامنة وقتما تشاء ليلاً أو نهاراً، مرة أو أكثر، ولك أن تتخيل أنك وقتماً تريد ممارسة الجنس والجماع تستطيع هذا وقتما تشاء ودون حرج، بل ولك الأجر فى هذا، بينما هناك من يريد إشباع غريزته فيذهب إلى ممارسة العادة وتخيل الصور المثيرة بينما يستطيع أن يمارس الجنس دون الحاجة إلى تخيل الصور المثيرة وإثارة نفسه وأعضائه، بل وملامسة جسد المرأة ونكاحها! أو يضطر إلى «خطف» فتاة من الطريق لإرواء لحظات تأتى بعدها الحسرة والندامة، وكل رجل منَّ الله عليه بالزواج ليستغرب مثل تلك الأفعال من الشباب الذين يلجأون إلى خطف الفتيات من الطريق وانتهاك أعراضهن ـ والعياذ بالله تعالى ـ لمجرد لحظات قليلة، بينما الطريق أمامه لإشباع رغبته وقتما يريد بالزواج الذى شرعه الله تعالى متنفساً لعباده، ولك أن تتخيل شاباً يجلس مع زوجته وهو يشاهد زميل له متهم بهتك عرض فتاة صغيرة أو كبيرة أو خطفها، بينما هو يجلس يداعب ويلاعب زوجته، أو شاباً يُتم فى الطريق أو وسائل المواصلات «بمزاحمة» الفتيات والنساء أو ملامستهن بغية الإثارة! بينما هناك من يعود إلى بيته ليلامس ويداعب ويجامع زوجته، فالزواج الزواج أخى.

ووالله لو أنك دعوت الله تعالى بنية خالصة وتضرع أن يكفيك شر فتن الطريق، وأن يمنَّ عليك بالزوجة الصالحة لتعف نفسك عن الوقوع فيما يغضب الله تعالى لرأيت من نعم الله تعالى الكثير، فقط عليك بتقوى الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ **(الطلاق: ٢ ـ ٣)**.

وتقدم الحديث أن الله تعالى فى عون طالب العفاف، فقط ليرى الله تعالى منك هذا، وستضحك بعد الزواج من نفسك: كيف كنت تأتى هذه الأفعال الصبيانية، وتعرِّض نفسك لنظرات الإتهام وما يتبع ذلك.

- يقال إن ممارسة العادة السرية للرجل تؤدى إلى زيادة حجم العضو، فهل هذا صحيح؟

- الجواب: إن العضو الجنسى عند الرجل لا يمكن زيادة حجمه عما هو عليه، وهذا تبرير فى غاية البعد عن الحقيقة طبياً وعقلياً!.

- فهل من أضرار عند ممارسة الفتاة للعادة السرية؟

- الجواب: نعم، ففى ممارسة الفتاة أو المرأة للعادة السرية أضرار ما فى ممارسة الشاب أو الرجل لها، وقد تنزلق بعض الفتيات فى منزلق العادة السرية فلا تشعر «بالإصبع أو غيره» إلا وقد شق وفض بكارتها! أو انشطار «بعض الأدوات الطرية» داخل رحمها مما يؤدى بها إلى إجراء عملية جراحية لها لإستخراجه، أو التهاب الفرج من احتكاك «بعض الأدوات القطنية»، أو جرح الفرج أو الدبر من جراء استعمال «بعض الأدوات الخشنة»! أو تسلخ الجسم من استعمالها لبعض «الزيوت»، وما تسببه هذه الأدوات وغيرها من أذى للمهبل، وأمراض كالسيلان، كما يؤدى مداعبة الفتاة لصدرها عند ممارستها للعادة إلى ترهل الثدى.

- وهنا يجب أن ننبه إلى تلك العادة القبيحة التى استهوت بعض الفتيات وهى ممارسة «السحاق» تقليداً لبعض الفنانات! أو لما تسمعه أو حفاظاً على «شرفها وعفتها»! فتلجأ الفتاة إلى تلك العادة القبيحة التى أخذت فى الانتشار بين علية القوم، فالحذر الحذر أيتها الفتاة من مقاربة تلك العادة، أو مجالسة من تمارسها فإن «مَن سمع بالدجال فلينأ عنهُ».

- هناك من الأزواج من يجامع أكثر من مرة فى كل مرة يأتى فيها أهله، فهل هذا يؤثر على قوته الجنسية؟

- الجواب: من المقرر لدى أهل الطب أن الرجل إذا أراد الجماع فإنه لا يأتيه إلا إذا شعر بالحاجة إليه، وهنا تكون خصية الرجل ممتلئة بالسائل ا لمنوى، مما قد يؤدى

بالرجل إلى سرعة القذف فى بعض الأحيان، فيستفرغ أكثر السائل المنوى، فلا يشعر الزوجان بالاستمتاع، مما يحدو بالكثير إلى معاودة الكرة مرة أخرى وثالثة، وتكون الخصية قد أفرغت أكثر ما فيها من السائل المنوى مما يؤدى إلى إطالة فترة الجماع فى المرة الثانية أو الثالثة ـ وهناك من يزيد على هذا مما قد يؤدى إلى قذف «الدم» بدلاً من السائل المنوى الذى أفرغته الخصية عن آخره[1]، فيصيب الرجل والمرأة بالمرض، فليكن الرجل على حذر من معاودة الجماع فى المرة الواحدة أكثر من مرتين أو ثلاث ـ ولكن هناك من يتأخر فى القذف فى المرة الواحدة مما يُشعر الرجل والمرأة بالاستمتاع بالجماع، فإن شاء عاود أو ترك.

ـ فما هى عدد مرات المعاشرة الزوجية التى لا تؤدى إلى ضعف الرجل جنسياً أو المرأة؟

ـ تقدم أن الإسلام هو دين الوسطية، والوسطية فى مثل هذه الأمور مطلوبة، وعدد مرات المعاشرة الجنسية بين الأزواج لا تنحصر بعدد معين، فبعض الرجال يجامع مرة أو أكثر فى كل يوم، والبعض فى كل ثلاثة أيام مرة، والبعض فى كل أسبوع مرة، وغير هذا، ويرجع هذا إلى الحالة النفسية للرجل والمرأة معاً، واستعداد كل منهما لهذه العملية، وكذا تختلف النساء، فالبعض منهن يشتهين هذا الأمر مرة كل يوم، والبعض كل ثلاثة أيام، وهكذا، فالأمر يختلف باختلاف الناس وأحوالهم.

ـ ما هى مواصفات الرجل المحمود عند النساء عند أهل الباه فى كتب من سبق؟

ـ **قالوا:** إن الرجال والنساء على أصناف شتى، فمنهم محمود ومنهم مذموم.

فأما المحمود من الرجال عند النساء فهو كبير المتاع[2]، الشديد، القوى، الغليظ[3]، البطىء الهراقة[4]، السريع الإفاقة من ألم الشهوة، وذلك مستحسن عند النساء من الرجال، لأن النساء إنما يردن من الرجل عند الجماع أن يكن وافر المتاع، طويل الاستمتاع، خفيف الصدر، ثقيل العجز، بطىء الهراقة للماء، سريع الإفاقة، ويكون

(١) وقد حدثنى أحدهم بهذا عن نفسه.

(٢) كناية عن كِبر العضو.

(٣) أى: غليظ الذكر.

(٤) يعنى: بطئ فى إنزال الماء، وهذا بدوره يؤدى إلى إطالة فترة الجماع مما يزيد من لذة المرأة واستمتاعها.

إيره مبلغاً لقعر الفرج، يسده سداً ويمده مداً، فهذا محمود عند النساء، قال الشاعر:

رأيت النساء يشتهين من الفتى	خصالاً لا تكون فى الرجال تدومُ
شباب ومال وانفراد وصحة	ووفر متاع فى النكاح يدوم
ومن بعد ذا عجز ثقيل نزوله	وصدر خفف فوقهن يعوم
ويبطئ لإهراق لأنه كلما	أطال أجاد الفعل فهو يدوم

* * *

• فما المحمود من النساء عندهم؟

قالوا: «إن النساء على أصناف شتى، فمنهن محمود ومنهن مذموم، فأما المحمود من النساء عند الرجال هى: المرأة الكاملة القد[1]، العريضة، خصيبة اللحم، كحيلة الشعر، واسعة الجبين، زجة الحواجب[2]، واسعة العيون فى كحلة ناصعة، وبياض ناصح، مفخمة الوجه، أسيلة[3] الخدين، ظريفة الأنف، ضيقة الفم، محمرة الشفاة واللسان، طيبة رائحة الفم والأنف، طويلة الرقبة، غليظة العنق، عريضة الأكتاف، واسعة المحزم[4]، كبيرة الترمتين[5]، عريضة الصدر، واقفة النهد، ممتلىء صدرها ونهدها لحماً، مقعدة البطن، وسرتها واسعة غارقة، عريضة العانة، كبيرة الفرج، ممتلئ لحماً من العانة إلى الترمتين، ضيقة الفرج ليس فيه ندوة[6]، رطب، سخون تكاد النار تخرج منه، ليس فيه رائحة، قديرة غليظة الأفخاذ والأوراك، ذات أرداف ثقال، وأعكان وخصر جيد، ظريفة اليدين والرجلين، عريضة الذراعين، غليظة الزندين، بعيدة المنكبين، إن أقبلت فتنت، وإن أدبرت قتلت، وإن جلست كالقبة المنصوبة، وإن رقدت كالبند[7] العالى، وإن وقفت كالعلام[8]، قليلة الكلام معهم، لا تعمل من النساء صاحبة ولا تطمئن لأحد ولا تركن إلا لزوجها، ولا تأكل من يد أحد إلا من يد زوجها وقرابتها وإن كان لها قرابة، ولا تخون فى شىء ولا تغدر ولا تستر

(١) القد: القوام.
(٢) طويل الحواجب دقيقها.
(٣) أى لينة الخدين.
(٤) الوسط.
(٥) العجزتين: أى المؤخرتين.
(٦) أى: قذارة.
(٧) أى: العلم العالى.
(٨) أى: كالعلامة.

على حرام، إن دعاها زوجها للفراش طاوعته وسبقته إليه، تعينه على كل حال من الأحوال، قليلة الشكاية والنكاية، لا تضحك ولا ينشرح خاطرها إلا إذا رأت زوجها، ولا تجود بنفسها إلا على زوجهها ولو قُتلت صبراً»[١].

- **وقيل:** ومما يستحسن فى المرأة طول أربعة وهن أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها.

- وقصر أربعة يدها ورجلها ولسانها وعينها فلا تبذل ما فى بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها.

- وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

- وسواد أربعة أهدابها وحاجبها وعينها وشعرها.

- وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتها وإشراب بياضها بحمرة ودقة أربعة أنفها وبنانها وخصرها وحاجبها.

- وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وذاك منها[٢].

- وسعة أربعة جبينها ووجهها وعينها وصدرها.

- وضيق أربعة فمها ومنخرها وخرق أذنها وذاك منها، فهذه أحق النساء بقول كثير:

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى　　　فى الحسن عند موفق لقضى لها

وقال صالح بن حسان يوماً لأصحابه: هل تعرفون بيتاً من الغزل فى امرأة خفرة؟ قلنا: نعم، بيت لحاتم فى زوجته ماوية:

يضىء لها البيت الظليل خصاصه　　　إذا هى يوماً حاولت أن تبسما

قال ما صنعتم شيئاً، قلنا: فبيت الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها　　　مر السحابة لا ريث ولا عجل

قال: جعلها تدخل وتخرج، قلنا: يا أبا محمد فأى بيت هو؟ قال: قول أبى قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزرنها　　　وتعتل عن إتيانهن فتعذر

---

(١) أى: حبساً، من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى.

(٢) كناية عن الفرج.

قلت: وأحسن من هذا كله ما قاله إبراهيم بن محمد الملقب بنفطويه رحمه الله:

وخيرها الواشون أن خيالها ... إذا نمت يغشى مضجعى ووسادى

فخفرها فرط الحياء فأرسلت ... تعيرنى غضبى بطول رقادى

ومما يستحسن فى المرأة: رقة أديمها[1] ونعومة ملمسه، كما قال قيس بن ذريح:

تعلق روحى روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافاً وفى المهد

فزاد كما زدنا فأصبح نامياً ... فليس وإن متنا بمنفصم العهد

ولكنه باق على كل حادث ... ومؤنسنا فى ظلمة القبر واللحد

يكاد مسيل الماء يخدش جلدها ... إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد

قلت: ومن المبالغة فى معنى البيت الأخير قول أبى نواس:

توهمه قلبى فأصبح خده ... وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

ومر بقلبى خاطر فجرحته ... ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر

وصافحه كفى فآلم كفه ... فمن غمز كفى فى أنامله عقر[2]

فما المكروه من الرجال عند أهل الباه؟

ـ **الجواب:** قالوا: «إن المكروه من الرجال عند النساء هو الذى يكون رث الحالة، قبيح المنظر، صغير الذكر، فيه رخو، ويكون رقيقاً، وإن أتى إلى امرأة لا يعرف لها بقدر، ولا بحظ، يصعد على صدرها من غير ملاعبة ولا بوس ولا تعنيق ولا عضّ، ثم يولج فيها الذكر المرخى بعد مشقة وتعب، فيهزه هزة أو هزتين، فينزل من على صدرها بجهده، فيلقى نزوله أكثر من عمله، ثم يحمد ذكره ويقوم.

كما قال بعضهم: يكون سريع الهراقة، بطىء الإفاقة من ألم الشهوة، صغير الذكر، ثقيل الصدر، خفيف العجز: فهذا لا خير للمرأة فيه[3].

(١) جلدها.

(٢) انظر: روضة المحبين المنسوب لابن القيم، بتحقيقى، وقد منَّ الله تعالى بتحقيقه منذ سنوات وبيان عدم نسبته إلى ابن القيم وبيان صلة النسب لصاحبه.

(٣) من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى.

فما المكروه من النساء عندهم؟

الجواب: قالوا: «إن المكروه المبغوض من النساء عند الرجال: المرأة السمجة، قليلة السر، مكركدة الشعر(١)، خارجة الجبهة، ضيقة العينين، مع رطبة، كبيرة الأنف، زرقة الشفتين، واسعة الفم، مكرمشة الخدين، مفترقة الأسنان، زرقة الغبَة(٢)، نابتة الذقن، رقيقة الرقبة بعروق خارجين فيها، قليلة عرض الأكتاف، قليلة عرض الصدر، لها ثديان كالجلود الطوال، ولها بطن كالحوض الفارغ، وصرة طالعة كالجوزة، وضلوع نائتين كالأقواس، وظهر له سلول طالع، وترام ليس فيهم من اللحم من شيء، وفرج واسع بارد منتن وعفونة وماء، كبيرة الركبتين والرجلين واليدين، رقيقة الساقين.

فصاحبة هذه الخصال ليس فيها خير ولا فيمن يتزوجها ويقربها(٣).

قلت: الناس فى وصف جمال المرأة على طرق ومذاهب شتى، فالسمينة عند البعض هى جميلة الجميلات، بينما يرى البعض أن نحيفة الجسم هى الأجمل والأفضل، ومنهم من يقول: البياض شطر الجمال، والآخر يقول: بل هو السمار، ولكنهم جميعاً اتفقوا على أن المكروه من النساء:

«كثيرة الحس، عالية الصوت، كثيرة الكلام، خفيفة الرجل، كثيرة القيل والقال، نقّالة الأخبار، قليلة كتم الأسرار، كثيرة الكذب، صاحبة الأحيال صاحبة الظلال، همازة، غمازة، نمامة، صاحبة غيبة وضرق واشتغال، كاشفة لأسرار زوجها وفعائلها، إن قالت كذبت، وإن وعدت خالفت، وإن أؤتمنت خانت، والفاسقة والسارقة، والعياطة، والشهدارة، والبهبارة، وقليلة الدبارة(٤)، وكثيرة الاشتغال بالناس وعيوبهم، وكثيرة البحث والتفتيش على الأخبار الباطلة، وكثيرة الرقاد، كثيرة الشماتة بالمسلمين وبزوجها، والتى تكون ملسانة دعّابة، منتنة الرائحة، إذا ائتت قتلت، وإذا مشت أراحت»(٥).

وقيل لأعرابى: صف لنا شر النساء: فقال: شرهن النحيفة الجسم، القليلة

---

(١) أى أن شعرها سيء ويعتبر البعض كركدة الشعر موطن جمال فى المرأة.

(٢) أى ما يتدلى من أسفل الفم منتفخاً.

(٣) من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى.

(٤) الشهدارة والبهبارة والدبارة: أى الفحش والنميمة وقلة الذرية مع الحماقة.

(٥) من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى.

اللحم، المحياض، الممراض، لسانها كأنه حربة، تبكى من غير سبب، وتضحك من غير عجب، عرقوبها حديد، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، صوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشى السيئات، تعين الزمان على زوجها، ولا تعين زوجها على الزمان، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، تبكى وهى ظالمة، وتشهد وهى غائبة، قد دلى لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور، هذه هى شر النساء.

فما تحب المرأة من أخلاق الرجل؟

- **الجواب:** قالوا: الذى تحبه المرأة من أخلاق الرجال أن يكون سخياً شجاعاً صدوقاً، حلو المنطق، بصيراً بالجد والهزال، وفياً بالعهد والوعد، حليماً متجملاً لما يرد عليه من تلونهن، وأن يكون ظريفاً فى ملبسه ومطعمه ومشربه، وأن يكون كثير الإخوان معتنياً بقضاء حوائجهن غير متكره لذلك، ولا ضيق الصدر، وأن يكون متجنباً لمعاشرة الأوضاع والسفلة ومن لا خير فيه، بل من يشاكله فى الظرف والزى والخلق.

ومن دواعى المودة منهن أن يكون الرجل نظيف الثغر ويتفقد ذلك بالسواك[١] والأشياء المطيبة للنكهة، نظيف اليدين والرجلين، والأظفار يقلمها[٢]، حسن الثياب، طيب الرائحة، فإذا اجتمع مع هذه الأوصاف كثرة المال والكرم فذاك الكامل عندهم، المحبوب إليهن[٣].

وما يزيد فى شهوة الرجل

وقيل أن مما يزيد فى الشهوات ويحبب بعضهم إلى بعض: المذاكرة والمحادثة، والعمدة فى هذا كله فراغ القلب وإدخال السرور عليه.

وقيل أن الذى يحرك شهوة الرجال للنساء تحريكها عجيزتها وتغنجها فى كلامها

---

(١) كان ﷺ أول ما يدخل بيته يبدأ بالسواك، وهذا الخلق يفتقده الكثير من أزواج اليوم، وهو الاهتمام بنظافة الثغر والتسوك دفعاً للروائح الكريهة التى تؤدى إلى نفرة الزوجة أو من يحدث، كما يجب على المرأة مثل هذا، وهو الاهتمام بنظافة الفم ورائحته عامة وعند الجماع خاصة.

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى.

وترجيعها بطرفيها وضربها كفيها على ذكر الرجل وعركه[١] وشخرها ونخرها[٢] عند الجماع، وكشف حرها وأخذ يد الرجل ووضعها عليه، وكشف محاسن بدنها وإسبال شعرها، وتقبيلها له قائماً منتصباً[٣]، فإن حرها يختلج ويضرب عليها، فإذا جسته ولعبت به استرخت مفاصلها وذابت وهدأت حركتها، وإذا أخذته بيدها تفتقت شقائقها من داخل رحمها[٤].

واعلم أن كل ما يحرك الرجل من النظر والكلام واللمس يحرك من المرأة أضعاف ذلك.

ـ هل لممارسة الجنس سن معين تنتهى عنده؟

ـ الجواب: يظن البعض أن الجنس عند الرجل يقل أو ينتهى عند فترة زمنية معينة، وهذا خطأ، فالجنس أو العملية الجنسية والمعاشرة الجنسية لا صلة لها البتة بوصول الرجل إلى سن معين، بل يستطيع الرجل أن يمارس العملية الجنسية ما دامت عنده القدرة على هذا، وإن بلغ من العمر السبعين أو أكثر، وكذا هو عند المرأة.

ـ ومن أسباب الشهوة وما يقوى الجماع:

اعلم أن أسباب شهوة الجماع ستة:

حرارة الصبا، وكثرة المنى، والتقرب فيمن يشتهى، وحسن الوجه، وأطعمة معروفة، والملامسة.

وثمانية أشياء تقوى على الجماع وتعين عليه، وهى: صحة البدن، وفراغ القلب من الهموم، وجلاء النفس، وكثرة الفرح، وحسن الغذاء، واختلاف الألوان، وكثرة المال، ومشاهدة الحيوانات وهى تمارس العملية الجنسية.

(١) سئل الإمام أبا حنيفة: هل يجوز للرجل أن يمس فرج امرأته، أو المرأة تمس فرج زوجها؟ قال: نعم ولعله أعظم للأجر.

(٢) شخر المرأة ونخرها وإن تعاطى الرجل التؤهات والحركات الناعمة الحالمة والرعشة بين يديه عند اقترابه منها، والتقلب يمنة ويسرة، كل هذا مما يزيد فى شهوة الرجل وتعلقه أكثر بها، واستمتاع الطرفين بالجماع.

(٣) لا حرج فى استمتاع المرأة بفمها فرج زوجها أو العكس.

(٤) ومس المرأة فرجها بيمينها وشمالها جائز وكذلك مسها ذكر زوجها أو سيدها بيمينها أو بشمالها جائز برهان ذلك أن كل ما ذكرنا فلا نص فى النهى عنه وكل ما لا نص فى تحريمه فهو مباح بقول الله تعالى: ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه﴾، المحلى (٧٧/٢).

- ما هى الأعشاب والأطعمة المقوية للشهوة؟

- ومن الأطعمة المقوية للشهوة المعينة على طول الجماع: الحبة السوداء، البصل، الزنجبيل، الفجل، الجرجير، الحمص، الكراث، اللوبيا، الجزر، الجوز، اللوز، الموز، الحمص، الفلفل، السمسم، الصنوبر، الزعفران، الحلبة، الفستق، البندق، التين، الحبهان، جوزة الطيب، القرنفل، التمر هندى، العنب، الحمام، التفاح، الكركديه.

ومنها أيضاً: الألبان، خاصة لبن البقر والإبل، الأسماك وخاصة الجمبرى، لحوم الضأن والجدى الذكر السمين، البيض خاصة الصفار، العسل، العصافير، بيض السمك: الكفيار، الكوارع، الزبيب.

وقيل: الجوز المشوى بتمر يقوى جداً على الباه، والحمص المطبوخ باللحم والبصل الكثير المقلى بالسمن ويضاف إليه بيض ويقلى الجميع، وصفار البيض يقلى ثم يصب عليه العسل الكثير ويؤكل بالخبز.

وقيل: الزنجبيل اليابس إذا دق وشرب بلبن بقر على الريق حرك شهوة الجماع، والموز يحرك شهوة الجماع ويزيد فى المنى، والألبان كلها تدفع ضرر الجماع.

- وبعض الأطباء يصف خلطة تتكون من عدة نباتات مثل القرع والشمام والبطيخ الأصفر والخيار الذى يجب أن يُقشر ثم تسحق هذه المكونات سحقاً ناعماً ثم يمزج المسحوق مع كمية من سكر النبات الناعم لتحسين الطعم ويؤخذ منه ثلاث ملاعق متوسطة كل يوم بشكل دائم أو حتى تتحسن الحالة ويفضل لمدة مائة يوم.

- وبعض الأطباء أيضاً يؤكد على وصفة أخرى تعتمد على كوب عسل ونصف كوب بصل، ويقلى المزيج سوياً حتى يتبخر العسل وتنعدم رائحته تماماً من العسل، وتؤخذ منه ملعقة بعد كل أكلة، وهذا المزيج مفيد جداً.

- وكذلك يفيد البصل المشوى والفستق وطلع النخل، وهذا المزيج مفيد جداً ولا أثر له جانبى على الصحة.

- ويؤكد بعضهم على أهمية «القرفة» حيث أنها تعمل على تنبيه الجنس، وتستعمل القرفة بعد سحقها فيؤخذ منها مقدار نصف جرام فقط مع قليل من الماء مرتين إلى

أربع مرات يومياً، ويمكن إضافة مسحوق القرفة إلى القهوة أو الشاى دون تغيير فى طريقة الاستعمال.

ـ هذا بالإضافة إلى تناول الحبة السوداء مطحونة قدر ملعقة، وتضرب فى سبع بيضات بلدى وتؤخذ يوماً بعد يوم، لمدة شهر تقريباً، ويمكن تناول ثلاثة فصوص ثوم بعد كل مرة منعاً للكوليسترول.

ومن الأغذية القاطعة للباه: الكافور: استعماله يقطع الباه، وإن شرب كان أقوى، والكزبرة اليابسة: إذا نقعت فى ماء وشرب نقيعها بسكر أو عسل قطع الانعاظ (الانتشار) ويبس المنى، العدس: إذا طبخ بالعسل قلل شهوة الجماع، الرجلة: تضعف شهوة الجماع.

ـ هل للإيحاء عمل فى العملية الجنسية؟

ـ **الجواب:** نعم، للعامل النفسى والإيحاء أثر كبير فى نجاح العملية الجنسية أو فشلها، فالرجل يستطيع أن يتغلب على ضعف العملية الجنسية أو عدم الانتصاب بالإيحاء الذاتى بقوته الجنسية وقدرته على إنجاحها أو فشلها، وكما يقال: «من يخاف من العفريت يطلع له»! فمن يخشى فشله عند الجماع سيفشل، ومن أقنع نفسه واقتنع بنجاحه سينجح.

ـ فهل للثديين مهمة جنسية عند المرأة؟

ـ **الجواب:** نعم، بل هما من أهم الأماكن إثارة عند المرأة، ومداعبة الرجل لهما يعجل بالإنزال عندها، قال تعالى عن ماء الرجل والمرأة أنه: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ **(الطارق: ٧)**، والترائب: أى صدر المرأة.

ـ هل من سبب للبرود الجنسى عند المرأة؟

ـ **الجواب:** قد يكون البرود الجنسى عند المرأة ناتجاً من عوامل نفسية كجهل الزوج بفن المداعبة والملاعبة واستثارة المرأة، أو خوفها هى من فشل العملية الجنسية أو سرعة القذف عند الرجل أو إهماله لها، أو سوء المعاملة أو إنشغال الذهن أو الخوف من الحمل ونحو هذا.

وعلى المرأة التى تعانى البرود الجنسى أن تحاول جاهدة فى مساعدة زوجها كى يصل بها إلى حالة النشوة والشعور باللذة الجنسية، فلا تتركه وحده يغرس ولايجد الأرض الصالحة التى تشتاق إلى غرسه وزرعه، كما أن على الزوج أن لا يملَّ - ولا الزوجة - البحث عن مناطق الإثارة عند زوجته واللعب على أوتارها، وليعلم أن حق زوجته عليه بل هو من أهم حقوقها وليحفظ على نفسه أهله وبيته.

- فما العلاج؟

- الجواب: العلاج يكون بإبطال الأسباب!

- ما هو الشبق؟

- الجواب: الشبق هو الإحساس وطلب النفس للجنس، والإشباع الجنسى.

- ما هى أسباب الشبق عند النساء؟

- الجواب: إن شعور المرأة بالشبق الجنسى وطلب النفس لها بصورة مُلحة عند المرأة يرجع إلى أسباب عديدة، منها:

زيادة الهرمونات الأنثوية لدى المرأة مما يؤدى بدوره إلى تضخم البظر عندها وشعورها بالحاجة إلى الجنس، الفراغ العقلى والنفسى والابتعاد عن أسباب الحصانة الدينية، أو إهمال المرأة فى النظافة الجنسية لأعضائها التناسلية بصورة جيدة.

- والعلاج؟

- الجواب: العلاج بمضادات أسباب الشبق الجنسى.

- هل تحتلم المرأة كما يحتلم الرجل؟

- الجواب:

نعم، روى مسلم فى صحيحه عن أم سليم: «أنها سألت رسول الله ﷺ عن المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل فى منامه، فقال رسول الله ﷺ إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل، فقالت أم سلمة: واستحييت من ذلك، قالت: وهل يكون هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: فمن أين يكون الشبه، إن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن

أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه»، وفى رواية عند الإمام مسلم أيضاً: «إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه الولد أعمامه».

ـ أحياناً يذكر الرجل ـ أو المرأة ـ أنه احتلم، ثم إذا استيقظ لا يجد ماء، فهل عليه الغسل، أو لا يذكر احتلاماً ثم يُصبح فيجد الماء، فهل عليه غسل؟

ـ **الجواب:** روى الإمام أبو داود ومن طريقه البيهقى عن عائشة قالت: «سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً؟ قال: يغتسل، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم يجد بللاً؟ قال: لا غسل عليه، قالت أم سلمة: يا رسول الله هل على المرأة ترى ذلك غسل؟ قال: نعم، إنَّ النساء شقائقُ الرجال»[1].

ـ فما أهمية ومكانة الجنس عند المرأة؟

ـ **الجواب:** إن الحياة الزوجية ليست حياة جنسية فحسب، بل هى اتباع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وما فى الزواج من الفوائد العظيمة من حفظ الأنساب وإفراغ الشهوة عند الرجل والمرأة فى موضعها الصحيح الحلال، والتكاثر الذى حثنا عليه النبى ﷺ، وإخراج النشئ الذى يحمل راية التوحيد عالية خفاقة، إلى غير ذلك الكثير من فوائد الزواج التى تقدم بعضها فى أول الكتاب، فالجنس عند الرجل يأخذ مرتبة متأخرة بخلاف المرأة، كما أن للعملية الجنسية عند الزوجة مكانتها، ولكن يعلو هذه المكانة والمرتبة أن يمرر الرجل أصابعه خلال شعرها.

ـ أن تضع المرأة خدها على كف أو صدر زوجها.

ـ لمسة حانية من زوجها تغنيها عن الجماع.

ـ إن لمسة الحنان تراها المرأة من زوجها تأجج الحب فى قلبها.

ـ أن يهمس فى أذنها: أُحبُك، فالأهم من جماع الزوجة أن تشعر بحب زوجها لها فى كل حركة وسكنة وكلمة ولمسة منه لها، فلا تظن أخى أن سعادة المرأة وحظها مقصور فقط على العملية الجنسية أو الفراش! فالحب ليس إلا فصلاً من حياة الرجل، ولكنه كل الفصول وحياة المرأة، بل له تعيش وعنه تبحث.

ـ فماذا تقول فيما يسمونه بـ «الحب العذرى»، وهو الحب الروحى كما

(١) تقدم.

يطلقون عليه، فلا جماع فيه ولا نكاح، فهل هناك حب بلا جماع ولا نكاح بين الزوجين؟

- **الجواب:** «قال أبو الهذيل العلاف: لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب الطبائع ولا فى الواجب ولا فى الممكن أن يكون محب ليس لمحبوبه إليه ميل، وإلى هذا المذهب ذهب أبو العباس الناشىء حيث يقول:

عيناك شاهدتان أنك من — حر الهوى تجدين ما أجد

بك ما بنا لكن على مضض — تتجلدين وما بنا جلد

وقال أبو عيينه:

تبيت بنا تهذى وأهذى بذكرها — كلانا يقاسى الليل وهو مسهد

وما رقدت إلا رأتنى ضجيعها — كذاك أراها فى الكرى حين أرقد

تقر بذنبى حين أغفو ونلتقى — وأسألها يقظان عنه فتجحد

كلانا سواء فى الهوى غير أنها — تجلد أحياناً وما لى تجلد

وقال عروة بن أذينة:

إن التى زعمت فؤادك ملها — خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فبك الذى زعمت بها فكلاكما — أبدى لصاحبه الصبابة كلها

فإذا تشاكلت النفوس وتمازجت الأرواح وتفاعلت تفاعلت عنها الأبدان وطلبت نظير الامتزاج والجوار الذى بين الأرواح، فإن البدن آلة الروح ومركبه، وبهذا ركب الله سبحانه شهوة الجماع بين الذكر والأنثى طلباً للامتزاج والاختلاط بين البدنين كما هو بين الروحين، ولهذا يسمى جماعاً وخلاطاً ونكاحاً وإفضاء؛ لأن كل واحد منهما يفضى إلى صاحبه فيزول الفضاء بينهما.

فإن قيل: فهذا يوجب تأكد الحب بالجماع وقوته به، والواقع خلافه، فإن الجماع يطفئ نار المحبة ويبرد حرارتها ويسكن نفس المحب.

قيل: الناس مختلفون فى هذا فمنهم من يكون بعد الجماع أقوى محبة وأمكن

وأثبت مما قبله، ويكون بمنزلة من وصف له شىء ملائم فأحبه، فلما ذاقه كان له أشد محبة وإليه أشد اشتياقاً، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ فى حديث عروج الملائكة إلى ربهم أنه سبحانه يسألهم عن عباده وهو أعلم بهم فيقولون: «إنهم يسبحونك ويحمدونك ويقدسونك؟، فيقول: وهل رأونى؟ فيقولون: لا؟ فيقول: فكيف لو رأونى؟! تقول الملائكة: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتقديساً وتمجيداً، ثم يقولون: ويسألوك الجنة، فيقول؟ وهل رأوها؟ فيقولون: لا فيقول: فكيف لو رأوها؟ فتقول الملائكة: لو رأوها لكانوا أشد لها طلباً» وذكر الحديث، ومعلوم أن محبة من ذاق الشىء الملائم وعدم صبره عنه أقوى من محبة من لم يذقه، بل نفسه مفطومة عنه، والمودة التى بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم من التى كانت قبله، والسبب الطبيعى أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين، فإذا رأت العين اشتهى القلب، فإذا باشر الجسمُ الجسمَ اجتمع شهوة القلب ولذة العين ولذة المباشرة، فإذا فارق هذه الحال كان نزاع نفسه إليها أشد وشوقه إليها أعظم، كما قيل:

وأكثر ما يكون الشوق يوماً　　　إذا دنت الديارُ من الديارَ

ولذلك يتضاعف الألم والحسرة على من رأى محبوبه أو باشره ثم حيل بينه وبينه، فتضاعف ألمه وحسرته فى مقابلة مضاعفة لذة من عاوده، وهذا فى جانب المرأة أقوى، فإنها إذا ذاقت عسيلة الرجل ولاسيما أول عسيلة لم تكد تصبر عنه بعد ذلك، قال أيمن بن خريم:

يميت العتابُ خلاطَ النساء　　　ويحى اجتناب الخلاط العتابا

وتزوج زهير بن مسكين الفهرى جارية ولم يكن عنده ما يرضيها به، فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما ترضى به فذهبت ولم تعد، فقال فى ذلك أشعاراً كثيرة منها:

تقول وقد قبّلتها ألفَ قبلة　　　كفاك أما شىء لديك سوى القبل

فقلت لها حب على القلب حفظه　　　وطول بكاء تستيض له المقل

فقالت لعمر الله ما لذة الفتى　　　من الحب فى قول يخالفه الفعل

وقال آخر:

رأت حبى سعاد بلا جماع فقالت حبلنا حبل انقطاع
ولست أريد حباً ليس فيه متاع منك يدخل فى متاعى
فلو قبلتنى ألفاً وألفاً لا أرضيت إلا بالجماع
إذا ما الصب لم يك ذا جماع يرى المحبوب كالشىء المضاع
جماع الصب غاية كل أنثى وداعية لأهل العشق داعى
فقلت لها وقد ولت تعالى فإنك بعد هذا لن تراعى
وإنك لو سألت بقاء يوم خلى عن جماعك لن تطاعى
فقالت مرحباً بفتى كريم ولا أهلاً بذى الخنع اليراع
إذا ما البعل لم يك ذا جماع يُرى فى البيت من سقط المتاع

وقال آخر:

ولما شكوت الحب قالت كذبتنى فكم زورة منى قصدتك خالياً
فما حل فيها من إزار للذة قعدت وحاجات الفؤاد كما هيا
وهل راحة للمرء فى ورد منهل ويرجع بعد الورد ظمآن صادياً

وقال العباس بن الأحنف:

لم يصفّ وصل لمشوقين لم يذقا وصلاً يجل على كل اللذاذات

وقال هدية بن الخشرم:

والله ما يشفى الفؤاد الهائما نفث الرقى وعقدك التمائما
ولا الحديث دون أن تلازما ولا اللزام دون أن تفاعما
ولا الفعام دون أن تفاقما وتعلو القوائمُ القوائما

وقال آخر:

قولا لعاتك التى فى نظرة قضت الوطر

إنـي أريـدك لـلـنـكـاح ... ولا أريـدك لـلـنـظـر

لـو كـان هـذا مـقـنـعـى ... لقنعت عنهـا بـالقـمـر

وقال آخر:

دواء الحب تقـبـيـل وشم ... ووضـع لـلـبـطـون عـلـى الـبـطـون

ورهـز تـذرف الـعـيـنـان منه ... وأخـذ بـالمـنـاكـب والـقـرون

وقالت امرأة وقد طُلبت منها المحادثة:

لـيس بهـذا أمـرتنـى أمـى ... ولا تـقـبـيـل ولا بشـمٍ

لكنّ جـمـاعـاً قـد يسلى همى ... يسـقـط منه خـاتمى فى كـمـى

وقد كشف الشاعر سبب ذلك حيث يقول:

لـو ضـم صبٌ إلـفـه! الـفـاً لما ... أجـدى وزادت لـوعـة وغـرام

أرواحـهـم مـن قـبل ذاك تـألفت ... فـتـألفت من بعـدهـا الأجـسـام

وقال المؤلف:

سـألت فـقـيـه الحب عن علة الهـوى ... وقلت له أشكو إلى الشـيـخ حـاليـاً

فـقـال دواء الحب أن تلصق الحشـا ... بأحـشـاء من تهـوى إذا كنت خـاليـاً

وتتـحـدا من بعـد ذاك تعـانقـا ... وتلثـمـه حـتـى يرى لك نـاهـيـاً

فـتـقـضـى حـاجـات الـفـؤاد بأسـرها ... على الأمن مـا دام الحـبـيب مـؤاتيـاً

إذا اكن هذا فى حـلالٍ فـحـبـذا ... وصـال به الرحـمن تلقـاه راضـيـاً

وإن كـان هـذا فى حـرام فـإنه ... عـذاب بـه تلقـى الـعـنـا والمكـاويا

قال هؤلاء: ولا يستحكم الحب إلا بعد أن يشق الرجل رداءه وتشق المرأة المعشوقة برقعها كما قال الشاعر:

إذا شـق بـرد شـق بالـبـرد برقـع ... دواليـك حـتـى كلنـا غـيـر

فكم قـد شـقـقـنـا من رداء مـحـبـر ... ومن برقـع عن طفلة غـيـر عـانس

ولما بلغ بعض الظرفاء قول المأمون: ما الحب إلا قبلة، الأبيات، قال: كذب المأمون، ثم قال:

وبــاض الحــب فــى قــلــبــى **فــــوا ويــلاً إذا فــــرخ**

ومـــا ينفـــعنى حـــبى **إذا لــم أكنــس البـــــريــخ**

وإن لـــم يـــضـــع الأصـــلـــع **خـــرجـــيـــه على المطبخ**

وقال ابن الرومى:

أعـانقـهـا والنفس بعـد مـشـوقـة **إليــهــا وهل بعــد العناق تدانى**

وألثم فـاها كى تزول صبـابتى! **فـيشـتـد مـا ألقى من الهـيـمـان**

ولم يك مـقـدار الذى بى من الجوى **ليـشـفـيـه مـاترشف الشـفـتـان**

كـأن فـؤادى ليس يشـفى غليله **سـوى أن أرى الروحـين تمتـزجـان**

ورأت طائفة أن الجماع يفسد العشق ويبطله أو يضعفه واحتجت بأمور منها: أن الجماع هو الغاية التى تطلب بالعشق فما دام العاشق طالباً فعشقه ثابت، فإذا وصل إلى الغاية قضى وطره وبردت حرارة طلبه وطفئت نار عشقه، قالوا: وهذا شأن كل طالب لشىء إذا ظفر به، كالظمآن إذا روى والجائع إذا شبع، فلا معنى للطلب بعد الظفر، ومنها: أن سبب العشق فكرى وكلما قوى الفكر زاد العشق، وبعد الوصول لا يبقى الفكر، ومنها: أنه قبل الظفر ممنوع والنفس مولعة بحب ما منعت منه كما قال:

وزادنى كلفاً فى الحب أن منعت **أحب شىء إلى الإنسان ما منعا**

وقال الآخر:

لولا طراد الصيد لم تك لذة **فتطاردى لى بالوصال قليلاً**

قالوا: وكانت الجاهلية الجهلاء فى كفرهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، وكانوا يصونون العشق عن الجماع، كما ذكر أن أعرابياً علق امرأة فكان يأتيها سنين وما جرى بينهما ريبة، قال: فرأيت ليلة بياض كفها فى ليلة ظلماء فوضعت يدى على يدها، فقالت: مه، لا تفسد ما صلح، فإنه ما نكح حب إلا فسد، فأخذ ذلك المأمون فقال:

مــــــا الحــب إلا نـظـرة   وغـــمـــز كفٍ وعـــضـــد
أو كــــتب فــــيــــهــــا رقى   أجـل مـن نـفـث الـعــــقـــد
مـــــــا الحــب إلا هـكـذا   إن نـكـح الحـب فــــســـــد
مـن كـــــان هـذا حــــبــــه   فـــــإنمـا يـبــــغـى الـولـد

وهوى آخرٌ امرأة فدام الحال بينهما فى اجتماع وحديث ونظر، ثم إنه جامعها، فقطعت الوصل بينهما فقال:

لو لم أواقع دام لى وصلهـا   فليتـنى لا كـنت واقعتهـا

وقيل لآخر شكا فراق محبوبة له:

أكثرت من وطئها والوطء مسأمة   فارفق بنفسك إن الرفق محمود

قال الأصمعى: قلت لأعرابية ما تعدون العشق فيكم؟ قالت: العناق والضمة والغمزة والمحادثة، ثم قالت: يا حضرى: فكيف هو عندكم؟ قلت: يقعد بين شعبها الأربع ثم يجهدها، قالت: يا ابن أخى ما هذا عاشق هذا طالب ولد.

وسئل أعرابى عن ذلك فقال: مص الريق ولثم الشفة والأخذ من أطايب الحديث، فكيف هو فيكم أيها الحضرى؟ فقال: العفس بالشديد والجمع بين الركبة والوريد، ورهز يوقظ النائم ويشفى القلب الهائم، فقال: بالله ما يفعل هذا العدو الشديد، فكيف الحبيب الودود.

والمقصود: أن هذه الفرقة رأت أن الجماع يفسد العشق، فغارت عليه مما يفسده وإن لم تتركه ديانة، ويحكى أن رجلاً عشق امرأة فقالت له يوماً: أنت صحيح الحب غير سقيمه، وكانوا يسمون الحب على الخنا الحب السقيم، فقال: نعم، فقالت: اذهب بنا إلى المنزل، فما هو إلا أن حصلت فى منزله فلم يكن له همة غير جماعها، فقالت له وهو كذلك:

أسرفت فى وطئنا والوطء مقطعة   فارفق بنفسك إن الرفق محمود

فقال لها وهو على حاله:

لو لم أطأك لما دامت محبتنا   لكن فعلى هذا فعل مجهود

فنفرت من تحته وقالت: يا خبيث أراك خلاف ما قلت من صحة الحب، ولم تجعل جماعى إلا سبباً لذهاب حبك، والله لا ضمنى وإياك سقفٌ أبداً.

وفصل الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحب، ولابد أن تنتهى المحبة بينهما إلى المعاداة والتباغض والقلى كما هو مشاهد بالعيان، فكل محبة لغير الله آخرها قلى وبغض فكيف إذا قارنها ما هو من أكبر الكبائر.



العلاقة الخاصة والحب بين الزوجين

إن العلاقة الجنسية والجوانب العاطفية المحيطة بالجماع بالغة الأهمية فى تعميق العلاقة الوجدانية بين الرجل والمرأة، لما فيها من إرواء للشهوة وجلب للسعادة والنشوة المصاحبة لتلك العملية، مما يجعلها تضيف روحاً من البهجة والمودة والرحمة على تلك العلاقة المقدسة.

وهناك ثلاث علاقات عاطفية تؤثر فى استمرار ونجاح الحياة الزوجية وهى:

١ ـ الميل الجنسى إلى شريك الحياة.

٢ ـ العلاقة الوجدانية بين الشريكين.

٣ ـ الحب العائلى.

وأعنى بالميل الجنسى نحو شريك الحياة أى الرغبة الجنسية للزوج والزوجة بشكل يتحقق به التكيف العام بينهما، وبعبارة أوضح عندما يجد كلا الطرفين أن الطرف الآخر مرغوب فيه جنسياً ومغرياً للإقبال عليه.

أما العلاقة الوجدانية بين الزوجين فهى التوافق النفسى والروحى فى المشاعر والأحاسيس والأمانى والطموحات التى تحقق الألفة والمحبة بينهما ومشاركة كل منهما الآخر، فيقاسم كل منهما الآخر أفراحه ونجاحه وآلامه وجراحه، وهذا يسمى بالحب المعنوى.

أما الحب العائلى فيتمثل فى قوة العاطفة نحو الأبناء خاصة وبقوة المودة بين أسرتى الزوجين بشكل عام، فإذا توافرت هذه الثلاثة فإن الحياة الزوجية تصبح موفقة دون شك، وعدم وجود أحد هذه المقومات لا يعنى أن الحياة الزوجية فى خطر وأنها لن تستمر، بالطبع لا ولن، فمما لا شك فيه ستكون أقل فى المتعة والراحة النفسية.

(أسرار السعادة الزوجية ـ محمد محمود عبد الله)

وإذا كان الميل الجنسى أو العلاقة الجسدية بين الرجل وزوجته من أركان العلاقة

العاطفية، إذن فالمقصود طبعاً ليس فقط هو قضاء الوطر والشهوة، وإنما هذه العملية ما هى إلا تعبير عن علاقة أعمق وأشمل ولذلك سماها القرآن مودة ورحمة، فقضاء الشهوة محطة من محطات الحب والعشق تسبقه محطات وتليه محطات.

فالمحطات التى تسبقه مختصرة فى قوله تعالى: ﴿ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ **(البقرة: ٢٢٣)**، وحديث النبى ﷺ: **«هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك»**، والمحطات التى تليها مختصرة فى قوله تعالى: «الرفث» وحديث عائشة رضى الله عنها فى غسلها مع النبى ﷺ.

وفى بيان كيفية التعامل بين الزوجين لتحقيق السعادة الزوجية قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ **(الروم: ٢١)**، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ **(البقرة: ٢٢٣)**.

وفى الآية يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يقدموا لأنفسهم، وهى التهيئة المعنية والإعداد النفسى قبل تمام العملية الجنسية، فكلا الزوجين مطالب أن يقدم للآخر الركن المعنوى والراحة النفسية والانسجام الروحى من معين لا ينضب، وهو معين المودة والرحمة.

ولقد آن الأوان أن نقول إن الزوجة لم تعد فقط آلة إخصاب، وإن كان ذلك من أهم أدوارها التى خصها الله بها، وإنما هى شريكة للرجل فى التمتع فى اللذة الحلال، ولابد أن تكون إيجابية، لأنه كلما كانت المرأة أكثر فاعلية فى الحوار الجنسى زادت المتعة وتسامت السعادة.

فقضية الجنس ليست قضية هامشية فى حياة الرجل والمرأة السويين، ولا هى من الرجس طالما كانت فى الحلال، ولا يجوز إطلاقاً إهمالها أو تركها لتتحكم فيها نصائح ورواسب العاهرات فى الإعلام.

وعلى المرأة أن تتعلم وتتفنن فى الحب، ولا يجوز لها أن تجهل أهمية رسالتها الجنسية، فبدلاً من أن تحسبها تبعة مضلة بالآداب، عليها أن تكرس لها وقتاً يتناسب مع أهميتها.

والمرأة المثالية تدرك لأهمية دور المرأة فى الجماع منذ الليلة الأولى للزواج، ومدى تأثير ذلك الدور ليس فقط فى نفس الرجل، وإنما فى نفس المرأة ذاتها، وبالتالى فى الحياة الزوجية.

وكذلك كى يكون الاتصال الجنسى طبيعياً وجميلاً ومستحباً، لابد وأن تساهم الزوجة مع الرجل فى الوصول بهذا العمل إلى القمة التى ينشدها زوجها والتى يجب أن تنشدها أيضاً.

وهذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة تؤكد على هذا الأمر:

قد ورد فى أحاديث رسول الله ﷺ ما يؤكد على ضرورة مشاركة المرأة للرجل فى اللقاء بصدق وإيجابية، ومن ذلك ما يرويه جابر فيقول: «كنا مع النبى ﷺ فى غزوة، فلما رجعنا وكنا قريباً من المدينة، قلت: يا رسول الله إنى حديث عهد بعرس، قال: أتزوجت؟ قلت نعم، قال: بكراً أم ثيباً؟ قلت: بل ثيباً قال: فهلا بكراً تلاعبها؟! وفى رواية تلاعبها وتلاعبك» رواه الخمسة، وفى رواية لمسلم فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ أو قال: تضاحكها وتضاحكك؟».

إذن فالزوجة المحترمة والمتدينة ينبغى أن تتحلى بالحياء والستر عن كل الناس، ولكن مع الزوج فحياؤها أن تتجمل له وأن تتحبب له وأن تقر عينه وتحفظ نفسه عن كل ما سوى الحلال: فحالها وحال زوجها كما فى قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ **(البقرة: ١٨٧)**.

وقد اعتبر القرآن العروب إحدى صفات الزوجة المثالية وذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ **(الواقعة: ٣٥ - ٣٧)**.

وعربت المرأة إذا تحببت إلى زوجها، وقال ابن الأثير فى «النهاية» العَرابة هى التصريح بالكلام فى الجماع والمقصود من لفظة العرب هو فاعلية المرأة فى الاستجابة لزوجها بالتدلل والتلطف والمداعبة.

وللمرأة المثالية أسوة حسنة فى السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها التى كانت تشارك النبى ﷺ متعه وملذاته وأفراحه، حتى إنها لتحدثنا عن ذلك فيما يرويه البخارى ومسلم فى صحيحيهما فتقول: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بينى وبينه تختلف أيدينا عليه، فيبادرنى حتى أقول: دع لى، دع لى وهذا التفاعل يكون له أكبر الأثر فى نفس الزوجين، وتوثيق العلاقة العاطفية بينهما، فيسود الحب والود والدفء والحنان والعاطفة فى الحياة الزوجية والأسرية، (فن العلاقات الزوجية -

محمد الخشت ـ بتصرف).

هذا وإن كان الجميع قد يعرف ما قبل الجماع وهو ما ذكره الله تعالى فى قوله: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ ولكن الكثيرين لا يعرفون مساحة ما بعد ذلك، إنها المساحة التى ترتوى فيها الروح ويمتلئ فيها القلب بالدفء بعد قضاء الشهوة وفيها يتزود الزوجان بزاد من الرقة والمحبة الصافية.

والمداعبة بعد الجماع تكون باباً لمتعة صافية ليس فيها توقع لأى شىء، بل هى تلذذ بدون توقعات أو انتظار للحظة بعينها، ولا مانع أن يكون هذا التلذذ والتمتع الرقيق، الذى يبث فيه كل طرف لشريكه مشاعره ويعبر له عن مكنون نفسه وخلاصة حبه، أن يكون ذلك باباً لمتعة جديدة بمعاودة اللقاء مرة أخرى، والتوجيه النبوى للرجل أن يتوضأ تنشيطاً للعود.

والمداعبة قد تأخذ أية صورة يحبها ويتفق عليها الزوجان وتحقق لهما المتعة والسعادة، ولا تقتصر على الفراش، بل قد تكون فى الاغتسال معاً، أو غيره من أشكال التلطف والمداعبة التى يحبها الزوجان، وهى من أسرارها ولهما أن يبدعا فيها كما يحبان ما دامت تحقق لهما الإحصان والسكن وتخلو من محرمات حرمها الله.

وخلاصة القول:

إن العلاقة الجنسية الناجحة التى تروى ظمأ كلاً من الطرفين باب من أبواب السعادة والراحة النفسية والقبول والرضى عن الآخر، الذى يولد ارتباطاً ومحبة عاطفية ووجدانية عميقة تسمو بعد ذلك عن كل شىء وإن كانت العلاقة الجنسية تمدها بالتجدد والشوق للآخر.

وهذه العلاقة مع فطرتها وقابلية كل من الرجل والمرأة لممارستها، لأنها سنة الحياة أودعها الله فى البشر، ولكن المتعة والسعادة فن يجب تعلمه من الرجل والمرأة حتى تتحول تلك الممارسة إلى أنشودة حب وسعادة وعفاف وإحصان لكل من الرجل والمرأة.



الزوجين وشهوة منحرفة

تعريف الانحرافات الجنسية:

يُقصد بالانحرافات الجنسية الحصول على الإشباع الجنسى بطريقة غير مشروعة من خلال تجارة الجنس، والدعارة فى أسواق البغاء، والكباريهات، والنوادى الليلية، وسائر الأماكن التى تقدم الخدمات الجنسية فى عالم الانحراف، والمغامرات الجنسية المتواصلة غير المسئولة، والاستهتار والاستسلام للجنس، والجنسية المثلية «اللواط والسحاق»، وجماع الأطفال ولبس ملابس الجنس الآخر والتشبه بهم، والاستعراض الجنسى أو الاستعراء عن طريق إظهار أعضاء الجنس الآخر، أو الأطفال وفى الأماكن العامة، والأثرية (الفتشية) أى التعلق بالجنس بالأشياء التى يستعملها الجنس الآخر كاللباس أو جزء من جسمه كالشعر أو الرائحة مثلاً، والفرجة والتلصص والنظر الجنسى إلى الأجسام العارية أو على العملية الجنسية نفسها، والاحتكاك الجنسى، والسادية أى الحصول على الإشباع الجنسى عن طريق تعذيب الغير، والماسوكية أى الحصول على الإشباع الجنسى عن طريق التعذيب من الغير، والاغتصاب وهتك العرض، والجنسية الحيوانية، وجماع المحارم.

أسباب الانحرافات الجنسية:

١ ـ عوامل جسمية عضوية فسيولوجية منها:

أ ـ ما يعترى الفرد من اختلال فى معدل إفرازاتها كما يحدث فى حالات البلوغ المبكر قبل الأوان أو حالات بلوغ متأخرة أكثر من المعتاد.

ب ـ ما يحدث من أمراض أو عاهات أو عيوب خلقية تؤثر فى وظائف الجهاز التناسلى، كما فى حالات العقم والضعف الجنسى.

٢ ـ عوامل تربوية واجتماعية منها:

أ ـ التنشئة الخاطئة أيام الطفولة والمراهقة بما يؤدى إلى الكبت الجنسى والقلق

والمخاوف والأوهام الجنسية.

ب - حالات الحرمان الجنسى..

ج - حالات الطلاق والترمل.

د - حالات الحمل غير الشرعى كلها تكون مصحوبة بالكثير من الصراعات النفسية التى تؤدى إلى الانحراف.

هـ - عدم إشباع الدافع الجنسى بالطرق المشروعة (الزواج أو العفاف).

فتنساب الطاقة فى مسالك أخرى من السلوك الشاذ.

● وقد أوضحت بعض الأبحاث لأصحاب المدرسة السلوكية أن نشأة الانحرافات الجنسية سببها تكوين انعكاسات شرطية شاذة فى حياة الفرد، فمثلاً قد تكون أول تجربة جنسية لمراهق مع مراهق مثله أو طفل ذكر أو مع حيوان أو عن طريق العبث بأعضائه التناسلية (الاستمناء)، وبتكرار هذه العملية يتدعم الارتباط الشرطى الشاذ، وتقترن اللذة الجنسية بالعلاقة مع نفس الجنسى أو حيوان أو استخدام اليد.

علاج الانحرافات الجنسية:

١ - أهم وسيلة للعلاج من الانحرافات الجنسية هى تدعيم مراقبة الله عز وجل فى نفس الإنسان، ومعرفة العواقب الوخيمة للأفعال غير الشرعية فى الدنيا والآخرة.

٢ - تنمية الإرادة فى نفس المنحرف جنسياً يساعد كثيراً فى مراحل العلاج بعد ذلك، فالمنحرف جنسياً فيه شبه من المدمن فى إلف المعصية والولع بها.

٣ - العلاج النفسى.

٤ - العلاج بالتحليل النفسى، والبحث عن سبب وعمق الانحراف فى نفس الشاذ.

٥ - العلاج الشرطى السلوكى: والهدف هو تكوين ارتباط شرطى جديد بأن المنبه الشاذ يرتبط بالألم بدلاً من اللذة.

٦ - العلاج الكيميائى بالعقاقير المضادة للقلق والخوف والاكتئاب، إذا كان الانحراف قد نشأ بسبب هذه الأمراض.

الوقاية من الانحرافات الجنسية:

١ ـ التربية الإيمانية التى تعمق فى النفس حب الله والرضا بقضائه والخوف من عقابه والشوق فيما عنده.

٢ ـ التربية على العفة والحياء وكذلك الصبر والبعد عن كل ما يثير الشهوة.

٣ ـ الحذر من الخلافات الزوجية، حتى يشب الطفل مستقر الوجدان، سليم النفسية.

٤ ـ يجب أن يتوازن الأبوان فى التعلق بالأبناء، وأن تقلل سيطرة الوالدين على الأطفال تدريجياً.

٥ ـ الحذر من التمييز بين الأبناء سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً.

٦ ـ الحرص على عدم رؤية أو سماع الأطفال ما يثير الريبة فى نفوسهم فى العلاقات الجنسية بين الوالدين.

٧ ـ سلامة الوالدين من الانحراف وعدم الخيانة.

٨ ـ الحرص على تطبيق السنة فى نوم كل طفل فى فراش خاص به.

٩ ـ إشباع حب الاستطلاع عند الطفل بالطريقة المناسبة لقدرته العقلية ومستوى إدراكه، وأن تكون الإجابة صريحة وواضحة ومبسطة وبطريقة علمية بعيدة عن الإثارة الجنسية .

١٠ ـ الصداقة بين الزوجين.

إن العلاقة بين الزوجين لها خصائص كثيرة، ولكن إذا أردنا اختيار خاصية واحدة تضفى على علاقتهما دوام المتعة والحيوية على مر السنين فلن تكون سوى أن يعامل كل منهما الآخر معاملة الصديق الحميم.

فما أكثر أن نجد زوجين مخلصين لبعضهما ومع هذا تراهما وقد احتدم النقاش بينهما ولن يدوما على وفاق طويلاً، وكثيراً ما نجد أزواجاً رائعين ومتفانين ويشتركان فى نفس الهوايات والاهتمامات ومع هذا يسيطر التوتر على علاقتهما.

أما عندما يكون الزوجان أصدقاء فى المقام الأول فإن الأمور تسير طبيعية من تلقاء نفسها، فالصداقة تحتم على كل صديق أن يدعم صديقه وأن يحتمله ويعطف عليه، ويلتمس له العذر، كما أن الصداقة تسهل عملية التواصل، والصداقة تمهد

الطريق للضحك والمرح كما أنها أيضاً تعنى التزام الجدية إذا تطلب الأمر ذلك والصديق على اتصال دائم بصديقه يجده وقت الرخاء، ولا يفتقده وقت الشدائد.

أى الناس أحبُّ إليك؟

سؤال وُجه للرسول ﷺ، فردّ أمام الناس وقال اسم امرأة، قال: عائشة، فسأله السائل من الرجال؟ قال: أبوها.

يمكننا أن نفهم من هذه المصارحة أن السيدة عائشة هى الزوجة الصديقة فى المنزل، وأبا بكر هو الصديق الحميم من الرجال.

وما أكثر ما ذُكر فى سيرة الرسول ﷺ من حبه للسيدة عائشة، وما روى فى صحيح مسلم والبخارى من أشكال الصداقة بينهما لعب وضحك وجرى وملاطفة وحوار وحديث واستماع، وكلنا يعرف القصة المشهورة قصة «أم زرع» الطويلة التى حكتها السيدة عائشة للرسول ﷺ، وعلى طولها كان يستمع إليها ويشاركها الحديث، وكانت رضى الله عنها تغارُ عليه، وتغضب وغير ذلك من مشاعر البشر، وكان ﷺ يحترم ذلك ويقول فى رواية للسيدة عائشة: **«إنى لأعلم إذا كنتِ عنى راضية وإذا كنتِ علىّ غضبى؟ قالت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنتِ عنى راضية فإن تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى تقولين: لا ورب إبراهيم. قالت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك».**

فإذا أردت أن تكسب زوجتك وتحول الزواج إلى سعادة تلو سعادة فلابد أن تعامل زوجتك معاملة البشر فتستشيرها فى أمورك وتشركها فى قراراتك، وتجلس معها لتبث لها همومك، وتسمع منها همومها، تمزح معها وتمزح معك، وتشعرها بأنها صديقتك وتعف عن التحقير وتعتذر إن أخطأت بحقها، وتخبرها إن تأخرت خارج المنزل، وتقدم لها الهدية بين فترة وأخرى، وتحترم آراءها واقتراحاتها وتناديها بأحب الأسماء إليها، وتتودد إليها كما تتودد إليك، ولا يظنن أحد أن فى ذلك إهانة للرجل أو انتقاصاً من قدره أو تنازلاً عن قوامته، بل هذا جزء أصيل من الرجولة والقوامة، فلا خير فى رجولة لا تراعى طبيعة المرأة، والرسول ﷺ يقول: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى».**

وكم نسمع من تقول:

«زوجى هو أفضل أصدقائى» ولكن أفكارهم ومشاعرهم وتصرفاتهم تناقض هذا، فتراهم على عكس ما يقولون، يغارون من أزواجهم ويطالبونهم ما لا يطالبون به صديقاً، وإلى جانب هذا تراهم لا يقدرونهم حق التقدير ولا يحترمونهم كما يجب ولا يلتزمون اللطف فى التعامل معهم.

وأفضل طريقة للإبقاء على علاقة الصداقة بين الزوجين هى أن تعرف فائدة الصداقة فى هذه العلاقة فالصداقة هى أفضل طريقة للحفاظ على العلاقة الزوجية.

وعليك أن تذكّر نفسك بأن هدفك هو أن تعامل زوجتك بعطف وتقدير واحترام تماماً كما تعامل أقرب أصدقائك، وعندما لا تعرف ماذا تفعل اسأل نفسك: «إذا كان هذا الشخص صديقى فكيف سيكون سلوكى معه ورد فعلى تجاهه؟ إنه من الأهمية بمكان أن تتذكر كيف يتعامل الأصدقاء مع بعضهم ثم تحاول تطبيق هذا فى علاقتك مع شريكة الحياة.

كونى صديقة لزوجك

لماذا لا تكونين صديقة لزوجك؟

لماذا لا تكونين له واحدة من هذه الأنواع من الصداقة؟

الصديقة المنعشة:

التى يأخذ من نشاطها وحماسها ويتعلم منها كل ما هو حديث وجديد.

الصديقة المماثلة:

لها نفس اهتمامات زوجها، قادرة على فهم وجهة نظره وأفكاره عندما يحتاج إلى من يشكى إليه همومه.

الصديقة الحكيمة:

التى لديها خبرة فى أمور كثيرة، ووجودك فى حياته يشعره بالأمان تمدين له يد العون والمشورة والنصيحة.

الصديقة المرحة:

تنسيه مشاكله وقلقه عندما يتحدث إليك، فتكونين قادرة على تخفيف الحزن عنه وإضحاكه وتوسعة صدره.

الصديقة الذاكرة:

فتذكريه بمواعيده ولقاءاته الهامة والمناسبات العائلية وغير ذلك من يوميات الحياة.



المقارنات سبب الأزمات (١)

قالت إحدى الزوجات لصديقاتها:

«أتمنى لو أن زوجى يقضى مزيداً من الوقت مع أولادنا كما يفعل زوج فلانة».

هذه الكلمات تفسر أن هذا الزوج لا يحب أولاده ولا يضعهم فى أولوياته كما يفعل الزوج الآخر، وهذه المقارنات يمكنها أن تتسبب فى إثارة غضب العديد من الأزواج، وقد تكون هذه الحادثة بداية النهاية لعلاقة الصداقة بينهما.

إن ظاهرة التحدث عن الأزواج ومقارنة بعضهم ببعض ظاهرة منتشرة لا تكاد تخلو منها مجالس النساء، فما إن تدخل إحداهن بيت الزوجية إلا وتلحق بركب سابقاتها من النساء، إلا من رحم الله.

إن معظم النساء اللواتى يقارن أزواجهن - سواء السعيدات فى حياتهن الزوجية أو الشقيات - للأسف لا يخلو حديثهن من الكذب زيادة كان أو نقصاناً، فالمقارنة إيجاباً يشوبها الكذب خوفاً من الحسد.

والمقارنة سلباً يشوبها الكذب أحياناً لتقنع الزوجة جليساتها بأحاسيسها وإن كانت زائفة وزوجها ليس بالسيئ تماماً.

ونحن ضد هذا الأمر ما لم تضطر إليه المرأة كأن يكون الرجل متعسفاً وبضوابطه الشرعية من وجود مصلحة داعية إلى ذلك وخلافه قال الله تعالى: ﴿**لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾ (النساء: ١٤٨).

ونحن عندما نعرض هذا الموضوع ونركز فيه على النساء ليس هذا تعسفاً منا فإن الموضوع يخص الزوجين معاً، ولكن النساء أكثر حديثاً من الرجال وأكثر شكوى، ولا يمنع هذا من أن ما سنذكره يمكن أن يستفيد منه الرجال أيضاً فى هذا المقام من العلاقات الزوجية.

أسباب المقارنات بين الأزواج:

هناك أسباب كثيرة للمقارنة بين الأزواج نذكر منها ما يلى:

١ - تجاهل الزوج لمسئوليته وتخليته عن وظيفته الأساسية كأب وراع لأهل بيته، يؤدى إلى تحمل الزوجة لتلك المسئولية التى تخلى عنها خوفاً على أسرتها من أن تهوى بها الريح فى مكان سحيق، وهنا تظهر المقارنة بين الأزواج من قبل الزوجات، ويجعل الحديث عن الزوج فاكهة المجلس بالنسبة لهن عليهن يجدن حلاً لهؤلاء الأزواج المارقين.

٢ - قد تحتاج المرأة إلى المقارنة هنا بدافع التعرف على تعامل الأزواج الآخرين مع زوجاتهن لتشعر زوجها بسوء معاملته لها عن طريق نقل حديث الأخريات إليه.

٣ - عدم تقدير الزوج للزوجة خصوصاً إذا كانت تقدم له من مالها.

٤ - الفراغ العاطفى: غالباً ما تفقد لغة الحوار بين الزوجين، ونتيجة لذلك يخيم الفراغ العاطفى على شعور الزوجة الذى من المفترض أن يكون رياً بالعاطفة لشريك العمر، لذلك ينصب شعورها فى حديثها وتكون مجالسها متنفساً لهذا الحديث عن همومها وآلامها، وليس هناك أكبر من آلام المرأة فى ضعف العاطفة فى زواجها.

وباختصار فإن حاجة المرأة إلى الأمان العاطفى هى أحد دوافعها للحديث عن الزوج والمقارنة.

٥ - **الانفتاح الإعلامى:** فقد أدى الانفتاح الإعلامى والفضائيات إلى تفتح المرأة وتوسيع ثقافاتها، فتغيرت صورة الرجل لدى المرأة، فقديماً كان الرجل كل شىء فى حياتها، أما الآن فقد شاطرته أغلب المسئوليات.

٦ - **العمل والصديقات:** فقد يكون عمل المرأة وصديقاتها من أسباب عقد المقارنات بين الأزواج.

٧ - **عدم تملك القرار:** فالزوج إذا لم تعجبه المرأة تزوج من ثانية أو طلقها، أما المرأة فلا تملك سوى التنفيس بالحديث.

٨ - توسع الطموح والتطلعات الدنيوية وضعف الوازع الدينى حتى نسيت المرأة الحكمة التى خلقت من أجلها.

الأسباب النفسية للمقارنة بين الأزواج:

يقول الدكتور محمد الحامد الغامدى استشارى الطب النفسى بجدة: «عندما تقارن المرأة بين زوجها وأزواج الأخريات فإن لها دوافعَ وأهدافاً نفسية عديدة تكمن وراء الانخراط فى مثل هذه المقارنة.

قليل منها مشروعة وأغلبها دوافع غير مشروعة، فالمرأة فى مجتمعنا عندما ترتبط بزوجها فإنها أحياناً قد لا تكون مقتنعة به تمام الاقتناع وقلما تفهمه خصوصاً حديثات الزواج فتدخل فى هذه المقارنات لتعزز قناعاتها بزوجها وتشبع نقصاً ما لديها.

وقد تحتاج المرأة إلى تقوية إحساسها بالأمان فى حياتها الزوجية، ويعتبر الإحساس بالأمان أحد الأمور الرئيسية التى يبحث عنها كلا الزوجين خصوصاً المرأة فتتعمد الدخول فى عملية المقارنة هذه لتبحث عما يقوى الإحساس بالأمن لديها.

وفى بعض الحالات تكون المرأة نكدية بطبعها وبخاصة عندما تكون غير مستقرة فى حياتها الزوجية، فتنقل نتائج المقارنات إلى زوجها لتشعره بنقصه رغبة فى زيادة نكده فقط.

وقد يكون الفضول أحد دوافع المرأة النفسية للانخراط فى عملية مقارنة الأزواج، فالإنسان فضولى بطبعه وهذه الحالة متفشية فى بعض الطبقات العقلية ذات الثقافة المحدودة.

وقد تلجأ المرأة للمقارنة بين الأزواج بدافع الرغبة فى اتخاذ قرار خفى، كأن تفكر المرأة فى الانفصال عن زوجها فتبدأ بمقارنة زوجها بغيره لتخفف شعورها بالذنب جراء رغبتها الملحة فى اتخاذ هذا القرار، وهذا ما نسميه بعملية الإسقاط، فتسقط المرأة أسباب الانفصال عن الزوج وتحمله نتائجه.

ومن الأسباب النفسيه الداعية لذلك سذاجة بعض النساء اللواتى قد يُسقن إلى الحديث عن أزواجهن دون أن يدرين.

وفى حالات قليلة يكون السبب المرأة المنحرفة التى تبرر لنفسها الانحراف والانخراط فى علاقات غير مشروعة خارج الإطار الزوجى فتخفف عن نفسها الشعور بالذنب مسوغة لنفسها داخلياً بأن سبب انحرافها هو قصور فى زوجها.

المقارنات سبب الأزمات (٢)

إن موضوع مقارنة النساء بين أزواجهن وبين الآخرين قديم جداً فى الحياة النسائية، ومن أهم أشكال هذه المقارنات مقارنة الضعفاء بالأقوياء والفقراء بالأغنياء، وقد يكون الحديث من خلالها عن الطرف الآخر بطريقة تعكس واقعه ووضعه فى سلم التدرج الاجتماعى.

والمرأة عندما تقارن زوجها بالأزواج الآخرين فإنها قد تكون تعكس واقعاً سلوكياً معيناً داخل منزلها، أو قد يكون ذلك نتيجة لطبيعة العلاقة الزوجية لديها، والتى قد لا تكون من العلاقة التى يؤمل منها التوافق بين الزوجين، كأن تكون علاقة سيطرة وتسلط طرف على آخر أو علاقة الأنداد، أو علاقة متوازية لا يؤمل معها الالتقاء، أو نتيجة لوجود فوارق واضحة بينها وبين زوجها خصوصاً عندما تكون هى الأدنى.

عزيزى القارئ:

عندما تبدأ بالمقارنة بين إنسان تحبه وبين شخص آخر، فأنت قد فتحت الأبواب للمشاكل المحتمل وقوعها، ولو فكرت فى ذلك لوجدت أن الأمر معقول؛ لأن أغلبنا يريد أن يكون محبوباً لدى الآخرين كما هو عليه، وإنه لأمر يدفع للشعور بالإهانة أن نفكر أن شريك حياتنا يتمنى لو أننا كنا نشبه آحدً آخر.

إن قيامك بالمقارنة بين شريك حياتك وبين شخص آخر لن تتسبب فى تحطيم علاقتك إلا أن المقارنة تُعد أحد تلك الأمور التى ليس لها أى جانب مشرق فى العلاقة بين الطرفين.

واعلم أنه فى كثير من الحالات عندما يقوم شريك حياتك بمقارنتك مع شخص آخر فهو يعبر بذلك عن عدم رضاء مؤقت فى مشاعره فقط، وبالتالى فإن شريك الحياة عندما تتم مقارنته مع شخص آخر لن يكون سعيداً بذلك.

إن المقارنة بين الأزواج لا فائدة من ورائها تُذكر إلا عندما يكون القصد منها

التعرف على الأخطاء والسعى لمعالجتها وتوفير حياة زوجية كريمة.

أما إن كانت المقارنة لفرض سلوك معين فى علاقة المرأة بزوجها فهذا لن يؤتى ثماره، فكم من امرأة أصبحت حياتها جحيماً نتيجة بحثها عن حياة أفضل خارج بيتها، وكم من امرأة فارقها زوجها نتيجة هذه المقارنات العقيمة.

أخى الزوج أختى الزوجة:

إن النظر لما فى أيدى الناس يورث الهم والقلق، ومهما حاول الإنسان فلن يستطيع أن يحصل على كل شىء يريده والنفس لا تشبع.. وفى الحديث: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»** (رواه البخارى ومسلم).

فتطلعات النفس لا تنتهى، وعلى كل إنسان أن يلجم هذه النفس ويردها إلى الواقع، ولا ينظر لما فى أيدى الناس فإنه الفقر الحاضر، وليحمد الله على ما رزقه من نعيم الحياة الدنيا وفى الحديث: «من بات آمناً فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها» (رواه الترمذى).

وقد نهى رسول الله ﷺ أن ينظر الناس إلى مَنْ هم أكثر منهم فى المال أو فى الخلق فتلك أمور قدرية كما أن نظر الإنسان لمن هو فوقه من المال يورثه السخط على حاله، فالأولى به أن ينظر لمن هو تحته فى تلك الأمور فيحمد الله تعالى ويسأله من فضله قال رسول الله ﷺ: **«إذا نظر أحدكم إلى من فضلّه الله عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضّل عليه».**

فهذا أحق ألا يزدرى نعمة الله عليه، فالقناعة حقاً كنز لا يفنى، بها يعيش المرء فى حياته مطمئناً شاكراً، هادئ النفس، مرتاح الضمير وإنه من دواعى الشقاء والتعاسة فى عالم اليوم تلك المادية الجارفة التى اصطبغت بها الحياة، فأتت على القيم النبيلة وخلّفت وراءها الطمع والجشع والحقد والحسد.

العلاج النفسى:

ونبدأ هنا بالعلاج النفسى لمشكلة المقارنة بين الأزواج، هذه الظاهرة التى قد تصل فى الغالب إلى ناحية مرضية وهذا العلاج هو:

١ ـ اللجوء إلى الله وحده، والإيمان بأن الكمال لله جلا وعلا.

٢ ـ التركيز على إيجابيات الزوج أو الزوجة وتغيير النواحى السلبية فى كل منهما، فالزوج قابل للتغيير، وليكن ما تفكر فيه المرأة من حلول داخل إطار الزوجية، لتكون حلولها أكثر ايجابية بدلاً من الانخراط فى المقارنات، وذلك لأن لكل إنسان نمطاً سلوكياً مختلفاً عن الآخر وتطوير الأنماط إنما يكون باستشارة المتخصصين فى ذلك، وكثرة الاطلاع على الكتب لتكوين درجة من الوعى والثقافة للمرأة تؤهلها لترك هذه المقارنات والتحول منها إلى حديث أكثر فائدة حول فهم الحياة الزوجية والخطاب ذاته للزوج.

العلاج الشرعى:

وهو الكفيل باقتلاع هذه الظاهرة من جذورها ويكمن فى اتباع الآتى:

١ ـ الدعاء لله سبحانه وتعالى فتسأل المرأة ربها أن يصلح لها شأن زوجها وكذا الزوج.

٢ ـ أن تستشعر المرأة حقوق زوجها عليها وأنها حقوق عظيمة لا ينبغى التفريط فيها، فقد قال ﷺ عن ذلك: **«لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»** (رواه الترمذى وأحمد والحاكم) وكذا يستشعر الزوج عظيم حقوق المرأة عليه ووصية رسول الله ﷺ بها حتى أنه أكد على وصيته تلك حال وفاته ﷺ.

٣ ـ أن تعى المرأة أنها بكثرة شكواها وكلامها عن زوجها ترضى الشيطان وتغضب الله سبحانه وتعالى، ولذلك فعليها التحلى بالصبر جاعلة قدوتها زوجات النبى ﷺ فقد ضربن أروع الأمثلة فى الصبر، ولتقرأ سورة الأحزاب لتعرف كيف آثرن الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها ولا يكثر الزوج من شكوى زوجه وليتأمل محاسنها واحتمالها وصبرها ورضاها وليضع ذلك كله فى اعتباره وميزانه.

٤ ـ **«لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها آخر»** (رواه مسلم وأحمد)،

هذا الحديث كما أنه يتوجه إلى الزوج بالخطاب المباشر فهو ينطبق أيضاً على الزوجة ونظرتها لزوجها فانظرى إلى ايجابيات زوجك وحاولى تغيير السلبى منها.

٥ ـ الإيمان بالقضاء والقدر والرضى بما قسمه الله لكلا الطرفين، وأنه نعم الاختيار لو رضى به العبد بارك الله فيه، وهذا للرجل كما للمرأة أفضل من المقارنات بين الأزواج، فعلى المرأة أن تحفظ بيتها فلا تهتك ستر بيتها بأحاديث لا طائل من ورائها، وأن تجعل شكواها لله وحده فهو القادر سبحانه على إصلاح الزوج.

٦ ـ أين أنت أيتها الزوجة من خديجة رضى الله عنها فقد وهبت نفسها ومالها لزوجها ﷺ، ولم تتقاعس عن نصرته بكل ما تقدر عليه دون مَنّ ولا أذى.

٧ ـ «ذكرك أخاك بما يكره» إن حديث المرأة عن زوجها يدخل فى الغيبة المنهى عنها شرعاً والمتضمن لمعنى الحديث الشريف الذى يذكر فيه الرسول ﷺ لفظ «أخاك» فكيف بذكر الزوج بما يكره؟ قال أبو الدرداء رضي الله عنه لامرأته: «إذا رأيتنى غضبت فرضنى، وإذا رأيتك غضبت رضيتك، وإلا لم نصطحب» هكذا يكون الاستقرار فى الحياة الزوجية، وهكذا تُحل مشكلات المرأة دون اللجوء للمقارنة بين الأزواج وفضح أسرار الأسرة، وهكذا تتواصل لغة الحوار بين الزوجين بدلاً من انكماشها.

٨ ـ «كونى له أمة يكن لكِ عبداً» إن فهمت كل زوجة هذه الوصية التى أوصت بها الأم ابنتها ليلة زفافها لتغير مجرى حياتها الزوجية، فبدلاً من نشر أخبار زوجها تتقاذفها ألسنة النساء وتساهم فى خراب بيتها وقد تكون بذلك داخلة فى زمرة كافرات العشير، فإنها بفهم هذه الوصية ستصبح ملكة فى قلب زوجها، وهو أيضاً كذلك.



كيف تكون الزوجة جذابة؟

هل الجاذبية حسية أم معنوية؟!

هل تكون المرأة جذابة بجمال شكلها أم بملابسها أم بعطرها أم بمرونتها أم بابتسامتها أم بأخلاقها أم بتفهمها لزوجها.. أم.. أم.. أم بكل ما ذكرنا جميعاً؟

عزيزتى الزوجة القارئة:

هناك نوعان من الجمال والجاذبية:

الجمال الحسى: وهو الجمال الظاهرى الذى يُدرك بالحواس.

الجمال المعنوى: وهو لا يُدرك إلا بالمعاشرة والمخالطة والاحتكاك.

والجاذبية بنوعيها الحسى والمعنوى لها أهميتها فى الحياة الزوجية.

الجاذبية الحسية:

فنعنى به كل ما يتعلق بالشكل والتجديد فيه؛ مثل تسريحة الشعر، والعطور، وأنواع الزينة، والمكياج وألوانه، والملابس الجذابة.. وغيره، وكل ما يمكن أن يجعل المرأة جميلة الشكل والمنظر، كل ذلك يزيد من جاذبية المرأة ويقربها من زوجها.

وفى الحقيقة لنا مع الملابس وقفة لمدى أهميتها وتأثيرها فى النفوس؛ فهى من عوامل الانجذاب الحسى وتنمية الحس الجمالى والذوق الرفيع، ولها وظائف متعددة خلال الحياة اليومية للزوجين؛ إذ أنها تعكس مدى التوافق والانسجام الزوجى المزاجى والتناغم الوجدانى بينهما، وتثير كوامن العاطفة.

وفى الواقع يستطيع أى من الزوجين باختياره لشكل ولون وملمس وتناسق ملبسه أن يعبر عن مدى اهتمامه بشريك حياته؛ فبإهمال الملبس يعطى للزوج إحساساً بأن زوجته لا تهتم به ولا تحرص على سعادته، والعكس.

كما أن الاهتمام بالملبس يعنى أن الزوجة تحافظ على مشاعر زوجها وتهتم

بوجوده فى حياتها وتحرص على أن يراها جميلة، وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال»**، وجعل من صفات المرأة الصالحة: «إذا نظر إليها سرته».

وهذا ليس واجباً على الزوجة فقط، بل الزوج مدعو أيضاً إلى التزين لزوجته، ورحم الله ابن عباس حين قال: «والله إنى لأحب أن أتزين لزوجتى كما أحب أن تتزين لى».

ولأن الملبس هو أول ما يلفت الزوج من زوجته قبل تعبيرات وجهها وكلماتها، فهو يُعتبر رسالة غير منطوقة «أى صامتة» تُعبر بوضوح عن حالتها الوجدانية، وقد يكون طلباً رقيقاً تخجل الكلمات من التعبير عنه.

فمثلاً إذا خرج الزوج من البيت بعد مناقشة حادة إثر مشكلة معينة وعاد فوجد زوجته قد أرتدت أفضل ما عندها من الثياب المبهجة، فهى بهذا السلوك الرائع النبيل قد أرسلت له رسالة تهدف إلى طى لحظات الشقاق وتجاوز الخلاف والرغبة فى المودة والسكن، أما إذا ظلت على حالتها السابقة فهى بذلك تخفى نية ضمنية على استمرار أجواء النكد والكدر والخلاف.

وتستطيع الزوجة الذكية اختيار الملبس الذى يظهر مواطن جمالها ويخفى أية نواقص أو عيوب، كما تستطيع اختيار الألوان المناسبة للون بشرتها الذى يضفى عليها إشراقاً وبهجة.

والزوجة تعلم بحسها الأنثوى وخبرتها ما يثير زوجها ويرغبه فيها؛ وذلك باختيار الملابس التى تبرز مواطن فتنتها، وهذا له تأثير كبير على المزاج النفسى للزوج، وفى تحقيق الانجذاب بين الشريكين.

أما الجاذبية المعنوية: فسنبدأها بـ:

١ ـ الخلق الحسن:

سئلت إحدى الزوجات: كيف تتعاملين مع الخلافات الزوجية؟

فقالت: «ليس هناك شىء مستحيل فى حياتى، فهذه الخلافات مهما كان حجمها يمكن تجاوزها بالكلمة الحلوة، وأنا اعتبر أن الكلمة الحلوة نوع من السحر الحلال، وأحاول امتصاص الغضب وعدم الثأر لنفسى على حساب علاقتى بزوجى، وعدم

مناقشته أثناء الغضب، بل إننى أسعى دائماً للتأكيد على أن رضا زوجى هو أهم شىء فى حياتى، وكل رجل له مفتاح لشخصيته، وعلى كل زوجة أن تعرف هذا المفتاح، فأحياناً يسعد الرجل إذا كانت زوجته على وئام مع أهله، وأحياناً أخرى إذا حققت الزوجة بعض الأشياء التى يحبها كأن تزينت له أو أعدت له طبقاً مفضلاً أو استقبلته بشكل معين، وعلى أية حال فالصبر هو أهم شىء فى الحياة الزوجية؛ لأن الحياة بصفة عامة عبارة عن مشقة وتعب، فما بالنا بالحياة الزوجية ومسئولياتها..».

نفهم من هذا الكلام أن الكلمة لها مفعول السحر، وقد أكّد الإسلام على أهمية الخلق الحسن، فقال ﷺ: **«ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذىء»**، ويقول ﷺ: **«الكلمة الطيبة صدقة»**، فالأخلاق أساس بناء العلاقات بين الناس، فكيف بالحال بين الأزواج.

اختارى عزيزتى الزوجة أحسن الكلمات للزوج، يقول الله تعالى: **﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾** **(الإسراء: ٥٣)**، فرب كلمة طائشة تفسد صفاء العلاقة بين الزوجين، ونحن نقول هذا للزوجة وللزوج أيضاً، فالأمر فى الآية على وجه العموم (لعبادى) من الرجال والنساء.

٢ ـ ابتسمى وكونى صاحبة دعابة:

الابتسامة وروح الدعابة والمرح من السحر الحلال الذى على المرأة والرجل أيضاً تعلمه، ونعنى بذلك الابتسامة الحقيقية التى تأتى من أعماق النفس التى تقول لك عن صاحبها: «إنى أحبك، إنك تمنحنى السعادة، إنى سعيد برؤيتك».

فالابتسامة الصادقة تأسر القلوب وتسحر النفوس، ولها رونق وجمال وتعابير، وتضفى على وجه صاحبها ما لا يضفيه العبوس، فالابتسامة تعتبر بمثابة الكنز الذى لا يكلفك درهماً ولا ديناراً، فهى مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، ولها أثر عجيب فى نفوس الآخرين؛ ولهذا قال ﷺ: **«تبسمك فى وجه أخيك صدقة»**، وقال أيضاً: **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**.

ويقول المثل الصينى: «إن الذى لا يحسن الابتسامة لا ينبغى أن يفتح متجراً».

ومن الحقائق المهمه أن الابتسامة الصادقة تعبر عن شخصية سوية، بينما التجهم هو تعبير عن شخصية مريضة، وفى كتاب دراسات فى علم النفس الإسلامى، للدكتور محمود البستانى قال: «عندما يبتسم الإنسان تشترك فى وجهه ثلاث عشرة عضلة، ولكن فى حالة عبوسه تقوم بالعمل سبع وأربعون عضلة»، ويذهب العلماء إلى أن الشخص المبتسم يتمتع أيضاً بنبض سليم ومتزن، وأن الابتسامة تساعد على تخفيف ضغط الدم وتُعتبر وقاية من أمراض العصر.

وهنا نقول: إنه لا ينبغى أبداً أن نستسلم للظروف ونكتئب كما قال الشيخ عبد الحميد البلالى فى كتابه الصغير «ابتسم»: «لابد أن تكون لنا إرادة قوية نتعالى بها على الهم والمصيبة، ولنتذكر أننا لن نغير شيئاً مما قدره الله علينا بغضبنا وهمنا وعبوسنا، وإننا سنخسر الكثير من صحتنا عندما نغضب، ونخسر الآخرين عندما نعبس، وقد نخسر الدين عندما يتجاوز الهم والغضب إلى الاحتجاج على قدر الله تعالى، ولنستيقن دائماً بالقاعدة التى أخبرنا بها رسولنا ﷺ: «إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم»».

فإذا لم تكن البشاشة من طبعنا فلنتعلم كيف نبتسم، ولنحاول أن يكون ذلك من طبيعتنا بعد أن نتذكر ثمار الابتسامة، وبعدها حقاً سنكون قد أتقنا مهارة السحر الحلال التى هى من أسرار الجاذبية الشخصية.

وتذكر معى عزيزى القارئ:

يقول الإمام ابن عيينة: «البشاشة مصيدة المودة، والبر شىء هين: وجه طليق وكلام لين».

٣ـ التفاهم والمرونة:

تقول إحدى الزوجات: «كل شىء فى حياتى يخضع للتفاهم والاتفاق».

فمحاولة فهم كل طرف للشريك الآخر تضفى على الشريك جاذبية معنوية عالية.

وكذلك المرونة مهمة جداً فى التعامل مع المواقف والأحداث، يقول د. إبراهيم الفقى: «المرونة قوة»، والمرونة أيضاً تضفى على الشخصية نوعاً من الجاذبية.

إن الزوجين الناجحين يتعاملان مع بعضهما بما يتناسب مع الفترة الزمنية التى يعيشانها والظروف الحياتية التى يمران بها، وهذا يتطلب بلا شك مرونة كبيرة وفهماً واسعاً للأمور.

ولقد درستُ فيما يتعلق بمهارات الاتصال ما يسمى بالمهارات الحياتية، ومن هذه المهارات: التفكير الإبداعى والتخيل الابتكارى، فمثلاً فى حال الخلافات الزوجية إذا جاء الزوج إلى المنزل فى وقت الخلافات فعلى الزوجة أن تفكر ماذا ستفعل وما ستنشغل به وماذا تقول إذا بدأ الزوج فى الكلام وغير ذلك، وكل هذا يتطلب مرونة وتفكير متجدد حسب الموقف.



كيف نبنى جدار الثقة؟

إن المشكلات لن تختفى تماماً من حياة الأزواج، إلا أن معظم الناس لا يقضون الوقت الكافى لفهم المشكلة أو لمحاولة تغيير أنفسهم عند قيامهم بعلاج هذه المشكلات.

ونحن هنا بصدد مشكلة سلوكية زوجية وهى الخيانة الزوجية، وفى محاولة لرأب الصدع بين الزوجين نسير معاً هذا الطريق لعلنا نلتقى على طريق واحد لجمع شمل أسرة مسلمة.

فإذا جاء الزوج تائباً نادماً يفتح صفحة جديدة مع زوجته، فإن على الزوجة إن لمست صدق نيته أن تعفو وتصفح «والله يحب المحسنين».

ومن الطبيعى أن يكون ذلك صعباً على الزوجة فى البداية لأن المرأة بطبيعتها تعطى الرجل الحب والحنان وتنتظر أن يعاملها بالمثل فإذا قوبل ذلك بالبرود والجفاف العاطفى وأيضاً الانحدار عن الطريق الصحيح، فإن ذلك يسبب صدمة للمرأة.

والمرأة إذا خسرت الرجل تعتبر خسارته خسارة كبيرة، وذلك لأن أغلب الزوجات تعطى وتبذل وتنسى نفسها فى جوانب حياتها الخمسة: الجانب الصحى، الشخصى، المهنى، الروحانى، المادى.

والمفترض أنها من البداية بالاتفاق مع زوجها يضعان قواعد الحب والثقة والاحترام والحقوق والواجبات، ولا تنسى الاهتمام بتنمية شخصيتها ومهاراتها أيضاً.

التغيير يبدأ من الذات:

إذا غيّر الإنسان نفسه «الزوج، الزوجة» فإن تغيير الآخرين يصبح سهلاً ونتيجة حتمية، يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).**

فمن تنتظر أن يتغير زوجها وهى لا تفعل شىء فأنى ذلك؟

والعكس من ينتظر أن تتغير زوجته كما يريد وهو لا يتغير ولا يساعدها على معرفة ما يريد فأنى يتحقق هذا التغيير؟

السؤال الآن كيف نبنى جدار الثقة؟

وكيف نتخلص من نتائج مشكلة الخيانة الزوجية؟

تقول إحدى الزوجات: «الشك سيقتلنى».

وتقول أخرى: عدم الثقة فى النفس هى النتيجة لهذه المشكلة.

وتقول ثالثة: أين الأمن والاستقرار إذن؟

ونحن نقول: إن النجاح فى الحياة عموماً وفى الحياة الزوجية خاصة هو أن تستطيع عمل ما تريد فى الوقت الذى تريد.

عزيزى القارئ:

لابد أن يسأل كل من الزوج والزوجة نفسه كيف بدأ زواجه؟ وكيف كانت العلاقة بينهما؟ وكيف كان الاهتمام بالآخر؟ كيف كان الاهتمام بالنفس أمام الآخر؟ كيف كان يتكلم؟ يأكل؟ يضحك مع الآخر؟

لابد أن يفكر فى كل ما هو ايجابى فى الشريك الآخر.

تكلم مع الآخر بالصوت المضبوط فى الوقت المضبوط بالكلام المضبوط، واحرص على كلامك لنفسك واعلم أن الإنسان بمفرده يكلم نفسه بطريقة سلبية بنسبة ٨٠٪.

أول ما تحس الزوجة بمشاعر الشك لابد أن تتوقف وتنتبه كيف تفكر لأنها بعد ذلك ستصل لحكم قد لا يكون فى المصلحة واعلمى أن الشيطان يدخل من هذا المدخل ويزيد الشك فى القلب ليهدم البيت ويفرح فرحاً كبيراً لذلك، وانظرى للمشكلة على أنها فرصة للنمو واكتساب الخبرة، والسيطرة على الحالة النفسية أثناء المشكلة تساعدك على حلها.

تحديد أسباب المشكلة:

الجلوس مع الطرف الثانى صاحب المشكلة ومصارحته يساعد فى حل المشكلة، ولابد من الوصول إلى حل واتفاق يرضى الطرفين، أو وجود بدائل وخيارات لتستمر الحياة.

يقول نيلسون: «تصبح الحياة مملة كئيبة إذا ما تعددت الخيارات بيننا».

واعلم عزيزى القارئ أن «ما تطلبه ستجده».

فمن طلب الإصلاح سيجده ويسعى لذلك، ومن طلب الفرقة سيجدها ويسعى لذلك، ومن الأمور أيضاً التى تساعد على بناء جدار الثقة والتخلص من نتائج مشكلة الخيانة الزوجية ما يلى:

١ ـ المرونة.

٢ ـ الدوافع والرغبة فى الاستمرار.

٣ ـ التوقع الإيجابى.

٤ ـ الالتزام فى الحياة الزوجية.

٥ ـ الصبر.

كيف يحب الرجال؟ وكيف تحب النساء؟

إن أساس العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة هى علاقة المودة والرحمة كما بينها اللّه سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(الروم: ٢١)

والمودة والرحمة هى علاقة مزدوجة بين العلاقة العاطفية والارتباط الفطرى بالحب من جهة وعلاقة الجسد من جانب آخر.

وكما كانت العلاقة العاطفية ركن العلاقة الزوجية الأول، ولما له أثر كبير فى استمرار واستقرار هذه الحياة، فضلاً عن الاستمتاع بتلك الحياة وما له أكبر الأثر فى السعادة الزوجية كان يجب أن تعرف كيف يحب الرجال والنساء.

ولما كان الذكر غير الأنثى كما بين سبحانه فى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾ **(آل عمران: ٣٦)**، فالذكر غير الأنثى فى كل شىء سواء كان هذا الفرق فسيولوجياً (المكونات الجسدية) أو سيكولوجياً نفسياً.

الصفات النفسية للمرأة والرجل فيما له علاقة بالزواج: «التفاهم فى الحياة الزوجية د/ مأمون مبيض».

هناك من يشبه بعض الجوانب النفسية للمرأة بأمواج البحر، حيث تتراوح عواطفها ومشاعرها بالارتفاع الشديد عندما تكون مسرورة مبتهجة، لتعود مشاعرها بالانخفاض عندما تنزعج، وتضعف ثقتها بنفسها، وما تلبث مشاعرها أن ترتفع من جديد، وهكذا كأمواج البحر المتقلبة.

ـ وعندما ترتفع مشاعر المرأة وتعظم ثقتها بنفسها، فإنها تكون مصدراً لا ينضب للحب والتضحية والعطف والحنان للآخرين وخاصة زوجها، ولكن عندما تنخفض أمواجها وتشعر ببعض الاكتئاب، فإنها تحس بفراغ كبير فى داخلها، وبأنها تحتاج إلى الحب والرعاية من قبل الآخرين، وخاصة زوجها. وهناك من يشبه انخفاض مشاعر المرأة وعواطفها وكأنها تنزل فى بئر أو جُب عميق مظلم، وما تلبث المرأة بعد أن تصل إلى قاع البئر، وخاصة إذا شعرت أن هناك من يحبها ويتمناها، أن تبدأ رحلة الصعود للخروج من هذا البئر وتعود كما كانت نبعاً معطاءً من الحب والرعاية لمن حولها وخاصة زوجها، وبناءً على ما سبق فكيف يتكيف الرجل مع تقلب أمواج المرأة؟

ـ إن الحياة مليئة بالمتغيرات الكثيرة وخصوصاً العلاقات الزوجية، ويجب أن يفهم الرجل أن تبدل مشاعر المرأة على هذا النحو من الارتفاع والانخفاض، ونزولها إلى البئر وصعودها منه، ليس من تصرفاتها، بل هو سجية وخلقة خلقها الله عليها، ويجب أن يتعامل معها كما هى.

إذن من الأخطاء التى يمكن أن يقع فيها الرجل أن يمنع زوجته من تقلبات المشاعر والمزاج، أو أن يحاول أن يخرجها من ذلك البئر العميق.

بل المرأة عندما تنزل إلى ذلك البئر فإنها لا تحتاج إلى من يخرجها منه، وإنما تحتاج أن تشعر بأن زوجها بجانبها يحبها ويرعاها، وتحتاج أن تسمع منه كلمات الرعاية والعناية وأن تحس بدفء الحب ولطف المعاملة.

إذن فالنزول إلى البئر هو أمر طبيعى كتبدل حالة الطقس والموج، وهى فرصة للرجل أن يقف بجوار امرأته ويظهر لها الدعم والتأييد والمحبة والمشاعر الفياضة تجاهها.

ـ إن من الصفات النفسية للرجل عموماً أنه عندما ينزعج فإنه لا يتكلم أبداً عما يشغل باله، وبدلاً من أن يدخل أحداً فى مشكلاته فإنه يلزم الصمت ويعتزل الناس فى

«الكهف» ليفكر فى حل مناسب لهذه المشكلات، وعندما يجد الحل فإنه يخرج من عزلته ومن الكهف وهو أكثر سعادة وبهجة.

وإذا لم يعثر على الحلول المناسبة، فإنه يحاول أن يقوم ببعض الأعمال التى يمكن أن تنسيه مؤقتاً هذه المشكلات، كقراءة صحيفة أو اللعب أو غير ذلك، وعلى المرأة أن تفهم أن أى ابتعاد للرجل عنها ليس دليلاً على عدم الحب والرعاية، بل يمكن أن يكون أمراً آخر.

- وكما ذكرنا أن المرأة فى الحب والعاطفة كموج البحر، كذلك فإن الرجل فى علاقته مع المرأة أمر آخر، فهو يقترب جداً من المرأة ثم يبتعد بلا سبب، ثم يقترب مرة أخرى.

- قد تفاجأ المرأة عادة عندما تلاحظ أن زوجها يبتعد قليلاً رغم قناعتها بمحبته وتقديره لها، والذى يجب أن تعلمه المرأة من الرجل أنه لا يقرر ذلك عمداً وعن تخطيط، وإنما هى صفة تلازمه، وإنما هى جبلة خلقه الله عليها.

وعلى الجميع أن يتذكر أن حب الرجل كالقمر يذهب ويأتى، وأن حب المرأة كموج البحر صعوداً وهبوطاً، وأن المرأة تنزل إلى البئر وأن الرجل عندما تواجهه المشاكل يدخل إلى الكهف، وأن هذه أمور خلق الله الذكر والأنثى عليها ولا سبيل إلى تغييرها بل لابد من التعامل معها كما هى.

الحاجات العاطفية للرجل والمرأة:

لابد أن يعرف الرجل والمرأة أن الحاجات العاطفية لكل منهما تختلف عن الآخر، فمن الخطأ أن يقدم الرجل الحب والعاطفة للمرأة على الطريقة التى يفضلها هو لا على الطريقة التى تفضلها هى أو العكس، فلكل منهما طريقته الخاصة.

فالرجل مثلاً يحتاج إلى الحب الذى يحمل معه الثقة به وقبوله كما هو، والحب الذى يعبر عن تقدير جهوده وما يقدمه.

بينما تحتاج المرأة إلى الحب يحمل معها رعايتها وأنه يستمع إليها، وأن مشاعرها تفهم وتقدر وتحترم.

ويمكن أن نذكر تلك الحاجات فيما يلى:

١ ـ ثقة المرأة بالرجل ـ رعاية الرجل للمرأة:

ـ عندما تثق المرأة فى قدرة زوجها، فإنه يصبح أكثر رغبة فى رعايتها وخدمتها.

وكذلك عندما يقوم الرجل برعاية زوجته فإنها تصبح أكثر قدرة على الثقة العميقة به وبامكاناته.

٢ ـ قبول المرأة للرجل ـ تفهم الرجل للمرأة:

ـ يحتاج الرجل أن يشعر بأن زوجته تتقبله كما هو، دون أن تحاول تغييره، وتترك له أمر تحسين نفسه إذا احتاج لذلك.

ـ وتحتاج المرأة أن تشعر بأن زوجها يستمع إليها ويفهمها، ويصغى إليها وإلى مشاعرها وعواطفها، وهناك دورة لكل من قبول المرأة للرجل وتفهم الرجل للمرأة، فكلما تقبلت المرأة زوجها، كلما كان أقدر على الاستماع إليها وتفهمها، وكلما استمع إليها أكثر، كلما زاد تقبلها له.. وهكذا.

٣ ـ تقدير المرأة للرجل ـ احترام الرجل للمرأة:

ـ يحتاج الرجل أن يشعر أن زوجته تقدر ما يبذله من أجلها وما يقدمه لإسعادها.

ـ بينما تحتاج المرأة أن تدرك أن زوجها يحترمها عندما يعطى أهمية أولى لمشاعرها وحاجاتها ورغباتها وأمانيها وذلك من خلال تذكر المناسبات الهامة لها، القيام بالأعمال المادية التى تظهر اهتمامه بها كالهدية أو باقة الورد.

٤ ـ إعجاب المرأة بالرجل ـ تفانى الرجل للمرأة:

ـ يحتاج الرجل إلى الشعور بأن زوجته معجبة به، وعندما يشعر الرجل باعجاب زوجته به، فإن هذا يدفعه للتفانى أكثر فى خدمتها ورعايتها.

ـ بينما تحتاج المرأة للشعور بأن زوجها يتفانى فى خدمتها ويسخر نفسه لرعايتها، وحمايتها، وسيزداد إعجاب المرأة بزوجها عندما تشعر بأنها رقم واحد فى حياته.

٥ ـ تشجيع المرأة للرجل ـ طمأنة الرجل للمرأة:

ـ يحتاج الرجل إلى تشجيع المرأة، وهذا التشجيع يعطى الدافع القوى للبذل

والعطاء أكثر.

- بينما تحتاج المرأة إلى استمرار طمأنة الرجل لها، ويكون ذلك من خلال إظهار رعايته وتفهمه واحترامه لها، وإقراره لمشاعرها وتفانيه فى حبها ورعايتها.

كيف تحسب النقاط عند الجنسين؟

من المهم أن يفهم كل من الرجل والمرأة كيف يحسب كل منهما النقاط للآخر، فالرجل عادة يتصور أنه سيحقق نقاطاً أكثر ويزداد تقدير شريكة حياته له إذا قدم لها شيئاً كبيراً، كأن يشترى لها سواراً من ذهب أو يوفر مصروفات المدرسة لأبنائه.

والمرأة تحسب النقاط على نحو مختلف، إذ لا أهمية لديها لحجم هدايا الحب، فكل هدية تساوى نقطة واحدة، فالطريقة التى تحسب بها المرأة النقاط ليست مجرد عملية تفضيلية ولكنها احتياج حقيقى لكى تشعر بالحب فى علاقتها.

إذن لا شىء أهم من المشاعر بالنسبة للمرأة، وأى رجل يريد إسعاد زوجته، يجب أن يعرف كيف يدير مشاعرها.

والرجل الذى يهين زوجته أمام الناس أو أمام أهله وأولادها، فهو حقيقة رجل بلا شعور.

❀ ❀ ❀

ساقط من الأصل المصور

فهرس المحتويات